تم الايداع ١٢٩٥ فى المكتبة الوطنية = بغداد لسنة ١٩٨٥

$5

السعر دينار واحد

طبع بمطبعة الزمان - بغداد

ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܡܬܐ ܒܝܬ ܚܪ̈ܡܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢܝ̈ ܥܕܬܐ ܘܫܘܒܩܢܐ ܕܚܛܗ ܢܦܠ ܠܐ ܗܘܐ
ܠܗ ܠܗ ܥܕܡܐ ܠܐ ܦܢܐ ܗܘܐ ܠܗ ܥܕܡܐ ܠܗ
ܘܡܢ ܕܥܒܪ ܠܚܪ̈ܡܐ ܢܣܒ ܠܗ ܠܥܘܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

مَريَم العَذراء

في كنائس العراق

الأب فرنسيس يُوسف المخلصي

تعريب : الأب يوحنان جولاغ

بإذن الرؤساء

مقـــدمة

تتخلل السنة الليترجية اعياد خاصة بمريم العذراء . فيها نتوجه بالصلاة الى مريم ، ونحاول الاقتداء بمثالها الرائع في حياتنا اليومية .

في هذا الكتاب يجد المعنيون بالتعليم المسيحي ما يساعدهم في شرح معنى هذه الاعياد . وعليهم ايضا تكييف المعنى حسب المستويات التي يشرحونه لها . لان الكتاب ليس موجها الى فئة محددة من الاعمار .

وقد تركت جانبا تفسير النصوص الكتابية الواردة فيه . وبهـــذا الشأن يمكن الاســـتفادة من الشروحات المذكورة عن انجيـــل متى وانجيل لوقا .

وتركت المجال للمعلم لينظم مع الطلبة النشاط الديني المرغوب حول الموضوع في نهاية الدرس . فيمكنه ان يرتب طوافا في الكنيسة ، او صلاة تتلى بالتناوب . او زيارة الى مغـــارة فيها تمثال او صـــورة لمريم العذراء .. كما ويمكنه ايضا ان يناقش مع الطلاب حول القيمة الدينية او الفنية التي لهذه الصورة او تلك من صور مريم . او تخصيص دفتـر للعذراء . يرسم فيه الطلبة ، ويكتبون ، ويلصـــقون الصور .. ومن المحبذ اجراء النقاش مع البالغين حول نصوص من الكتاب المقدس . فهناك نصوص مختارة بعد نهاية كل موضوع . وكالمعتاد . ينبغي الاستفادة من ذكاء الاولاد . واســـتغلال مواهبهم لجعل الدروس مشبعة بالحيـــوية المثمـــرة .

ننهي الكتاب بصلوات مختارة ، يعرفها الكثيرون . قد تساعدنا في لقاء تاملي مع امنا السماوية .

ايتها العذراء مريم . يا نجمة في الظلام

نوّري لنا الطريق الذي يقودنا الى يسوع

آمـــين ..

الاب فرنسيس يوسف المخلصي

مريم في الطقس الكلداني

يعتبر طقس كنيسة المشرق احـــد الفروع الاولى من الليترجيـــا الناشئة ، فهو وليد المسيحية في مهدها . ان المكانة التي تشغلها مريم فيه تجعلنا نحس بدوافع الحب لدى المسيحيين الاولين للعذراء القديسة .

نتكلم عن هذه المكانة بايجاز . قبل الحديث عن اعياد مريم بالتفصيل :

١ ـ القـــداس :

بعد صلاة التقدمة . يغطي الكاهن الخبز والخمر بالمنديل ، ثم يذكر حالا العذراء مريم والقديسين ، ولكنه يذكر مريم اولا . بهذه الصـــيغة الثابتـــة :

« المجد للاب والابن والروح القدس . على المذبح المقدس ، نذكـــر دائما العذراء مريم ام الله » .

(ويرد اسمها ايضا في التضرع الذي يرفعـــه الكاهن بعد كلام التأسيس) .

٢ ـ الصلاة الفرضية :

تعطي الصلاة الفرضية مكانا بارزا للعذراء مريم . فالصلاة موجهـــة اليها ثلاث مرات في الاسبوع ومرتلة ، بعد الصلوات الموجهة الى الله او الى المسيح . فهي التي « ولدت الدواء الذي يشفي أولاد آدم » وهي « العذراء القديسة ، ام يسوع ، المخلص » ، « أم ملك الملوك » . شفاعتها تنـــال « الرحمة للخطاة ، والسلام للعالم ، وللكنيسة ، النجاة من الاشرار » ، وتنال ايضا « ايقاف الحروب » ، و « البركة لفصول السنة » واخـــيرا « الدخول الى الملكوت » .

ومن ضمن التراتيل الخاصة بالشهداء ، والتي تتلى يوميا ، هناك ترتيلة خاصة بمريم .

الطقس الكلداني يكرس يوم الاربعاء لمريم العذراء . فالصلوات تذكرها بكثرة . ومنها الصلاة التالية : « ايها الربّ الهنا ، البسنا سلاحا قويا لا يقهر ، بصلوات الام المباركة الطوباوية مريم العذراء ، واعطنا معها نصيبا في السعادة السماوية » .

٣ ـ الاعياد المريمية :

واقدمها ثلاثة اعياد وهي :

ا ـ عيد تهنئة العذراء (٢٦ كانون الاول) :

جريا على العادة الشرقية الشعبية ، طقس الصلاة يهنىء مريم بميلاد المسيح . وهذه التهنئة تعبير عن اللطف والمودة . وبهذه المناسبة تقال ترنيمة حلوة الفها كيوركيس وردا في القرن الثالث عشر ، تبدو مريم فيها من خلال صور رمزية مأخوذة من العهد القديم :

فهي الشجرة المدهشة
التي حملت ثمرة عجيبة ...
وهي الصخرة الصلبة
التي منها طلع ينبوع ...
وهي العليقة المذهلة
المتقدة بالنار ....

ب ـ عيد حافظة الزروع (١٥ ايار) :

في هذا العيد يتضرع الشعب الى العذراء طالبا حمايتها للحصاد المقبل . والطقس الكلداني يشدد بنوع خاص على قدرة مريم في الشفاعة ، للجماعة وللعالم كله ، اذ يقول : « ايها المسيح الذي استجبت طلبات أمك حينما كانت على الارض ، وتستجيب الآن وتساعد دائما الملتجئين اليها ، واليك بوساطتها ، ارحمنا » .

ج ـ عيد انتقال العذراء (١٥ آب) :

وهو اكبر عيد للعذراء مريم . فيه تقليد محلي قديم يتماشى مع العادة الجارية بتقديم التعازي للعائلة لدى وفاة احد افرادها . انه يوم رقاد مريم . رقاد محاط بأمور مذهلة : فالرسل حضروا بشكل عجائبي لدى العذراء الراقدة . والموتى منهم قاموا . والاحياء اقبلوا من روما ، والهند ، وتركيا . مدفوعين بقوة غريبة . كما حضر اليها الانبياء والملائكة . ان الفردوس برمته حضر لديها . انه مشهد تقوي . من صنع المخيلة الدينية ، التي تصور رقاد العذراء وكأن السماء هبطت الى الارض ، لترفعها من الارض الى السماء . فلا خط فاصل بينهما . والتعازي انقلبت الى اجلال . عندما تنتهي الصلاة ويحترق البخور ، نستدل على شيء واحد هو ان جسد مريم قد توارى ، لان مريم انتقلت الى السماء بصحبة الملائكة . وهذا الامر ليس توهما ، انه حقيقة ناصعة .

لا شك ان هذه الاعياد التقليدية الثلاثة راسخة في عادات الحياة اليومية : فالناس يعرفون معنى التهانيء بمناسبة ولادة ، ومعنى التعازي بمناسبة وفاة . كما ان توقع المناخ الطيب والمطر امر بديهي لدى الناس العائشين في حضن الطبيعة والخاضعين لها . والمسيحيون في ما بين النهرين يعتبرون مريم مندمجة في حياتهم . اللاهوتيون يشرحون الاسرار ، اما هؤلاء الناس ، فهم يعيشونها . وعبادتهم للعذراء امر طبيعي لا بديل عنه مثلما لا بديل عن شمس الصباح وعذوبة المساء .

وللعذراء اعياد اخرى ادخلت الى السنة لطقسية فيما بعد ، وهي : البشارة ، الزيارة لاليشباع ، ولادة مريم ، والحبل بلا دنس ـ انها تشكل اكليلا من الدرر حول الاعياد التقليدية الثلاثة . ولها ما لها من عمق في الحياة اليومية ، بعيدا عن كل عاطفة سطحية . فمريم ام ، كسائر الامهات ، ومريم بتول ، كسائر الفتيات ، لكنها مستنيرة بفعل الروح القدس ومتميزة بالامومة الالهية . من يدعو مريم ، فهو يريد ان يعيش حياته على الارض ، مستلهما نعمة الله .

١ ــ عذراء لورد

يقع عيدها يوم ١١ شباط .

في كنائس واديرة عديدة نجد مغارة شبيهة بالمغارة التي ظهرت فيها مريم العذراء في مدينة لورد (جنوب فرنسا) .

١ ــ قصة برناديت سوبيرو :

جرت قصة برناديت قبل مئة سنة تقريبا ، في جنوب فرنسا ، في بلدة تدعى لورد ، حيث كانت تسكن مع ابويها واخوتها الثلاثة . العائلة تعيش حالة فقر شديد .

برناديت تعمل كراعية غنم في قرية مجاورة . وبما انها راعية ، فهي تحب يسوع « الراعي الصالح » ، وتعرف مدى عناية الراعي بغنمه . وتعلم ان عناية يسوع بها لا تفارقها لحظة واحدة . برناديت تتلقى التعليم المسيحي في العائلة التي تعمل لديها ، لكنها لم تتح لها فرصة الاحتفال بالتناول الاول . لذلك عادت الى بلدتها استعدادا للمناولة الاولى .

ا ــ الظهورات :

في يوم ١١ شباط سنة ١٨٥٨ ، جرى لبرناديت امر غريب وخاص غير مجرى حياتها كلها ، وكان عمرها حينذاك ١٤ سنة . في ذلك اليوم ، والمناخ بارد جدا ، وبعد وجبة الفطور ، قالت لها امها : « لم يبق لنا حطب في البيت » . والحطب لديهم ضروري لتدفئة المنزل وصنع الخبز في التنور . ذهبت برناديت مع اختها توانيت وصديقتها جان يجمعن الحطب من اطراف مغارة تدعى مغارة ماسابييل حيث الحطب كثير ، ولكن للوصول اليه ينبغي لهن ان يعبرن نهر الكاف . اخذت توانيت وجان احذيتهما بايديهما وعبرتا الى الضفة الاخرى . فصاحتا ان الماء بارد جدا . اما

برناديت السريعة الاصابة بالزكام ، فقد ترددت في عبور الماء البارد الذي قد يصيبها بمرض . اثناء ترددها ، وبينما رفيقتاها تعبران الى الجانب الآخر من النهر . سمعت صوت ضجة كبيرة كانه صوت زوبعة ، فاخذت تدير نظرها يمينا ويسارا تحت الاشجار القائمة على النهر ، لكنها لم تر شيئا يتحرك ، فظنت انها متوهمة . ثم حاولت عبور النهر ، فسمعت الصوت للمرة الثانية . انها تشعر الآن بالخوف ، وجسمها يتصلب ، فلا تطيق الكلام . ثم القت بنظرها الى المغارة فرات شجيرة تتحرك كانها في ريح شديدة .

روت برناديت فيما بعد قائلة : « رايت في الحال سحابة بلون ذهبي تطلع من داخل المغارة ، واذا بسيدة تخرج منها . لقد كانت فتاة جميلة ، وجمالها منقطع النظير ، حتى انني ما رايت مثل جمالها قط . وقفت السيدة على مدخل المغارة فوق الشجيرة ، واخذت تنظر الي وتبتسم لي ، واشارت الي بالدنو منها ، وكأنها والدتي . الخوف زال عني . لكنني ما كنت اعرف اين انا . بدات افرك عيني واغمضهما وافتحهما . اما السيدة فكانت واقفة في مكانها وتبتسم بوجهي ، مشيرة الي بانني لست في وهم بما يجري . ودون ان افكر بما اعمل ، اخذت سبحة الوردية وسقطت على ركبتي . فاومأت السيدة براسها محبذة عملي . ثم اخذت مسبحة بيديها كانت معلقة بذراعها اليمنى . وعندما اردت ان ابدا بتلاوة الوردية وحاولت رفع يدي الى الجبين ، ظلت ذراعي شبه مشلولة ولم استطع رسم علامة الصليب الى ان رسمت السيدة نفسها بهذه العلامة . ثم تركتني اصلي وحدي . وكانت خرزات السبحة تمر بين يديها ، دون ان تقول شيئا . لكنها بعد كل سر من اسرار الوردية كانت تقول معي : المجد للاب . . بعد تلاوة الوردية ، عادت السيدة الى داخل المغارة ، والسحابة الذهبية غابت معها » .

في اليوم التالي ، كان شوق شديد يضرم قلب برناديت للعودة الى مغارة ماسابييل لرؤية السيدة الجميلة ، وقد ظهرت لها فيما بعد مرارا عديدة . وفي احد الظهورات قالت السيدة لها : « صلي من اجل الخطأة » .

واحيانا كان البعض ايضا يعطون سبحتهم لبرناديت لتصلي بها . لدى رؤيتها العذراء . فكانت برناديت تلبي طلبهم . لكنها رأت ان السيدة لا ترغب . فراحت تصلي بسبحتها الخاصة .

ب ـ ... هذه السيدة ؟

ان السيدة الرائعة الجمال التي ظهرت لبرناديت هي مريم العذراء . ومريم بهذه المناسبة اختارت لنفسها الاسم الخاص بها وحدها . لنستمع الى تتابع الاحداث . في احد الظهورات طلبت السيدة من برناديت قائلة لها : « اذهبي وقولي للكهنة ان يبنوا كنيسة هنا » .

الى ذلك اليوم لم يكن الكاهن المسؤول مهتما بما يجري . فقد جرت ظهورات عديدة . وكان الكثيرون يرافقون برناديت لدى ذهابها للصلاة في المغارة . اما خوري الرعية فلم يذهب مرة واحدة ، لانه يريد التأكد من صحة الظهورات . وكان يقول : « قد يكون هذا كله تخيلا وهميا او خدعة محضة » .. ولما سمع طلب برناديت قال : انني لا اعرف من هي هذه السيدة . فعليها اولا ان تطلعنا على حقيقة امرها . فأتى جواب السيدة . ولكنه لم يكن بسيطا كما توقعته برناديت .

في صبيحة ٢٤ اذار سنة ١٨٥٨ نهضت برناديت من نومها مبكرة واحست باندفاع شديد للذهاب الى المغارة . وحين وصولها الى المكان اخذت تصلي . وما ان تلت العشر الاول من سبحتها الا واذا بالعذراء مريم تظهر لها . فعرضت عليها برناديت طلب الاب الكاهن قائلة : « سيدتي ، ارجوك ان تقولي لي من انت » . ابتسمت الرؤيا ولم تجب . فكررت برناديت القول مرتين . وفي المرة الثالثة . ضمت السيدة يديها المفتوحتين الى صدرها وقالت : « انا المحبول بها بلا دنس .. اريد كنيسة هنا .. » ثم غابت عنها ومحياها يبتسم .

لقد كشفت العذراء اسمها . لكن برناديت لم تفهم معناه البتة ولدى عودتها الى البيت راحت تردده في الطريق مرارا وتكرارا لئلا تنساه ذاكرتها الضعيفة .. المحبول بها بلا دنس .. المحبول بها بلا دنس ..

ولتوها دخلت لدى خوري الرعية . وحالما راته ، ودون ان تقول له صباح الخير ، اعلنت قائلة : « انا المحبول بها بلا دنس ! »

الخوري : ماذا تقولين

برناديت : السيدة هي التي قالت لي هذه العبارة !

الخوري : هل تفهمين ما معنى المحبول بها بلا دنس ؟

برناديت : كلا .. ولهذا السبب كررت العبارة طوال الطريق لئلا انساها .

٢ ـ عقيدة الحبل بلا دنس :

وانت ايها القارىء ، هل تفهم معنى الحبل بلا دنس ، هذا الاسم الذي تسمت به العذراء مريم لدى ظهورها في مدينة لورد ؟

معنى هذا ان العذراء مريم ، منذ اللحظة الاولى من وجودها على الارض ، كانت مصونة من الخطيئة الاصلية .

في سنة ١٨٥٤ ، اي اربع سنوات فقط قبل ظهورات العذراء في لورد ، اعلن البابا بيوس التاسع هذه الحقيقة عقيدة ايمانية . وصرح البابا رسميا بان الحقيقة التي تقول ان العذراء مريم كانت مصونة من الخطيئة الاصلية منذ اللحظة الاولى من وجودها هي حقيقة اوحى بها الله . وان مريم مصونة من هذه الخطيئة ، بانعام خاص من قبل الله ، بفضل استحقاقات يسوع المسيح .

وبما ان الحبل بلا دنس عقيدة من عقائد ايماننا المسيحي الكاثوليكي ، فلا بد لنا من التحدث قليلا عن النقاط الثلاث التي يتكلم عنها البابا والتي تشرح هذه العقيدة .

ا ـ العذراء مريم مصونة من الخطيئة الاصلية منذ اللحظة الاولى من وجودها :

تقول احدى حقائق ايماننا ان البشر قاطبة ، وبدون استثناء ، مولودون تحت الخطيئة الاصلية . حتى عظام القديسين ولدوا في الخطيئة الاصلية . العذراء مريم وحدها فقط مستثناة من هذه القاعدة (وابنها يسوع ايضا) . وهذا الاستثناء يجعلنا نرى المكانة الفريدة التي تشغلها مريم بين البشر . وكأننا معها في الفردوس الارضي من جديد ، قبل خطيئة ادم وحواء . ان مريم منذ اول لحظة من وجودها على الارض ، كانت في مودة تامة مع الله .

ب ـ بانعام خاص من الله :

كيف يمكن يا ترى ، ان تكون مريم وحدها بين سائر الناس ، حالة فريدة ، ومحبولا بها بلا دنس الخطيئة ؟ ذلك لان الله اراد ان تكون اما ليسوع ، ولم يقبل ان تكون ام ابنه تحت سلطة الشر ، ولو للحظة واحدة . فالله تدخل لصالح مريم وصانها من الخطيئة الاصلية ، وهذا الانعام الخاص لم يمنحه الله لانسان اخر بعد ذلك .

ج ـ باستحقاقات يسوع المسيح :

وهناك امر آخر يجعل الحبل بمريم بلا دنس حالة خاصة جدا ، نحن نؤمن بأن البشر جميعا نالوا الخلاص ويدخلون الى السماء بفضل حياة يسوع المسيح وموته . ولكن لما ولدت مريم لم يكن يسوع ابنها قد اتى الى هذه الدنيا . ومع ذلك فمريم مصونة من الخطيئة الاصلية . الا تكون هي الاخرى قد نالت الخلاص بالمسيح ؟

اجل . . اذ يقول البابا بصريح العبارة في اعلانه هذا ، ان مريم قد نالت هذا الانعام : « نظرا الى استحقاقات يسوع المسيح » . ان الله بسابق علمه عرف ان ابنه سيكمل ارادته ، وهكذا ينال الغفران لجميع الناس . فاستثنى وطبق مسبقا ، استحقاقات ابنه ، على مريم . فكانت هي الاولى التي استفادت من الخلاص الذي تحقق بموت يسوع .

هكذا نفهم الحبل بلا دنس . ولكن لا ننسى ان برناديت في لورد لم تر من هذه الحقائق كلها الا مشهدا بسيطا جدا . فهي كانت تشاهد سيدة جميلة جدا لا مثيل لها بين النساء . وهذه السيدة كانت ام يسوع . فلم يستطع اقل ظل للخطيئة ان يشوه جمالها . ونحن ايضا ، مثل برناديت ، ننظر الى هذه السيدة الجميلة ونصلي قائلين : يا سيدتنا مريم ، المحبول بها بلا دنس ، صلي لاجلنا نحن الخطاة .

٣ ـ تحريرنا من الخطيئة الاصلية :

مريم وحدها هي المحبول بها بلا دنس . وهي وحدها كانت مصونة من الخطيئة الاصلية منذ اللحظة الاولى من وجودها . اما نحن ، فمولودون جميعا بالخطيئة الاصلية ، مثل سائر بني آدم .

ا ـ معموذيتنا :

لقد تحررنا من الخطيئة الاصلية . وهذا ليس بانعام خاص ، مثل مريم ، ولكن بنعمة مجانية ايضا .

نحن بالذات ، لا نستحق ان نكون محررين من الخطيئة الاصلية . واذا ما غفر الله لنا هذه الخطيئة ، فهذا ليس باستحقاق منا . بل لان الله ينظر الى استحقاقات يسوع المسيح ، ويطبق علينا ثمار موت يسوع الفادي . هذا ما يصنعه الله لنا وقت اعتماذنا باسم يسوع . فعندما نعتمذ تزول عنا الخطيئة الاصلية . وماء المعموذية يرمز الى تطهيرنا هذا . لانه ينقينا من كل وصمة . فالولد المعمذ ليس له خطيئة .

ب ـ نبقى بلا خطيئة :

لما اعتمذنا ، كنا نحن ايضا بلا خطيئة . . كنا بلا دنس . فمن واجبنا كمسيحيين ، ان نبقى بلا خطيئة . او ان نتوب عنها كلما سقطنا فيها .

لذلك نصلي الى العذراء مريم لكي تساعدنا في صراعنا هذا ضد الخطيئة . كما كانت برناديت تصلي سبحة الوردية في لورد . ان صلاة السلام الملائكي تنتهي بهذه الطلبة : « يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلي لاجلنا نحن الخطاة ، الآن وفي ساعة موتنا . آمين » .

ونحن ايضا نقول العبارة نفسها . علمنا ان العذراء في لورد ما كانت تحبذ ان تصلي برناديت بسبحة الآخرين . وهذا يعني ان كل واحد منا ملتزم بتلاوة صلاته الخاصة ، وان يتوجه الى مريم باسمه الخاص . ولكن عرفنا ايضا ان مريم قالت لبرناديت : « صلي من أجل الخطأة » . فعلينا أن نصلي من أجل الآخرين . لذلك نصلي نحن ايضا قائلين : « صلي لاجلنا نحن الخطأة » فنحن نقول ايضا « لاجلنا » وليس «لاجلي» . اننا بهذه الصلاة ندعو العذراء مريم لكي تعين اصدقاءنا جميعا ، وجميع البشر ، لكي يطلبوا الغفران من الله بعد سقوطهم في الخطيئة ، ولكي يتجنبوها في المستقبل .

نصوص للنقاش — اشعيا ٦٦ : ١٠–١٤

يوحنا ٢ : ١ –١١

صلاة كتبتها برناديت سوبيرو في احدى مذكراتها :

رفعت نظري فلم استطع ان ارى سوى يسوع وحده

يسوع وحده هدفي

يسوع وحده معلمي

يسوع وحده مثالي

يسوع وحده دليلي .

٢ ـ سيدة المشورة الصالحة

يقع عيدها في ٢٦ نيسان . وهي شفيعة كنيسة الكلدان في بعقوبة .

١ ـ تاريخ :

ورد في وثائق تعود الى عهد البابا بولس الثاني (+ ١٤٧١) ان صورة للعذراء مريم ، سميت اولا « سيدة الفردوس » . ثم اشتهرت باسم « سيدة المشورة الصالحة » ، قد ظهرت في مدينة جينازانو الواقعة في اقليم روما . وهذا الظهور جرى يوم ٢٥ نيسان سنة ١٤٦٧ ، في كنيسة مبنية على اسم العذراء مريم . كان يشغلها الآباء الاوغسطينيون منذ سنة ١٣٥٦ .

وهذه الصورة مرسومة على طبقة من الجبس لا يتجاوز ثخنها ثخن ورقة كارتون ، في ذلك اليوم ظهرت الصورة فجأة في الكنيسة ، معلقة في الهواء دون سند ظاهر ، فأخذ الناس يلتمون حولها ويتعبدون لها . وبدأ عدد الزوار يزداد يوما بعد يوم الى مدينة جينازانو . وقد جرت هناك عجائب كثيرة . بعد ظهور الصورة بيومين ، وضع سجل خاص لتدوين العجائب . في شهر تموز كلف البابا بولس الثاني اسقفين للقيام بفحص دقيق للصورة ، ومراقبة الاحداث الجارية في الكنيسة . وقد فقد نص التقرير الذي قدماه ، ومع ذلك ، ومهما كان فحوى التقرر ، فقد ازداد التعبد لصورة العذراء بدون انقطاع ، سنة ١٦٣٠ سافر البابا اوربانوس الثامن يحج الى سيدة المشورة الصالحة . وخليفته البابا اينوشنسيوس الحادي عشر ابدى اهتمامه بالامر ، فعمل على تتويج العذراء سنة ١٦٨٢ . وفي سنة ١٧٢٧ تم تنظيم صلاة فرضية وقداس خاص لسيدة المشورة الصالحة يقيمهما كهنة مدينة جينازانو . وفي سنة ١٧٥٣ تشكلت اخوية تقوية اكراما للعذراء سيدة المشورة الصالحة ، وكان من ضمن اعضائها

البابا بنديكتوس الرابع عشر والبابا بيوس التاسع . والبابا ليون الثالث عشر . على التوالي . وكانت الغفرانات والانعامات البابوية تشجع الحجاج على القدوم للصلاة امام الصورة العجائبيه . في سنة ١٩٠٣ رفعت كنيسة الآباء الاوغسطينيين الى مقام « كنيسة رئيسيه من الدرجة الثانية » . وفي السنة عينها سمح ليون الثالث عشر باضافه لقب « ام المشورة الصالحة » الى طلبة العذراء . بعد لقب « يا اما عجيبة » .

وفي الوقت الحاضر يجري الاحتفال بعيد العذراء سيدة المشورة الصالحة على نطاق عالمي في الكنيسة الكاثوليكية . في اليوم السادس والعشرين من شهر نيسان .

٢ ـ معنى العيد :

ان النظر الى صورة سيدة المشورة الصالحة يذكرنا بقول الحبيبة في نشيد الاناشيد ٦:٢ ، القائل : « شماله تحت راسي ويمينه تعانقني » . انها صورة انسانية جدا ومفعمة بالرقة . فالطفل يسوع وضع ذراعه اليمنى حول عنق والدته . ويده اليسرى ممسكة بطرف ثوبها . ووجهه اللطيف محدق بوجهها . وكأنه يقول لها شيئا ، او يطلب منها مشورتها الوالدية . . بقدر ما يتاح الكلام لطفل صغير .. لان المسيح يسوع لا يختلف عن سائر الاطفال ، وقد تعلم الكلام شيئا فشيئا . والوالدة تمتلك سر الكشف عما يريد ولدها . في الصورة نرى وجه مريم ، الرقيق ، الحساس ، منحنيا نحو الطفل ، طافحا بعظيم الحب الذي تكنه مريم ليسوع ، ومعلنا انها تفهم ايضا ما يريد ان يقول لها . بالقول والعمل سوف تعلم مريم طفلها ما ينبغي له فعله .

كذلك ندنو نحن ايضا من مريم العذراء ، طالبين مشورتها في احداث حياتنا : «يا مريم ، ان وضعي كذا وكذا . . قولي لي ماذا علي ان افعل » .

ا ـ مشورة العذراء :

لا مجال للشك في ان العذراء تعطينا مشورتها ، يبقى اننا غالبا ما نحدد مسبقا نوع المشورة والمعونة التي كان ينبغي للام السماوية ان

تعطيها لنا . . . اننا لا نسمع لما تقوله لنا ، فعلينا ان نتوجه اليها منفتحين لها بصدق ونزاهة .

كيف تخاطبنا مريم ؟

في الانجيل تعطينا مريم مشورة لا تنسى ابدا . فهي تقول لنا : « كل ما يقوله لكم اعملوه » (يوحنا ٢:٥) . انها مشورة اساسية . واذا كنا لا نريد التمسك بها ، فلا داعي لننتظر شيئا آخر ، لان المسيح هو مثالنا في كل وضع نعيشه . فينبغي لنا ان نتصرف كمسيحيين . وهذا هو لب الانجيل ، كمشورة الهية تعلمنا اية عواطف نكنها في قلبنا ، واية فضائل نتحلى بها في افعالنا . ان هذه المشورة كانت كافية لكثيرين لكي يتخذوا مقاصد صالحة .

صحيح ان المشورة التي تدعونا الى اتخاذ يسوع وانجيله مثالا لحياتنا الشخصية قد تبدو احيانا شمولية جدا . فلا نعرف كيف نقتدي بيسوع ، ولا كيف يتصرف هو لو كان في مكاننا .

في هذه الحالة ينبغي لنا ان نتصرف حسب ضميرنا . والضمير المسيحي ينطلق من مبادىء مسيحية . وهذا الضمير يستجيب لمشورة مريم القائلة : « كل ما يقوله لكم افعلوه » . وفي هذا المجال لنا أيضا مشورة الاصدقاء العقلاء ، والافكار النيرة التي تخطر في الذهن ، والتفكير الدقيق في مسألة ما . . هذه الوسائل وغيرها كثيرة ، ممكن ان تتخذها مريم لاسداء المشورة لنا .

ب ـ المشورة ليست امرا :

ان المرء ليس ملتزما بالعمل حسب المشورة الفلانية . ويمكنه ان يطلب المشورة من اشخاص عديدين . ثم يختار الراي الذي يبدو له اكثر صوابا . وهذا حتى بالنسبة الى المشورة التي تقدمها مريم العذراء .. لان القرار الاخير متوقف علينا . ان مريم تدلنا لى الطريق ، وهو دائما الطريق المؤدي الى يسوع وابيه السماوي . . ولكن السير فيه رهن بارادتنا ، لاننا دائما احرار امام الله .

لقد كتب القديس اوغسطينوس قائلا : « ذاك الذي خلقك بدون ارادتك ، لا يخلصك بدون ارادتك » . هذه الحرية الاساسية هي الحق العظيم الذي منحه الله لنا ، ولا يمكن لانسان ان يتخلى عنه ابدا .

بهذه الحرية تماما اخترنا ان نكون مسيحيين . بملء حريتنا نسلك الطريق المؤدي الى الملكوت السماوي . وبهذه الحرية نطلب مشورة تلك التي قادت اولى خطوات يسوع وظلت معه حتى قمة الجلجلة . ان نظرها ، كما هو في الصورة ، يرنو الينا ويشملنا بألحاظه الردية . اننا نبقى دائما : « الصغار في ملكوت الله » ونبقى « خطأة » . وهي تتحفنا بمشوراتها كلما سألناها .

قراءة : يشوع بن سيراخ ٢٤ : ٢٣ـ٣١ لوقا ١ : ٢٦ـ٣٢

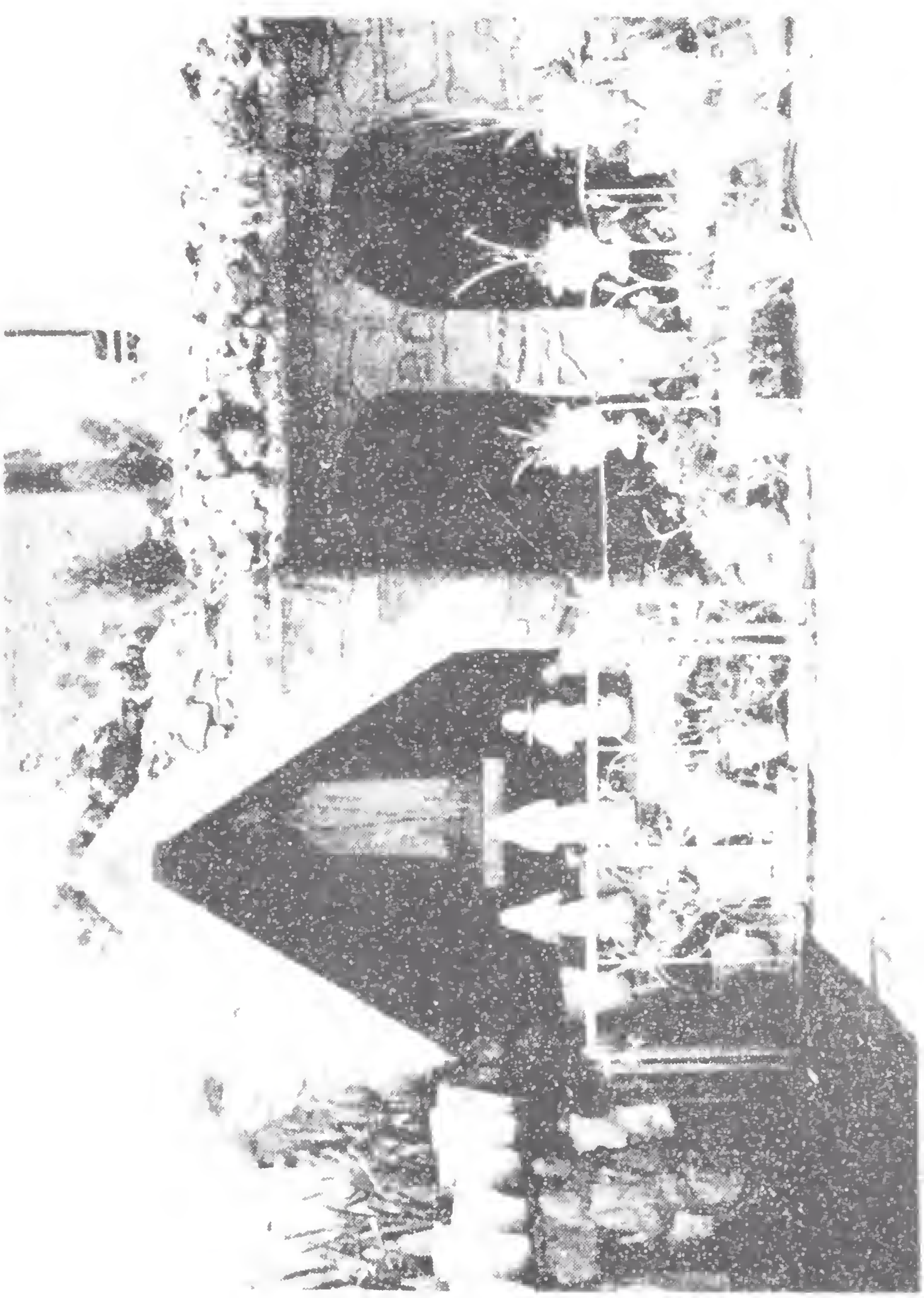

٣ ـ عـذراء فاطمـة

يقع عيدها في ١٣ أيار .

وهي شفيعة كنيسة الآباء الكرمليين . وكنيسة سلطانة الوردية في بغـــداد .

١ ـ ثلاثة أولاد :

هناك في البرتغال . على بعد ١٣٠ كم الى الشمال من لشبونه ، قرية صغيرة . كانت في السابق مجهولة جدا ، تدعى فاطمة . جرت فيهـــا احداث لثلاثة اولاد ، احداث غريبة رائعة ، لا يصنعها الا الله وحده . وقد جرت هذه الاحداث خلال الحرب العالميـــة الاولى (١٩١٤-١٩١٨) . في فاطمة آنذاك لم يكن لا راديو ولا جرائد ، والاولاد الثلاثة ما كانوا يعلمون شيئا من اخبار الحرب ، بل كانوا يعيشون حياتهم بســكينة لا تكدرها همـــوم .

من هم ؟ وماذا جرى لهم ؟

هؤلاء الثلاثة هم : لوسيا دوس سنتوس وهي اكبرهم سنا ، ولدت يوم ٢٢ اذار سنة ١٩٠٧ ، وكانت الاخيرة لعائلتها التي رزقت خمســة اطفال . اما ابنة عمها المدعوة ياسنتا مارتو فكانت تصغرها بثلاث سنوات ، ومعهما اخوها فرنسيسكو ، وهو اصغر من اخته بسنتين . هــذا الاخ والاخت كانا الاصغرين بين اخوتهما الاحد عشر .

هؤلاء الاطفال الثلاثة لم تتح لهم الفرصة للذهاب الى المدرســة ، فكانوا لا يعرفون القراءة والكتابة .

انهم كسائر الاولاد الاعتياديين ، بما لهم من مزايا واخطاء .

ياسنتا شديدة الاحساس ، يكفيها ازعاج بسيط مما يحـدث بين الاولاد اثناء اللعب ، لكي تنكفيء على نفسها جامدة في زاوية ، ولا تعـود الى اللعب ثانية رغم كل الملاطفات والاقوال الطيبة التي تكال لهـــا ، بل ينبغي ان تختار هي نوع اللعب ، والرفاق الذين يلعبون معها من جديد . ومع ذلك فهي لطيفة جدا ورزينة .

اما لوسيا فلها شيء من الإعجاب بالذات ، ترتدي ايام العيد ثيابا جميلة فتلتم حولها رفيقاتها معجبات بها ، وهي تشعر بينهن بالغنج والدلال .

العذراء مريم قالت ذات يوم عن فرنسيسكو انه ينبغي له ان يصلي كثيرا لكي يدخل الى السماء . وهذا يعني ان الصلاة التي كان يتلوها هؤلاء الاولاد الثلاثة لم تكن مثالية دائما . وقد اوعز اليهم اهلهم بتلاوة الوردية يوميا . اما هم فكانوا يفضلون اللعب ، ويبحثون عن وسيلة ما لانهـــاء الوردية بسرعة . فكانوا يمررون الخرزات بين الاصـــابع ، وعوض تلاوة السلام الملائكي كاملا ، كانوا يكتفون بالكلمتـــين الاوليين ، فيقـــولون : « السلام عليك .. السلام عليك .. » وبهذه الطريقة كانوا ينتهـــون من الوردية بوقت قصير .

ولكن رغم هذه الاخطاء الصبيانية ، كان هؤلاء الثلاثة يحبون يسوع كثـــيرا .

في ذلك الزمان ما كان الاولاد في فاطمة يحتفلون بالتناول الاول الا بعد بلوغهم السنة العاشرة من العمر . ولوسيا رغم جهلها القراءة والكتابة كانت تعرف التعليم المسيحي معرفة جيدة تؤهلها للتناول في سنها السابعة ، هذا الاستعداد كان حافزا لفرنسيسكو وياسنتا لاكتساب المعرفة الكافية في التعليم المسيحي . فكانا يتمنيان ان يستطيعا التناول هما ايضا قبل السن العاشرة . فطلبا من لوسيا ان تعلمهما ما تعرفه هي نفسها . وكانت ياسنتا الصغيرة ، تلقي أسئلة كثيرة حول التناول وحضور يسوع في البرشـــانة المقدسة .

ذات يوم جرى إحتفال في فاطمة بمناسبة عيـــد القربان الاقدس . وكان اطفال يسيرون امام المظلة التي تسار البرشانة المقدسة تحتهـــا في شعاع القربان ، وهم يلقون الزهور حول الشعاع الذي كان يحمله كاهن الرعية . وكانت ياسنتا من ضمن هؤلاء الاطفال . ان التطواف يثـــير مشاعرها ، وهي لا تعمل شيئا سوى التفكير في العيد . وكان منظم الاحتفال يدعو الاطفال بين حين وآخر ليلقوا بورودهم امام يسوع البرشانة . امــا ياسنتا فكانت تتساءل : « وهل سوف نرى يسوع ؟ » فقيل لها : نعم ، انه على يدي الاب الكاهن ..

انتهى الاولاد من القاء ورودهم . وياسنتا ما زالت ورودها بيـــدها . بعد الاحتفال قيل لها : لماذا لم تلقي ورودك ؟ فأجابت : « لانني لم اره ! تسألت لوسيا التي كانت تسير الى جانبهـــــا : وانت هل رأيت الطفل يسوع ؟ » .

لوسيا : كلا ، لانه غير منظور في البرشانة ، انه خفي فيها . وعندما نتناوله هو خفي أيضا .

ياسنتا : وعندما تتناولين ، هل تتكلمين معه ؟

لوسيا : نعـــم .

ياسنتا : لماذا لا ترينه ؟

لوسيا : لانه خفي عن النظر .

من الالعاب المفضلة لدى الاولاد الثلاثة كانت لعبة التسقيط ، فالذي يخسر ينفذ ما يأمره به الرابح . ذات يوم خسرت ياسنتا في هذه اللعبـــة . فأمرت بتقبيل الصليب المعلق على الحائط ثلاث مرات ، مرة عن لوسيا ، وثانية عن فرنسيسكو ، وثالثة عن نفسها . بعد ذلك قالت لوســـيا ان الصغيرة ياسنتا كانت تقبل الصليب بروحية عميقة ما نسيتها قـــط . ثم اخذت ياسنتا تمعن النظر الى المصلوب وسألت لوسيا قائلة لها : « لمـــاذا سمر على الصليب ؟ » .

ــ لانه مات من أجلنا .

ـ احكي لي كيف جرى ذلك . فحكت لها لوسيا كل ما كانت تعرفه عن آلام المسيح ، وياسنتا مصغية اليها بشغف ، ثم اردفت : « لن اقترف خطيئة واحدة بعد ، لاني لا اريد للرب يسوع ان يتألم اكثر . . » .

لما بلغت لوسيا سنها التاسعة بدات ترعى غنم والدها . لذلك ما كان رفيقاها الاثنان يستطيعان اللعب معها . فطلبا من الاهل ان يذهبا معها الى المرعى . وهكذا كان الرعاة الصغار الثلاثة يسرحون اغنامهم في الجبال يوميا .

ما كان يسوع يغيب عن ذهن هؤلاء الاولاد . ياسنتا تتشبه به ، اذ غالبا ما نراها تحمل على يديها الخرفان الصغار لئلا تتعب في السير ، وتمشي في وسط القطيع . قيل لها ذات يوم : لماذا تسيرين بين الغنم ؟

فقالت : « انني اعمل مثل الرب يسوع الذي اراه في صورة الراعي الصالح في وسط القطيع ، حاملا خروفا على يديه » .

واحيانا كان هؤلاء الثلاثة يلتهون باطلاق أصوات عالية ، فيتردد صداها في الوديان . اما ياسنتا فكانت تتلو السلام الملائكي بأعلى صوتها ، فتقول : « السلام عليك يا مريم » . وتنتظر ريثما يسترجع الوادي صدى الكلمات ، لتقول العبارة التالية .

الى الآن علمنا شيئا عن هؤلاء الاولاد ، وعن محبتهم ليسوع ومريم . فلنستمع الى ما جرى لهم هناك في أعلى الجبال ..

٢ ـ عذراء فاطمة :

ا ـ ملاك السلام :

سنة ١٩١٦ (اليوم والشهر مجهولان) كان الرعاة الثلاثة ذات يوم يلعبون بين الصخور ، والغنم تقضم العشب ، واذا بريح شديدة هبت فجأة تهز الاشجار . اضطرب لها الاولاد ، لان الجو كان لطيفا ، ولا شيء فيه ينبىء بهبوب عاصفة . ثم شاهدوا فوق الاشجار ضياءا ساطعا اكثر بياضا من الثلج . واتخذ الضياء شكل شاب يدنو منهم ، وقال لهم :

« لا تخافوا ، انني ملاك السلام . صلوا معي » . ثم سجد الى الارض حتى لامس جبينه التراب . سجد الاولاد مثله واخذوا يرددون الكلمات التي يسمعونها منه قائلا : « يا الهي ، انني اؤمن بك ، اسجد لك ، اثق بك ، احبك . اطلب منك المغفرة لأولئك الذين لا يؤمنون ، ولا يسجدون ، ولا يرجون ، ولا يحبونك » .

بعدما تلا الملاك هذه الصلاة ثلاث مرات انتصب وقال : « صلوا هكذا ، لان قلبي يسوع ومريم يسمعان صوت صلواتكم » . ثم غاب الملاك .

بعد ذلك ظهر الملاك للاولاد مرتين اخريين . في المرة الاخيرة كان الملاك يمسك كأسا بيديه ، وفوق الكأس برشانة تسقط منها قطرات دم في الكأس . ثم ترك الكأس والبرشانة معلقين في الهواء ، وركع ساجدا لهما . ثم اخذهما بيديه . واعطى البرشانة للوسيا ، ومحتوى الكأس سقاه لباسنتا وفرنسيسكو .

كان الاولاد يحسون بحضور الله فيهم ، حتى انهم ما شعروا بالحاجة الى الكشف عن هذا الظهور . بعد ايام سأل فرنسيسكو لوسيا قائلا لها : « لقد ناولك الملاك البرشانة ، ولكن ماذا اعطى لي ولياسنتا ؟ » . ياسنتا ما انتظرت جواب لوسيا فقالت : « انه ناولنا نحن ايضا . الم تر انه سقانا الدم الاقدس الذي كان يسيل من البرشانة ؟ » .. فأردف فرنسيسكو قائلا : « الآن فهمت ، كنت اشعر بأن الله في داخلي ، ولكن ما كنت اعرف كيف » .

ب ـ العذراء القديسة :

كل ذلك لم يكن سوى بداية حدث ديني سوف يؤثر في حياة المسيحيين فى البرتغال وفى العالم باسره . لقد قال الملاك : «ان قلبي يسوع ومريم يسمعان صوت صلواتكم » . وهذا القول لم يكن كلاما معسولا عابرا . لان مريم احبت هؤلاء الاولاد الاسخياء الانقياء ، وسوف تظهر لهم مرارا عديدة وتتكلم معهم .

اول ظهور حدث يوم ١٣ ايار سنة ١٩١٧ . في تلك السنة كانت ياسنتا في سنها السابعة . في ذلك اليوم انطلق الرعاة الثلاثة بأغنامهم الى مرعى يمتلكه اهل لوسيا يدعى كوفا دائيريا ، يبعد عن القرية حوالي ٣ كم ، تزينه أشجار باسقة من السنديان والزيتون ، ويغطيه عشب كثير تأكله الاغنام . وصل اليه الاولاد نحو الظهر . وقعدوا يأكلون من الزاد الذي أعدته لهم امهم .. ثم صلوا سبحة الوردية . وبعد الصلاة اخذوا يلعبون . انهم يبنون بيتا من حجارة وخشب وطين . وبينما كانوا ملتهين بهذا العمل شاهدوا ، تقول لوسيا ، شعاعا من نور كأنه برق . فظنوا ان عاصفة تحدث بعد قليل . والعاصفة تخيفهم لكن الشمس ساطعة في السماء لا غيم فيها . فلا شيء يدل على توقع عاصفة . ولكي يكونوا في مأمن من المفاجئات للموا قطيعهم واخذوا ينحدرون من الجبل . ومرة اخرى ، فاجأهم شعاع آخر من نور شدد فيهم الخوف فأسرعوا بالنزول . وفي الحال شاهدوا فوق سنديانة ، على ارتفاع متر تقريبا ، وجها سنيا بهيا ..وفي النور المحيط بالوجه لاحظ الاولاد سيدة رائعة الجمال . الظهور قريب منهم جدا ، حتى انهم راوا انفسهم محاطين بالنور الملتف حول السيدة الجميلة . استولى الرعب على الاولاد وارادوا الفرار . لكن الظهور هدأ روعهم .. فلا داعي للخوف ، لانهم سمعوا صوتا فائق النعومة والعذوبة . فتقدموا من السيدة . انها شابة ، لا يتجاوز عمرها السن الثامنة عشرة . وكل ما فيها نور ، محياها عذب لطيف ، يداها بيضاوان القتهما على صدرها . على دراعها اليمنى سبحة وردية تلمع خرزاتها كأنها من حجارة كريمة . فستانها ابيض كالثلج يغطي رجليها حتى القدمين ، يعلوه رداء ابيض ايضا فوق الرأس والكتفين وينزل الى القدمين ، مطعم بنسيج من ذهب .

ما تعب نظر الاولاد من التحديق بالسيدة الجميلة ، لوسيا علمت انها أم يسوع ، لكنها لم تجرؤ على تصديق فكرها ، فقالت لها :

ـ من اين انت ؟

ـ انني من السماء .

ـ ماذا اليت تعملين هنا ؟

ـ جئت لاطلب منكم لتأتوا هنا ستة اشهر متوالية ، في اليوم الثالث عشر من كل شهر ، وفي الساعة عينها . وفي شهر تشرين الاول أقول لكم من أنا وماذا اريد .

اخذ صوت السيدة يسحر الاولاد من جديد ، فأحسوا بسعادة عارمة . فسألتها لوسيا قائلة :

ـ انك أتيت من السماء ، هل سأذهب أنا الى السماء ؟
ـ نعم .. ستذهبين .
ـ وياسنتا ؟
ـ هي أيضا تذهب .
ـ وفرنسيسكو ؟

نظرت السيدة الى الولد نظرة ملؤها الحنان ، ممزوجة بشيء من صلابة الام وقالت :

ـ سيذهب هو ايضا ، ولكن عليه اولا ان يتلو صلاة الوردية كثيرا .
سألتها لوسيا أيضا عن مصير ابنتين من بنات القرية توفيتا مؤخرا ، فأجابت السيدة ان احداهما في السماء ، والاخرى في المطهر . والسيدة بدورها سألت الرعاة الصغار شيئا قائلة لهم :

« هل تريدون ان تقدموا ذواتكم لله ، لتقربوا له تضحيات ، وتقبلوا المحن التي سيرسلها لكم تعويضا عن الخطايا التي تهين العزة الالهية ، ولنيل التوبة للخطأة ، وتعويضا عن التجديف والشر المقترف ضد قلب مريم الطاهر ؟ »
ـ نعم نريد .
ـ « لذلك فسوف تتألمون كثيرا ، لكن نعمة الله تقويكم » . لدى التلفظ بهذه العبارة الاخيرة « لكن نعمة الله تقويكم » فتحت العذراء مريم يديها ، فشعر الاولاد ان نورا الهيا نفذ الى أعماق نفوسهم . ثم حرض الظهور الاولاد على تلاوة الوردية يوميا تلاوة خشوعية ، من أجل السلام . بعد ذلك ارتفعت ، دون ان تتحرك رجلاها ، وغابت في نور الشمس .

مكث الاولاد هناك ، تغمرهم السعادة ، لانهم شاهدوا مريم العذراء . لوسيا وحدها تكلمت معها . ثم تأكد بجلاء ان فرنسيسكو رآها ايضا ، ولكنه لم يسمع شيئا . فنقلت له البنتان أقوال العذراء . وهذا ما جرى في الظهورات اللاحقة ايضا .

ست مرات متتالية ظهرت العذراء للاولاد ، ففي اليوم الثالث عشر من كل شهر ، كان الناس من كل صوب يصطحبون الرواة الثلاثة لمشاهدة الظهور ، وكانوا يقولون : اذا لا نرى العذراء ، فعلى الاقل نرى ردود الفعل لدى الاولاد ، وهكذا نعلم ان العذراء قد ظهرت . لكنهم شاهدوا اكثر مما توقعوا . فلنتتبع قليلا ما جرى في الظهورات الاخرى .

في اليوم الثالث عشر من حزيران جرى كل شيء كالمرة الاولى . اذ طلع اولا شعاع من نور كأنه برق ، ثم ظهر الوجه المشع فوق الشجرة ، وكان جميلا كالمرة الاولى ، وهكذا كان في المرات التاليـــــة . ومن رآه ما استطاع الا ان يحبه .

فبادرتها لوسيا بالكلام قائلة لها :

– ماذا تريدين مني ؟

– عودي الى ههنا في الثالث عشر من الشهر القادم . صلي الوردية يوميـــــا .

بعد قليـــــل قالت العذراء :

– اريد أن تتعلمي القراءة ، وبعد ذلك أقول ما اريده منك .

لوسيا طلبت شفاء مريض كان اهله قد اوصوها به . فأجابت العذراء قائلة : ليتب ، وخلال السنة يشفى .

ثم سألتها لوسيا أن تأخذهم معها الى السماء . فقالت السيدة :

– عما قريب آخذ معي ياسنتا وفرنسيسكو ، اما انت فعليـــــك ان تبقي هنا لمدة أخرى . يسوع يريد ان يســـــتخدمك لتجعليني معروفة

ومحبوبة .. انه يريد ان يشكل في العالم العبادة لقلبى الطاهر . فأردفت لوسيا :

– هل ابقى وحدي اذن ؟

– كلا ، يا بنيتي ، انني لا اتركك ابدا .. ان قلبي الطاهر يكون ملجأك والطريق الذي يقودك الى الله .

ان المهمة التي القتها مريم على العالم بواسطة الاولاد الثلاثة اتضحت اكثر فاكثر الا وهي : تلاوة الوردية ، والقيام باعمال تعويضية من اجل توبة الخطأة . فمنذ ذلك الحين أخذ الاولاد يؤدون هذه المهمة بحماس اشد ، وخاصة بعدما راؤا في احد الظهورات بعض الهالكين في جهنم .

كما ان العذراء طلبت منهم ان يعملوا تناولا تعويضيا كل اول سبت من الشهر وان يتكرس العالم لقلبها الطاهر ..

جرى الظهور الاخير في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ . وحينها كانت فاطمة تعج بالناس الذين يتراوح عددهم ما بين الخمسين والسبعين الف نسمة . هؤلاء الجماهير الغفيرة شاهدوا ثلاث مرات سحابة بيضاء تنزل على مكان الظهورات وترتفع كل مرة الى السماء وكأنها سحابة من بخور اجلالا للام السماوية .

قالت لوسيا للعذراء :

– من انت وماذا تريدين مني ؟

– انا سيدة الوردية ... لقد اتيت احرض المؤمنين على تغيير حياتهم ، وان لا يغيظوا الرب بخطاياهم التي يغيظونه بها كثيرا ، وان يتلوا سبحة الوردية ، وان يصلحوا سلوكهم ويتوبوا عن خطاياهم . واريد أن يبنى هنا معبد اكراما لي . اذا أصلح الناس سيرتهم ، تنتهي الحرب عما قريب ، واستجيب صلواتكم ..

وفي الظهورات شوهدت الشمس تدور ، وكان الجو ممطرا يومذاك، لكن الشمس ظهرت من بين الغيوم واخذت تدور حول نفسها بسرعة رهيبة كما تدور عجلة مسرعة ، وبدأت تنتشر منها حزم من نور في كل الاتجاهات وتبدو صفراء او خضراء او حمراء او زرقاء او بنفسجية ، ولونها يغطي غيوم السماء والاشجار والصخور والناس ، دارت الشمس مرتين بهذا الشكل . وفجأة طلع صراخ مرعب من كوفا دائيريا . والشمس سقطت من السماء حتى خيل لاولئك الناس انها تحطمهم . فخر الجميع على الركب ، متيقنين انها نهاية العالم ، ثم انتهى مشهد الشمس الدائرة وقد استمر عشر دقائق ، وشاهده جميع الحاضرين فى فاطمة ، ولم يلاحظه اي مرصد جوي ، وكأن هذه الاعجوبة لم تظهر الا لاولئك الذين اقبلوا يعلنون ايمانهم بعذراء فاطمة .

ببطء بالغ كان الناس يتركون المكان الذي شاهدوا فيه هذه الاعجوبة المذهلة ، وكانوا يتحدثون عنها في كل مكان ، حتى ان الجرائد المعادية للدين تحدثت عنها طويلا .

٣ ـ الاستجابة لعذراء فاطمة :

ما اجمل الكلام عن ظهور العذراء . لكنها اتت حاملة رسالة الينا . وهي لا ترضى عنا الا بقدر ما نحيا حسب محتوى رسالتها ... لنر ماذا فعل الاولاد الثلاثة تجاوبا مع مطاليب العذراء في فاطمة .

ا ـ تلاوة الوردية :

لقد كان الاولاد الثلاثة يتلون الوردية قبل الظهورات . ولكننا رأيناهم يختصرون احيانا صلاة الوردية مكتفين منها بقولهم : السلام عليك .. لا غير . بعد الظهورات قالت ياسنتا : ينبغي ان نتلو الوردية كاملة ، حتى لو بقي لنا وقت قليل للعب .. وكانوا يتلونها بعد تناول الطعام ظهرا . وغالبا ما كان فرنسيسكو يذهب وحده للصلاة ، واحيانا يتخلى عن الاكل كفعل توبة من اجل اهتداء الضالين .. فكانت البنتان تدعوانه الى الاكل ، فيجيبهما : كلا ، انني افضل البقاء هنا وحدي للصلاة .. هل تريدان ان نتلو الوردية ؟ فهاانذا آت .

واحيانا كان يتنزه في الجبل وحده ، فتصيح به البنتان قائلتين :

ـ فرنسيسكو ، ماذا تعمل ؟ فكان يريهما سبحة الوردية .

ب ـ الصلاة من اجل الخطاة ـ افعال تعويض لتوبة الخطاة :

ذات يوم اصيب فرنسيسكو بوجع شديد في الراس ، وكانت بقربه لوسيا وياسنتا ، فطلب منهما التكلم بهدوء . ياسنتا اقترحت عليه تقديم هذا الوجع من اجل الخطأة ، فأردف اخوها قائلا : اجل ، انني اتحملـه حبا بيسوع ومريم ، ثم على نية الخطأة وسيدنا البابا .

حكت لوسيا القصة التالية : كان في قريتنا امراة ترمينا بكلام جارح كلما رأتنا . فقالت يا سنتنا : ينبغي ان نطلب من العذراء ونعمل اماتة من اجل توبة هذه المراة . ذات يوم كنا نمر امام منزلها . فتوقعت ياســنتا فجأة وقالت : اليس هذا منزل المرأة ؟ اجل ، فلنجزم على انفسنا بان لا نلعب بعد . فهذه تضحية نقدمها من اجل توبة الخطأة . ثم رفعت يديها وعينيها الى السماء لتقدم تضحيتها ، والمرأة كانت تلاحظها من خلال شباك صغير . بعد حين حكت لوالدة لوسيا ان حركة ياسنتا اثرت فيها تأثيرا عميقــا بحيث لا حاجة لها الى اثبات اخر على صحة ظهورات العذراء . ومنذ ذلك اليوم انقطعت عن اهانة الاولاد الثلاثة ، لا بل انها طلبت منهم ان يسألوا العذراء لتغفر لها خطاياها .

ج ـ تناول تعويضي كل اول سبت من الشهر :

لم يتمكن فرنسيسكو وياسنتا من تكميل هذا المطلب . فرنسيسكو تناول مرة واحدة وهو على فراش الموت . وياسنتا لم تذق هذه السعادة مطلقا .. فقد تمرضت ، واستطاعت ان تعترف للمرة الاولى ، وكان الكاهن ينوي ان يأتيها بالقربان في صباح الغد ، فقالت لــه ان الغــد بعيد لانني مائتة اليوم ، لم يصدقها الكاهن لان سحنتها كانت جيدة .. غير انهـا توفيت فعلا في الساعة العاشرة والنصف مساء دون ان تتمكن من اقتبال سر القربان لمرة واحدة .

اما لوسيا فقد دخلت الى دير الراهبات الكرمليات ، وما زالت على قيد الحياة حتى هذه السنة وهي سنة ١٩٨٢ وعلاوة على ظهورات فاطمة فقد حضرتها العذراء مريم بظهورات خاصة . في احد هذه الظهورات قالت العذراء : انني اعد في ساعة الموت ان اعين بالنعم الضرورية للسعادة الابدية أولئك الذين يعترفون ويتناولون ويتلون الوردية كل اول سبت من الشهر ولمدة خمسة اشهر متوالية . يعيشون بصحبتي لمدة ربع ساعة في تأمل اسرار الوردية ، وهكذا يقومون بفعل تعويض لقلبي الطاهر . من صمت دبرها صارت لوسيا رسولة اول سبت .

ان التعبد خلال السبوت الخمسة شبيه جدا بالتعبد خلال تسعة ايام الجمعة الاولى من كل شهر اكراما لقلب يسوع الاقدس . وبين العبادتين رابطة قوية . لان قلب يسوع الاقدس وقلب مريم الطاهر لا يفترقان .

قراءة :

سفر الرؤيا	٢١ : ١ – ٥
عبرانيين	١٠ : ٤ – ١٠
يوحنا	١٩ : ٢٥ – ٢٧
لوقا	١٣ : ١ – ٩

ملاحظة حول تلاوة الوردية .

في بداية كل سر تتلى صلاة الملاك التالية : « يا الهي ، انني اؤمن بك ، اسجد لك ، اثق بك ، احبك ، اطلب منك المغفرة لاولئك الذين لا يؤمنون ، ولا يسجدون ، ولا يرجون ، ولا يحبونك » .

وفي نهاية كل سر تقال الكلمات التي علمتها العذراء مريم وهي : « يا يسوع ربي ، اغفر لنا خطايانا ، انقذنا من نار جهنم ، خذ الانفس جميعا الى السماء ، وخاصة الانفس المحتاجة اكثر الى رحمتك »

– الاعتراف والتناول في خمسة سبوت اولى من الشهر . وتلاوة الوردية في تلك الايام ، وتخصيص ربع ساعة للتأمل امام العذراء مريم .

٤ ـ العذراء حافظة الزروع

يقع عيدها في اليوم الخامس عشر من شهر ايار ، وهي شفيعة دير السيدة في القوش ، وعلى اسمها اقيمت كنيسة الكلدان في البياع ـ بغداد ـ ودير الراهبات الدومنيكيات للقديسة كاترينا في بغداد .

١ ـ العيد .

ان اسم دير السيدة في القوش لا يجهله احد .. والدير بدأ انشاؤه في سنة ١٨٥٨ ، واكبر عيد للدير يصادف اليوم الخامس عشر من شهر أيار اكراما للعذراء حافظة الزروع .

في ذلك اليوم يأتي الناس الى الدير من المدن والقرى المجاورة باعداد غفيرة ، فتقام الصلاة ، وتلقى موعظة في الحاضرين ، ثم يخرج الجميع بالتطواف حول الدير حاملين صورة العذراء لتبريك الحقول .

في هذا الاحتفال ترفع الصلاة الى الله بشفاعة العذراء مريم ليحفظ الزروع من كل الآفات الزراعية ، والمصلون يشكرون الله على المطر الذي نزل في حينه فنمت الزروع ونضجت للحصاد . ان فكرة هذا العيد مركزة على الحقول نظرا لاهميتها الكبرى في حياة الناس ، وبالاخص الفلاحين منهم .

في البياع ـ بغداد ـ كنيسة اخرى ، شفيعتها العذراء حافظة الزروع ، في ذلك اليوم يأتي غبطة البطريرك ويحتفل بالقداس في الكنيسة ، ويلقي موعظة حول معنى العيد ، ويوزع صور العذراء مريم على الحاضرين .

وفي جبل لبنان في قرية طبرية كنيسة اخرى على اسم مريم حافظة الزروع . في الخامس عشر من ايار يجتمع اهالي ثلاث قرى مجاورة في الكنيسة ويقيمون القداس ويصلون الى العذراء لتبارك الحقول .

ان هذا العيد ليس تعبيرا عن عبادة خاصة باحدى صفات مريم المعروفة في احد الظهورات او في قصة من الانجيل ، وليس مأخوذا من عقيدة ايمانية . فأين موقعه اذن ؟ انه يقع بكل سهولة في حياة الانسان اليومية ، في نضاله من اجل الخبز اليومي ، في آماله وآلامه ازاء طبيعة هو خاضع لها ، وغالبا ما يبدو امامها بلا حول ولا قوة . لذلك يلتفت الانسان رافعا يديه الى الله بتوسل حار قائلا : يارب اعطنا خبزنا كفافنا اليوم . احفظ حقولنا من كل ضرر .

كما ان احتفالا كبيرا كان يجري في كنيسة فيشخابور المبنية هي الاخرى سنة ١٨٥٨ على اسم العذراء حافظة الزروع . في كل سنة وفي اليوم الخامس عشر من ايار تزدحم الكنيسة بالمصلين ، وبعد الاحتفال بالعيد يهيئون الطعام في فناء الكنيسة ، ويأخذون من دم الحملان المذبوحة ويرشونه على باب الحوش . ان الانسان بعادات كهذه يريد ان يشد الله الى حياته وحاجاته اليومية . وبما ان الكنيسة تمثل الله بيننا ، فينبغي ان يمسها دم الحيوانات التي نأكل لحمها . وهذه عادة بشرية لها آثارها العميقة في ديانتنا المسيحية ، منذ العهد القديم .

٢ ـ الصلاة من اجل الحقول .

آ ـ العهد القديم .

بعد خروج الشعب من مصر ظل تائها في البرية لمدة اربعين سنة ، وهناك اتضحت له فكرة الله اتضاحا ادق . فعلموا ان الله كائن يرافقهم في ترحالهم ، وهو دائما بالقرب منهم : في النهار بشكل صخرة يخرج منها الماء ، وفي الليل بعمود من نار يسير امامهم .

اثناء ذلك السير المضني في البرية ما كانوا يصلون من اجل الحقول التي لا وجود لها في الصحراء ، بل كان تفكيرهم متجها نحو ارض الميعاد التي تدر لبنا وعسلا ، ورجاء ان الله يحرس البلاد .

بعد وصول الشعب الى ارض كنعان لم يتخل عنه الله ، بل مكث معهم كما كان في البرية . الا ان وضعهم تبدل هناك ، فها هم الآن مقيمون بين الحقول ، ومنها يستخرجون معيشتهم .

لا بل ان سكان البلد يعبدون اله الحقول المسمى بعل ، فلم يتمالك شعب الله نفسه الا واخذ يعبد البعل هو الآخر ، لكن الله قاوم البعل وقاوم شعبه الساقط في الشرك ، مبرهنا بشكل قاطع على انه هو سيد الحقول ، اما البعل فليس سوى صنم . انه وهم لا وجود له .

في سفر القضاة نقرأ مثلا رائعا لهذه السلطة الالهية . فالله يقـــول لجدعون ان يهدم مذبح البعل .

لنقرأ الآن هذا النص الجميل في الكتاب المقدس :

« وكان في تلك الليلة عينها ان الرب قال له (لجدعون) خذ ثور ابيك الثور الثاني الذي اتت عليه سبع سنين وقوض مذبح البعل الذي لابيك وقطع الغابة التي حوله . وابن مذبحا للرب الهك على راس هذه الصخرة في المكان المعد وخذ الثور الثاني واصعده محرقة على حطب الغابة التي تقطعها . فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده وفعل كما امره الرب واذ خاف من بيت ابيه ومن رجال المدينة ان يعمل ذلك نهارا عمله ليلا . ولما بكر رجال المدينة صباحا فاذا مذبح البعل قد هدم والغابة التي كانت حوله قد قطعت وقد اصعد الثور الثاني على المذبح المبني » (قضاة ٦ : ٢٥ ـ ٢٨)

قاوم عباد البعل ما عمله جدعون [illegible]

نذكر مثلا آخر من أيام النبي ايليا .. في ذلك الزمان كان البلد يعاني من جفاف شديد . وكان الناس يتضرعون الى السماء لينزل المطر ، فقال ايليا لانبياء البعل : ادعو انتم باسم البعل ، ثم ادعو انا باسم الرب ، فنرى ايهما يرسل المطر . وبعدما دعا كلا الطرفين ارسل الله المطر بصلاة ايليا . (٣ ملوك ١٨ : ٢٠-٤٦) .

نتعلم من هذه الامثلة : ١ - ان نقر بالله وحده سيد الطبيعة ، ٢ - ان الله يريد ان ندعوه في أوقات المحن عندما لا تسير الطبيعة كما نتوقع منها .

ب - العهد الجديد .

في العهد الجديد لا يوجد نصوص لها علاقة مباشرة مع صلوات من اجل الحقول . ولكن لها علاقة مع هذا النص الجميل في انجيل متي ٦ : ٢٥-٣٣ :
« لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون ، ولا لاجسادكم بما تلبسون . اليست النفس أعظم من الطعام ، والجسد من اللباس . انظروا الى طيور السماء ، فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في الاهراء ، وابوكم السماوي يقوتها ، افلستم انتم افضل منها بكثير . من منكم يستطيع مع الجهد ان يزيد على عمره ذراعا واحدة . ولماذا تقلقون بشأن اللباس ، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ، انها لا تتعب ولا تغزل ، وانا اقول لكم ان سليمان نفسه في كل مجده لم يلبس كواحدة منها . فاذا كان عشب الحقل الذي يكون اليوم ، ويطرح في التنور غدا ، يلبسه الله هكذا ، فكم بالاحرى يلبسكم انتم يا قليلي الايمان . فلا تقلقوا اذن قائلين ، ماذا نأكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس .. فهذا كله يطلبه الوثنيون ، وابوكم السماوي عالم بأنكم تحتاجون الى هذا كله . بل اطلبوا اولا ملكوت الله وبره ، وهذا كله يزاد لكم » .

هذا النص تعبير عن الثقة الكاملة في « اله الحقول » : ان عناية الله بنا عظيمة جدا بحيث لا تحتاج الى صلاتنا . فكأن الله يقول لنا لا تطلبوا غلات وفيرة .. فهي تأتيكم ، لانني عالم بحاجتكم اليها ، ولكن اطلبوا ملكوت الله ، فهو الضروري وحده ، احبوا اباكم السماوي وكملوا ارادته كل الايام .

بأسلوب آخر يشدد القديس لوقا (١٢:١٦-٢١) على نفس الاهمية لابتغاء الله قبل كل شيء آخر : « وضرب لهم هذا المثل قائلا : كان انسان غني قد اغلت له ضيعته كثيرا . فجعل يفكر في نفسه قائلا : ماذا اصنع ، انه ليس لي موضع اخزن فيه غلالي . ثم قال : اصنع هذا ، اهدم اهرائي وابني اكبر منها ، واخزن ثمة جميع غلالي وخيراتي .. ثم اقول لنفسي : يا نفس ان لك خيرات كثيرة مدخرة لسنين كثيرة ، فاستريحي وكلي واشربي وتنعمي . فقال له الله يا جاهل في هذه الليلة تطلب منك نفسك ، فهذا الذي اعددته لمن يكون . كذلك يكون من امر الذي يدخر لنفسه ، ولا يغنى في سبيل الله » .

ج ـ الكنيسة .

المسيحيون ما اهملوا قط الصلاة من اجل المحاصيل الزراعية . والطقس الكلداني يحتوي على نماذج عديدة لهذه الصلوات ؛ والبعض منها الفها مار افرام لطلب المطر .

وللعذراء مريم مكانة بارزة في هذه الصلوات دون ريب . انها موجهة اولا الى الله الذي هو المركز ، لكن الكنيسة تتشفع بالقديسين ايضا لكي يرفعوا الصلاة الى الله معها ، ومن ضمن القديسين تأتي شفاعة العذراء لنا في المرتبة الاولى .

نقرأ في كتب الطقس اللاتيني القديمة ان المؤمنين ، قبل القرن الخامس ، كانوا يقومون بتطوافات ، يطلبون فيها من الله ان يمنحهم ازمنة حسنة ، وان يأتيهم المطر في اوانه ، واحيانا كانوا يطوفون حفاة القدمين ، وصائمين ، حاملين معهم صورة او تمثالا لاحد القديسين ، وبالاخص صورة لمريم العذراء . فالعادة المتبعة في دير السيدة قديمة جدا ، والمسيحيون يمارسونها قبل الف سنة واكثر ..

في الطقس الكلداني يعتبر عيد حافظة الزروع من أقدم الاعياد المسيحية ، كعيد الانتقال وعيد تهنئة العذراء .

ورد في كتاب كلداني منحول ، قد يرقى تاريخه الى نهاية القـــرن الخامس ، ان الرسل ، بعد وفاة العذراء مباشرة ، امروا بأن تقام ثلاثــة تذكارات خاصة اكراما لمريم في الايام التالية : في اليوم الخامس من كانون الثاني تذكار العذراء حافظة الزروع . في اليـــوم الخامس عشر من ايار تذكار العذراء حافظة المزروعات ، وفي الثالث عشر من آب تذكار العـذراء حافظة الحنطة الناضجة .

نلاحظ هنا التذكار الواقع في ١٥ ايار ، اذ يبدو انه بعد اجيال قـد استوعب التذكارين الآخرين ، لان ثلاثة اعياد متشابهة تكرار ممل . لكنه دليل على الاهمية الكبرى التي كان المسيحيون يعلقونها على حقولهم .

بعد تعيين الخامس عشر من ايار كعيد ثابت . يبدو ان العيـــدين الآخرين قد ادمجا الواحد بعيد الدنح (الذي كان يقام مع عيد الميلاد في البداية) وهو اليوم السادس من كانون الثاني ، والآخر بعيد الانتقال في اليوم الخامس عشر من آب .

٣ ـ موقفنا نحن .

أ ـ ثقة تامة .

في مثل رائع بهذا الشأن يقول يسوع : « مثل ملكوت الله كمثل انسان ألقى الزرع في الارض ، فسواء أنام أم استيقظ في الليل وفي النهار ، فالزرع ينبت وينمو ، ولا يدري كيف . فالارض من ذاتها تثمر ، تخرج الســـاق أولا ، ثم السنبلة ، ثم الحنطة ملء السنبلة . فاذا ادرك الثمر اعمل فيـــه المنجل في الحال ، لانه قد أحصد » (مرقس ٤ : ٢٦ ـ ٢٩) .

[illegible]

لكن المثل يقول لنا ايضا من جهة اخرى ان الفلاح لا يقف امام حقله متفرجا غير مبال . فقد اشتغل . وحرث الحقل ، والقى الحبوب ، وبعد هذه الجهود ينتظر بملء الثقة ريثما ينمو الزرع وينضج . انه عمل ما ينبغي عليه ان يعمله ، ثم يترك لله ما لا يستطيعه هو .

ب ـ خبز السـماء .

ذات يوم قال يسوع : « فاقتنوا لا الطعام الذي يزول ، بل الطعام الذي يبقى للحياة الابدية ، الذي يعطيكموه ابن البشر . لانه هو الذي ختمه الاب ، الله نفسه . فقالوا له : ماذا علينا ان نفعل لكي نعمل اعمال الله ؟ اجاب يسوع وقال لهم : عمل الله ان تؤمنوا بالذي ارسله ، فقالوا له : اية آية تصنع فنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تصنع ؟ ان اباءنا اكلوا المن في البرية ، على ما هو مكتوب : انه اعطاهم خبزا من السماء لياكلـوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق اقول لكم : ان موسى لم يعطكم الخبز من السماء ، ولكن ابي يعطيكم خبز السماء الحقيقي . لان خبز الله هو الذي ينزل من السماء ويهب الحياة للعالم . فقالوا له : يا سيد ، اعطنا على الدوام من هذا الخبز . فقال لهم يسوع : انا خبز الحياة . من يقبل الي فلن يجوع ابدا ، ومن يؤمن بي فلن يعطش ابدا » (يوحنا ٦:٢٧ـ٣٥) .

انا نصلي طالبين خبزنا اليومي ، اذ بدون هذا الخبز لا يمكننا ان نعيش . لكن خبز الحياة الحقيقي هو يسوع وانجيله ، هذا هو الخبز الذي يعطينا الحياة الابدية ، فاذا فقدنا الخبز اليومي الذي نشبع منه [illegible] واذا خسرنا الحياة الابدية [illegible] الخبز اليومي [illegible] [illegible]

ج ـ بشفاعة العذراء مريم .

حيثما يأتي الكلام عن يسوع ، فمريم هناك ايضا . لانها أم يسوع وامنا . للحصول على الخبز اليومي ، يقوم الاب بحراثة الارض ، والزراعة .. والام تعد الطعام وتهيىء المائدة ، وتقدم كل شيء آخر . الارض كلها ليسوع ، والى جانبه امه مريم ، بقلبها الوالدي ، تهتم بنا لذلك ندعوها لكي تتشفع لنا .

ومريم امنا شديدة الحرص علينا لنقتبل خبز الابدية ، وهي تريد منا ان « نحفظ تعاليم يسوع في قلبنا » ونغذي بها نفسنا ، كما عملت هي ايضا .

يا مريم حافظة الزروع ، صلي لاجلنا ، أتيحي لنا الحصول على خبزنا اليومي . اعطينا يسوع ، خبز الحياة الابدية .

اسئلة :

ـ لماذا نحتفل بعيد حافظة الزروع في ١٥ أيار ؟

(في هذه الايام تبلغ الزروع نضوجها ، فنسأل العذراء لكي تحفظها من الاضرار المحدقة بها وهي : التبرد (الحالوب) الحشرات الضارة ..)

ـ هل تعرف قصة راعوث ؟ (في العهد القديم) . كيف يمكن المقارنة بين راعوث والعذراء حافظة الزروع ؟

ـ هل من المعقول ان نحتفل بعيد حافظة الزروع في المدن ، حيث لا زراعة ولا حصاد ؟

ـ كيف يستطيع يسوع ان يقول بانه خبز الحياة ؟

ـ ما معنى قول يسوع ان « الانسان لا يحيا بالخبز وحده ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ؟ (متى ٤:٤)

نقاش حول نصوص مختارة من الانجيل :ـ

ـ الحصاد كثير اما الفعلة فقليلون (متى ٩:٣٧ـ٣٨) .

ـ السنابل المقلوعة . متى ١٢:١ـ٨

ـ مثل الزارع . متى ١٣:٣ـ٢٣

ـ اعطنا خبزنا كفافنا اليوم . لوقا ١١:٣

ـ هذا يزرع واخر يحصد . يوحنا ٤:٣٥ـ٣٨ .

ـ ان حبة الحنطة التي تقع في الارض ، ان لم تمت فانها تبقى وحدها ، واما ان ماتت فانها تأتي بثمر كثير . يوحنا ١٢:٢٤ .

قراءة .

سفر الخروج : ١٥:١١ـ١٨ .

اعمال الرسل : ١:١ـ٨ .

رومية (الفصل ١٦) : في هذا الفصل يبعث مار بولس السلام لعدة اشخاص ، ومنهم ماريا ، وهؤلاء جميعا ، متحدون بالمحبة المسيحية يشكلون الكنيسة ، ومريم العذراء رمز الكنيسة .

انجيل : ـ يوحنا ٢:١٢ ، متى ١٣:٥٣ ـ ٥٧ ، ١٢:٤٦ ـ ٥٠ ، لوقا ١١:٢٧ـ٢٨ .

٥ ـ مريم ملكة الكون

لهذا العيد خصص يوم ٣١ أيار .

وقد اعلنه البابا بيوس ١٢ ، في ١١ تشرين اول سنة ١٩٥٤ . فتاريخ العيد حديث ، لكن لقب « الملكة » المعطى لمريم قديم جدا .

في الرسالة المسماة (الى ملكة السماء) والتي نشرها البابا بمناسبة تعيين العيد يذكر قداسته عبارتين للقديس افرام . فهذا الملفان الكبير في كنيسة المشرق يضع العبارة التالية على فم مريم فتقول : « لتعانقني السماء ، لاني فقتها اكراما . فهي لم تصر أمك ، لكنك جعلتها عرشا لك .. فكم تكون أم الملك اكثر اكراما واحتراما من عرشه » .

وفي موضع اخر يصلي مار افرام الى العذراء قائلا : « ايتها الفتاة النبيلة والشفيعة ، الملكة والسيدة ، احفظيني ، احرسيني ، لئلا يفرح بي الشيطان صانع كل شر ، ولئلا يغلبني العدو الاثيم » .

والقديس هيرونيموس يعطي تفاسير عديدة لاسم مريم ويقول : « للعلم ، ان معنى مريم بالسريانية هو سلطانة » .

لذلك في طلبة العذراء ندعو مريم باسم سلطانة : سلطانة الملائكة ، سلطانة الاباء ، سلطانة الانبياء ، سلطانة الرسل ، سلطانة الشهداء ، سلطانة المعترفين ، سلطانة العذارى ، سلطانة جميع القديسين . ان هذه الطلبة وافقت عليها الكنيسة رسميا سنة ١٥٨٧ .

فمنذ اجيال طويلة يدعو المسيحيون مريم باسم ملكة ، ملكة الكون بأسره . وبكل حق ، لان مريم هي ام يسوع ، ملك الكون اجمع . ومع ذلك فمن المفيد لنا ان نتأمل قليلا في ملوكية يسوع ومريم . لان مظاهر كثيرة فى حياة الملوك والملكات لا تتفق مع ملوكية يسوع ومريم .

١ ـ ملوكية يسوع .

ا ـ ملك بلا قصر .

يقول انجيل القديس متى « (٢:١ـ٢) : « ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية ، في ايام هيرودس الملك ، اذا مجوس من المشرق ، قد اقبلوا الى اورشليم قائلين : اين المولود ملك اليهود ؟ فانا راينا نجمه في المشرق ووافينا لنسجد له » .

فلا هيرودس ولا سكان اورشليم يعلمون اين الملك المولود ، لا يعلم به الا الكهنة وعلماء الدين الذين يقراون الكتاب المقدس ، وهؤلاء قالوا : انه مولود في بيت لحم .

وفي بيت لحم ايضا لا يعلم به احد . في تلك الايام كانت بيت لحم تغص بالقادمين اليها للاكتتاب الذي امر به اغسطس قيصر (لوقا ٢:١ـ٦) فامتلأت المنازل والخانات بالناس ، ولكن لم يدع احد منهم انه من عائلة ملوكية . اذن اين هو الملك المولود في بيت لحم ؟

في ضواحي بيت لحم رعاة يحرسون قطعانهم في تلك المراعي . ظهر لهم ملاك من السماء وقال لهم ان هذا الطفل الملك مولود في مغارة خارج البلدة . وهؤلاء الرعاة هم اول من علموا بهذه الولادة العجيبة ، لان المولود هو المسيح ، الرب ، فنشروا الخبر بين الناس

لكن بشارة الملاك ظلت خبرا لم يعرف حقيقته الا الرعاة وحدهم . بعد حين اقبل مجوس من بعيد ، وهم ايضا شاهدوا الطفل ، فوصل الخبر الى الملك هيرودس الذي اراد حالا ان يقتل الطفل ، لكن الطفل اختفى مع مريم امه ومار يوسف ، قبل وصول الجنود .

نستنتج من هذه الامور كلها ان ملوكية الطفل المولود في بيت لحم لا يعرفها جميع الناس . لان هذا الملك لا يجده الا ذاك الذي يبحث عنه بقلب سليم . اما الذين لا يبحثون عنه ، مثل سكان اورشليم وبيت لحم فلا يعرفون اين هو .. وان كان مقيما فيما بينهم .

هكذا بدات قصة المسيح الملك . فهو ليس ملكا كسائر الملوك . انه لا فضة له ولا قصر ، ولا عبيد يخدمونه . البعض من الناس يجدونه ، والبعض الاخر يبقى خفيا عنهم ، فهل هو ملك حقيقي ؟ او ملك من نوع آخر ؟ لنستمع الى قصته كلها .

ب ـ ملك تاجه من شوك .

بعد زمان شوهد الولد في الناصرة . مع مريم ويوسف . واهالي الناصرة ايضا لا يؤمنون به . ولا يخطر في ذهنهم ان يسوع هو ملك . انهم لمدة ثلاثين سنة يعتبرونه ابن النجار لا غير .

ولكن في السنوات الثلاث الاخيرة من حياته تبدل الوضع تماما . لان يسوع بدأ يكرز ويعلم . فانكشف امره للناس شيئا فشيئا لكن اراءهم متضاربة بشأنه . انهم ما راوه يدرس ويتعلم . فمن اين له هذا التعليم الذي يلقيه على الناس ؟ لا بل وانه يصنع عجائب : فهو يمشي على الماء ، ويكثر الخبز ، ويفتح عيون العميان ... ما هذه الامور الغريبة فيه ؟ هل هو نبي ؟ هل من الممكن ان يكون هو المسيح ؟

نعم ، لقد صدقت توقعات الشعب بشأنه ، وذلك يوم السعانين ، يوم دخل يسوع الى اورشليم دخوله المسيحاني . فالناس اخذوا يفرشون ثيابهم على الطريق ، ويقطعون اغصان الزيتون ويرمونها في الطريق ، وبنشوة من الفرح يصيحون : « مبارك الملك الاتي باسم الرب ! السلام في السماء ، والمجد في العلى » (لوقا ١٩:٣٨) . ان الشعب يهتف بيسوع ملكا .

ولكن هناك ايضا من يعترض بشدة على هذا الهتاف ، فيقول : ما هو الاساس للموكية يسوع التي يريدها الشعب ؟ واين مملكته ؟ هذه الاعتراضات جابهه بها بيلاطس البنطي واخرون غيره ، لانهم لا يرون حقيقة يسوع . فسألوه عدة اسئلة قائلين : هل انت ملك ؟

فأجاب يسوع قائلا : « ان مملكتي ليست من هذا العالم . فلو كانت مملكتي من هذا العالم ، لكان رجالي يقاتلون عني فلا أسلم الى اليهود ،

ولكن ، لا .. ان مملكتي ليست من هنا . فقال له بيلاطس : انــت اذن ملك ؟ .. اجاب يسوع : انت قلت ، اني ملك . لقد ولدت وجئت الـى العالم لاجل هذا ، ان اشهد للحق . وكل من هو للحق يسمع صوتـي » (يوحنا ١٨:٣٦–٣٧) .

يبدو هذا الجواب محاطا بالسر لبيلاطس ، فهو يخشى الحقيقة ، ولا يرى صحة وجود الله ووجود مملكة الهية . بيلاطس يشك ، ولا يريـد الخروج من هذا الشك الى اليقين . لذلك رفض صوت يسوع ، واستجاب لصوت الجموع الصارخة امام قصره قائلين : « اصلبه ! » فاطلق يسوع الى ايدي الجنود ، والجنود ظفروا اكليلا من الشوك ووضعوه على راسه ، والبسوه رداء قرمزيا ، وكانوا يدنون منه ويقولون : « سلام ، يا ملـك اليهود » ويضربونه . (يوحنا ١٩:٢–٣) .

ثم كتب بيلاطس لوحة علقت على الصليب وضعت فيها هذه العبارة: « يسوع الناصري ، ملك اليهود » وقد قراها كثيرون مـن اليهود ، لان المكان الذي صلب يسوع فيه كان قريبا من المدينة ، والكتابة كانت باللغـة العبرية واللاتينية واليونانية . (يوحنا ١٩:١٩–٢٠) .

هذه هي قصة الملك الذي اقبل المجوس يبحثون عنه في اورشـليم ، الملك الذي اراده البعض ، والبعض الاخر كللوه بالشوك . لكن قصته لم تنته بعد . فهذا الذي جرى ، جرى له في الارض . أجل . ويبقى قول يسوع لبيلاطس: : « ان مملكتي ليست من هذا العالم » .

ج ــ ملك في ملكوت الله .

كأن الصخرة الثقيلة التي غطت جسد يسوع في القبر تقول : لقـد قضي على هذا الرجل : هنا يرقد ميت ! والنسوة اللواتي ذهبن لتحنيط جسد يسوع : « كن يقلن بعضهن لبعض : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . وتطلعن فابصرن الحجر قد دحرج ، وكان كبيرا جدا . فلمـا دخلـن القبر شاهدن شابا جالسا الى اليمين ، عليـــه لباس ابيض ، فارتعدن ، فقال لهن : لا ترتعدن . انكن تطلبن يسوع الناصري ، المصلوب ،

انه قد قام ، ليس هو ههنا ، دونكن المكان الذي قد وضعوه فيـــه » مرقس ، مرقس ١٦ : ٣ـ٦) .

لقد دخل يسوع اخيرا في ملكوت ابيه « وهو جالس عن يمين الله » مرقس ١٦:١٩) بمجد عظيم . لذلك فى احد ظهوراته للتلاميذ ، قـال لهم ، وبكل حق : « لقد إعطي لي كل سلطان فـي السماء وعلى الارض » متى ٢٨:١٨) . انه الملك الالهي . وهكذا في الموت تبدا الابدية حيث كل شيء يعود للـه .

٢ ـ العذراء مريم ، ملكة الكون .

حيث يسوع ملك ، فهناك مريم ملكة ، لانها أمه . وآلملك يحتـــرم والدته ، ويقول لها : ان حياتي هي منك . فكل ما اصنعه بهذه الحيـاة اصنعــه اكراما لــك .

ا ـ ملكة ، ام الاوجاع .

ان البشارة التي حملها الملاك جبرائيل المرسل من قبل الله الـــى الناصرة لم تترك اي مجال للشك لدى مريم بأنها ستصير ملكة ، ام يسوع الملك . فقال لها : « لا تخافي يا مريم ، فلقد نلت حظوة عند الله ، وها انت تحبلين ، وتلدين ابنا ، وتسمينه يسوع . انه يكون عظيما ، وابن العلـي يدعى . وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيه ، ويملك على بيت يعقـوب الى الدهر ، ولن يكون لملكه انقضاء » (لوقا ١:٣٠ـ٣٣) . ومع ذلك ، فها انها تضطر الى الفرار ، لان البعض يريدون قتل يسوع ابنها ، والــذي يرفض يسوع ، الملك ، يرفض ايضا امه مريم .

واخيرا ، لما مات يسوع على الصليب ، كانت امه هناك ، ملكة ، تحت الصليب .

فملوكية مريم هي متناقضة ايضا مثل ملوكية يسوع . انها « ملكـة الشهداء » ملكة مجهولة ، ملكة اتت الى العالم لتخدم لا لتخدم .

ب ــ ملكة في ملكوت الله :

لكن نصوص الانجيل تلقي الاضواء على الام مريم ، كما تلقيهـا على الام يسوع : « كان ينبغي للمسيح ان يكابد هذه الالام ، ثم يدخل الــى مجده » (لوقا ٢٤:٢٦) . لقد تحدث الانبياء عن هذه الامور كلها ، والمسيح كملها تماما ، مثلما اراد الاب السماوي . والله قد اقام المسيح من بـين الاموات ، واعطاه عرشا ملوكيا في ملكوت لا نهاية له . ومريم الملكة ، لقيت نفس المصير المجيد . فقد نقلها الله الى السماء ، بجسدها ونفسها ، وهذه الحقيقة تعبر عنها عقيدة الانتقال ، وها ان مريم الان في السماء ملكة الــى الابد . ولن تقوى بعد قوى الشر عليها . وكما انها اشتركت في حيــاة يسوع الخفية ، تشاركه الان في سناء مجده .

٣ ــ سر ملكوت الله على الارض .

ان موقف الناس من يسوع ، الملك ، محير للعقول . يسوع الابــن الالهي ، مالك الخليقة كلها ، لانه هو خالقها . كما يقول القديس يوحنا : « به كان كل شيء ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يوحنا ١:٣) .

ومع هذا كله يضيف القديس يوحنا قائلا : « الى خاصته جــاء ، وخاصته لم تقبله » (يوحنا ١:١١) لماذا ؟

منذ البداية تشوهت هذه الخليقة العجيبة بفعل الانسان . فلقــد خلقه الله حرا ، قديرا ، واعطاه سلطانا ليسمي الاشياء الموجــودة على الارض . لكن الانسان اطلق العنان لقدرته وحريته ، وتنكر لسلطة خالقه ، مدعيا ان الارض هي له . فالله يملك في السماء ، اما الارض فهي ملــك الانسان . هذه هي معصية الخطيئة .. ومنذ ذلك اليوم ، استقطع الانسان الارض عن ملكوت الله . فصار الشر يملك عليه .

والله يحاول اقامة ملكوته على الارض من جديد .. محتــرما ارادة الانسان الحرة . فلما اتى يسوع يكرز بمحبة الله ومغفرة الخطايا ، شعر الخطاة بأن الله قريب منهم ، ويريد المصالحة معهم ، ليقبلوا ملكوته ثانية .. لكنهم لم يستفيدوا من هذه الفرصة التي اتاحها الله لهم ، بل بالعكس . فقد صلبوا المسيح . وبهذا العمل ظهر ان الخطيئة ، هذه المعصية على الله، كانت عميقة الجذور في زمان المسيح كما كانت في زمان الانسان الاول .

وفي هذه الازمنة يواصل الله ، بفعل روحه القدوس ، تجديد ملكوته على الارض . ولكن في كل الاحوال يبقى الانسان حرا تجاه الله ، فيمكنه ان يقر بسلطان المسيح ، او ان يرفضه ، ومن هنا الصراع الدائم بين ملكوت المسيح ومملكة الشر . وعلى الانسان ، الحر ، ان يختار واحدا من الاثنين . اذ لا يمكنه ان ينضم الى الاثنين معا .

ومريم كانت الاولى للتصويت بكل كيانها ليسوع ، لانها قالت : « ها انذا امة للرب ، فليكن لي كقولك » (لوقا ١:٣٨) . فصارت اما له . وفي حياتها كلها كانت تستمع بانتباه الى تعاليم يسوع وتتخذها قاعدة لحياتها . « واما مريم فكانت تحفظ هذه الاقوال كلها ، وتتأمل فيها في قلبها » (لوقا ٢:١٩) . مريم كانت المؤمنة الاولى . وكانت تحرض الاخرين على تكميل اوامر يسوع . « كل ما يقوله لكم افعلوه » (يوحنا ٢:٥) . لقد اختارت مريم موقفها . انها آمنت بيسوع . فيسوع في نظرها ، هو المسيح ، الملك في ملكوت الله .

ينبغي لنا ايضا ان يكون اختيارنا نهائيا ومطلقا . اذ لا يمكننا ان نتردد على هذا الملكوت وذاك . واذا كان ضعفنا البشري يجعلنا نتذبذب احيانا ، الا اننا في عمق قلبنا لا نريد ان ننكر ايماننا بالمسيح .

ومريم بهذا الشأن هي مثال لنا يشجعنا ، فهي بايمانها صارت أما وملكة ، وقد انتقلت الى ملكوت ابنها بالنفس والجسد ، حالا بعد نهاية حياتها على الارض . نلتجىء اليها لكي تحفظنا في ملكوتها .

ايتها الملكة الجريئة ، ساعدينا في اختيار موقفنا الى جانب المسيح ، بدون تحفظ ، ولا تذبذب .

قراءة :

اشعيا ٩:١—٦

لوقا ١:٢٦—٣٨

٦ ـ سيدة الورود

تحتفل بهذا العيد كنيسة الارمن الكاثوليك في بغداد .

١ ظهور العذراء في ارمينيا .

الى جنوب بحيرة وان (تركيا الحالية) تقع قرية تدعى نارك ، والى جانبها دير قديم يدعى دير نارك . فى هذا الدير عاش القديس غريغوريوس الناركي ، المشهور بتآليفه التصوفية في العصر الارمني الوسيط .

آ ـ غريغوريوس الناركي .

توفيت والدته وهو صغير السن ، وانضم والده الى السلك الكنسي ، فدخل غريغوريوس الى الدير . وهناك تلقى تربية جيدة وثقافة عالية بفضل حنانيا رئيس الدير . فقد نجح نجاحا باهرا فى دروس اللاهوت والتصوف . وبعد رسامته الكهنوتية اتصف بسيرة حسنة مبنية على التواضع والمحبة ، يتقاسمها العمل والصلاة ، وينعشها حب حار للمسيح وأمه مريم . لذلك انتشر سيته في العلم والفضيلة فى ارمينيا كلها وهو بعد على قيد الحياة . وقد توفي محاطا بعبير القداسة نحو سنة ١٠١٠ .

للقديس غريغوريوس الناركي مؤلفات عديدة ، اشهرها كتاب يحتوي على ٩٥ صلاة مسجعة تتسم بروحية عميقة ، منها مثلا الصلاة ٢٥ يصف فيها حالة خاطىء وصفا رائعا بما يستعمله من صور وتشابيه تعبر عن تحطم النفس وتلاشيها . وفي وسط الحطام يبرز الامل بالمغفرة .

تقول الصلاة :

ـ والآن ، هل يمكنني من بعد ، وقد تكسر فلك جسدي ، ان اراه مرمما ؟

ـ سفينة نفسي المحطمة ، هل ساراها مصلحة ؟

ـ انا البعيد عنك هذا البعد الشاسع ، هل ساراني متحدا بك ثانية ؟

ـ قلبي الذي ليس الا حزنا وعذابا ، هل ساراه مليئا بالبهجة ؟

ـ صورة طبيعتي المتلاشية بكليتها ، هل باستطاعتي ان آمل برؤيتها مجـــددة ؟

ـ خيمتي الساقطة ، هل يمكنني انا التميس ان اراها منتصبة ؟

ـ انا الاسير في المنفى ، هل سارى نفسي حرا ومليء امل ؟

ـ انا المعزول عن نعمتك المنيرة ، هل سيعطى لي أن اتقوى بها من جديـــد ؟

ـ جناتيك ، هل ستكشف لي جلالك وبهاءك الالهي ؟

ـ ومحيا نفسي الكئيب ، هل سيرى الابتسامة ؟

ـ عوض الصراخ الصادر عن خبر السوء ، هل سأســمع البشرى السارة الموجهــة الي ؟

ـ أنا الاناء المفرغ ، الاناء المكسور بألف قطعة ، هل سارى نفسي وقد التأمت قطعـــي ؟

ـ صك الديون التي علي ، هل ستراه مشقوقا عيوني الباطنية ؟

ـ نهار شقائي ، هل سيشرق عليه فجر غفرانك العذب ؟

ـ هل ستقودني يدك ، لاكي مدعوا الى الوليمة تحت خيمة النور ؟

ب ـ ظهور العذراء .

بدا الظلام ينتشر بعد المغيب ، والرعاة يقودون قطيعهم الى الحظيرة ، والرهبان يعودون الى الدير لتلاوة الصلاة الفرضية . وغريغوريوس في حديقته المزدحمة بالزهور ، يلقي نظرة اخيرة على هذا الجمال البديع من الالوان والروائح الفواحة . سجد الى الارض ، معانقا على صدره كتـاب

« امجاد مريم » . انه في خشوع عميق . حمله الى عالم الروح ، فدخل في انخطاف . وها هي العذراء تظهر له وبابتسامة عريضة تخاطبه قائلة : « من بين جميع الفضائل المزهرة التي اعددتها لي ، افضل نقاوة الزناق » وكانت العذراء ممسكة على صدرها باقة من الزنبق .. وعلى ذراعها الاخرى الطفل يسوع ، بوجهه اللطيف المشرق ، مادا يده ، كأنه يريد هو الآخر باقة من الزهور .

ج – عبادة يومية تحبذها العذراء .

نكتشف من هذه الرؤيا على بساطتها نهجا للحياة الروحية . قرانا قبل قليل نصا يصف حالة انسان خاطىء ، والتعاسة التي يعانيها ، كما احس بها القديس غريغوريوس وقديسون كثيرون : فماء النعمة الصافي ملوث بالوحل ، والصومعة في الصحراء تغزوها اشباح شريرة تستهزىء بالصلاة . انه ثقل الخطيئة . فما على الخاطىء الا ان يقرع صدره ، ويطلق نوافذ روحية ، ويقوم بأعمال جسدية من الركوع والسجود لا جدوى منها لان الروح لا يشترك فيها . لكن هذا الظهور يبدد الشكوك ، ويعوض عن ساعات التعاسة ، لانه بصيص امل رآه الخاطىء في الصلاة المذكورة أعلاه فكل ما نعمله في لحظات التجارب ، لئلا نقع ، وكل الجهود المبذولة للتغلب على الروتين .. والافراح الصغيرة التي من اجلها نشكر الله يوميا .. هذه كلها ورود نقدمها ليسوع او لمريم ، وهي مقبولة منهما بتمام الرضى . ان ظهور العذراء للقديس غريغوريوس الناركي يشجعنا ويقوينا في الحرب الروحية التي نخوضها يوميا .

لو حاولنا ان نقارن بين ظهور العذراء في نارك ، وظهوراتها في الازمنة المعاصرة ابتداء من لورد وفاطمة ، وظهورات اخرى كثيرة جرت بعدها ، نجد بينها شكلين مختلفين تماما . الاول هو ان الظهور يحمل رسالة . فالعذراء في ظهوراتها الحديثة تدعو بالحاح الى الصلاة والتوبة والاعمال التعويضة . لان الخطيئة قد تفاقم شرها ، فينبغي ان نتصالح مع الله ، والا فالعالم يتدهور نحو الهلاك . اما في ظهور نارك ، فالعذراء تكتفي بقولها :

شكرا على هذه الورود . الشكل الثاني هو ان العذراء مريم تطلب بنـــاء كنيسة . وهذا الطلب يرد تقريبا في كل ظهوراتها الاخيرة . وفي نـارك لم تطلب ذلك ، لان الكنيسة قائمة هناك ، والرهبان يصلون فيها ، كما ان الرعاة بلا شك يرفعون قلوبهم الى السماء على دقات الناقوس الذي يدعو الرهبـان الى الصـــلاة .

اليس في الشكلين مدعاة الى التفكير ؟ فالخطيئة تغزو عالمنا المعاصر . أجل ، الكن الله يعرف ان الخطايا في القرون الوسطى لم تكن اقل مما هي عليه اليوم . ومع ذلك لم تقل العذراء لغريغوريوس : توبوا ، لان مأســاة كبرى ستحل بالكنيسة . وما ذلك بلا شك الا لان الى جانب المستكبرين في هذا العالم ، سواء اكانوا كنسيين ام لا ، كان يوجد مسبحيون كثيرون يقدمون الورود لمريم ، ورود الفضائل التي بها يزينون حياتهم اليومية . ولكن هل يمكننا ان نقول نفس الشيء في الوقت الحاضر ؟ هل للفضيلة اليوم ثقل يتوازن مع ثقل الشر ؟ الا تسير الحياة سيرة مائعة ؟ من منا يفكر اليوم في التغلب قلى اهوائـه ؟ او في تقديم تضـــحية صغيرة لله ؟ وعوضا عن تحريضنا على التوبة ، متى تستطيع مريم ان تقول من جديد : شكرا على هذه الورود ! أو ان تطلب بناء كنيسة . وما اكثر الكنائس والمعابد ، ولكن هل نرتادها بالكفاية ؟

٢ ـ سيدة الورود .

ان الفكرة الاساسية من هذا الظهور هي اذن ان نقدم لمريم اعمـال التقوى والفضيلة ، المرموز اليها بالورود .

ا ـ ورود ترمز الى فضائل .

منذ القديم استعمل الناس الورود كرموز لهـــا مدلولها الخاص . وورد النيلوفر له مكانته في حضارة مصر القديمة . وفي الكتاب المقدس نجد ان اثاث الهيكل مزدان بالورود (الخروج ٢٥:٣١ ؛ ٣٧:١٧ ، ٣ ملـوك ٦:١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥) . وهذه اشارة لا جدال عليها تدل على رغبــة الانسان في التعبير عن مشاعره باستخدام الورود كرمز لها .

هذه الفكرة بالذات استخدمها الكتاب المسيحيون . فهم في كتاباتهم عن الحياة الروحية يرمزون دائما الى الفضائل بالورود . وبهذا الشأن وضعوا قوائم بالفضائل والى جانبها الزهرة المناسبة ، واشهرها هي : الوردة ـ الحب ، الزنبق ـ العفاف ، البنفسج ـ التواضع .

نقرأ في حياة العديد من القديسين ان معنى الورود الرمزي يصبح بتدخل الهي أمرا حقيقيا . هذا ما تجده في سيرة القديسة اليزابيث الهنكارية (١٢٠٧ـ١٢٣١) . كانت هذه القديسة منحدرة من اصل ملوكي ، ومع ذلك كانت تقدم ذاتها لخدمة الفقراء والمرضى . فكانت تخيط الثياب للفقراء ، وتذهب الى صيد السمك لاطعامهم . ذات يوم كانت تحمل في ثنايا ردائها طعاما لفقرائها ، بينما عاد زوجها من صيد الحيوانات ، فدهش لما رآها مثقلة بحمل باهض .. وفي استغرابه هذا فتح الرداء ليرى ما عساها قد شالت ، فشاهد الرداء مملوءا بورود حمراء وبيضاء ! ان اليزابيث كانت حاملة ورود المحبة لله ولمريم العذراء ..

بهذه الصيغة عينها تعطي العبادة الشعبية لمريم تسمية وردة ، فتدعوها : « وردة بين الاشواك » ، « وردة على جذع يسى (والد الملك داود) » ، « وردة من حضن حنة » . وفي الطلبة تسمى مريم « وردة سرية » .

كما ان فن الرسم الديني يستفيد هو الآخر من رمزية الورود للتشديد على استلهام المعنى الاساسي من لوحة مرسومة . هذا ما نلاحظه في لوحة « السيدة والبنفسج » للرسام اسطيفان لوخنر ، المحفوظة في معهد كلونيا الديني (المانيا) . فهذه اللوحة تدعوك حالا الى رؤية العذراء متسربلة بالتواضع . وللرسام كرونوالد لوحة عنوانها « عذراء ستوباخ » . في مقدمتها مزهرية مليئة بورود ناصعة متنوعة ، اجاد الرسام في تصويرها ، ليقول لنا ان الفضائل كلها تفوح من مريم .

في ظهور نارك أبدت مريم تفضيلها لزنبق النقاء ، نظرا الى بياضه الناصع . لذلك نجد صور القديسين المشهورين بنقاوتهم مزودة بزنبق .

وفي مقدمتهم مار يوسف . ومنهم ايضا القديسة ماريا كورتي ، الفتاة الايطالية شهيدة العفة .

ب ـ صورة لمريم ، مرسومة مع ورود .

في القرن السادس عشر ظهرت العذراء في مكان آخر ، محاطة بالورود . وهذا الظهور يمكنه ان يشرح ظهور نارك ويزيد معناه عمقا ، اذ يبين لنا ماذا يحدث للورود التي نقدمها لمريم العذراء . وقد حدث هذا الظهور في المكسيك ، وهو معروف باسم سيدة كوادلوب .

كان ذلك في اليوم التاسع من كانون الاول سنة ١٥٣١ . في صبيحة ذلك اليوم كان المكسيكي خوان دييكو يسرع الخطى لحضور قداس الصباح .

الرجل في سنه السابعة والخمسين ، وقد صار مسيحيا قبل سبع سنوات لا اكثر . وذلك اليوم يوم سبت ، وخوان دييكو لا يريد ان يفوته القداس المقام اكراما للعذراء مريم . وعليه ان يمر برابية اقيم فوقها ، قبل زمان ، هيكل للالهة ـ الام معبودة المكسيكيين القدامى ـ . اما الآن فالمكان مقفر تماما ، فلما وصل هناك توقف عن السير ، لانه سمع فجأة صوت عصافير كثيرة تزقزق . خوان دييكو ، اليف الطبيعة ، لم يسمع قط العصافير تستقبل بزوغ الفجر بهذا الشكل ، ولا في هذا الوقت من السنة . سحرته تلك الموسيقى بصفائها وعذوبتها ، ثم انقطعت الانغام فجأة ، وساد على الرابية سكون شامل . خوان جامد في مكانه . يتوقع حركة او صوتا يشق ذلك السكون الساحر . واذا بصوت يأتيه من قمة الرابية ، هو صوت امرأة تقول له : خوان دييكو . انه لا يستطيع رؤية المرأة ، لان ضباب الصباح لم يتبدد بعد . خوان يصعد الرابية ليرى ماذا تريد منه هذه المرأة ، في هذا الصباح وهذا المكان . فرآها على قمة الرابية . الشمس لم تطلع بعد فوق الافق . لكن خوان رأى الظهور وكأنه صورة موضوعة قبالة الشمس ، ورأى ذاته محاطا بأشعة ذهبية . في الصورة تبدو فتاة مكسيكية ، في سنها الرابعة عشرة تقريبا وجميلة جدا . وثيابها تسطع

سناء . الصخور والحشائش اليابسة والشجيرات تلمع كلها ، كأن سناء الفتاة يشع فيها . اوراق الاشجار يصدر منها بريق الزمرد والذهب . كل نبتة ، كل حجرة تبدو شفافة وبلون الجواهر . لم يعمه خوان ازاء هذا المنظر . لكنه يرى كل شيء بوضوح تام ، وعندما بدأت الفتاة تخاطبه سمعها بدقة . فقالت له : « خوان ، الى اين تذهب ؟ الى القداس ، الى شرح الانجيل . انا احبك يا بني ، واريد ان تعرف من انا . انا مريم ، الدائمة البتولية ، ام الاله الحق ، الذي يعطي الحياة ويحفظها في الوجود . انه خلق كل شيء ، وهو حاضر في كل مكان . انه رب السماء والارض . انني اريد ان تبنى هنا كنيسة ، وسأبدي حناني على شعبك وعلى كل شعب يطلب بصدق معونتي في عملهم واتعابهم . هنا سأرى دموعهم ، واعزيهم وافرج عنهم . اذهب الآن ، وقص على الاسقف كل ما رأيت وسمعت » .

وقع خوان على ركبتيه وقال : « أيتها السيدة النبيلة ، سأفعل كل ما طلبت مني » .

ولكي نبقى في سياق الظهور نقول بايجاز ان الاسقف قبل قراره طلب علامة من العذراء .

ان العلامة التي اعطتها العذراء ، يمكننا ان نراها اليوم أيضا . فقد طلبت مريم من خوان ان يقطف من الورود التي تنبت على قمة الرابية ويقدمها للاسقف . ولكن كيف يجد الورود ، في شهر كانون الاول ، على رابية يغطيها الجليد ؟ ولم لا ! فانه يرى مريم ، ويسمع صوتها . وهل من نعمة اعظم من هذه ! وهل يعز عليها شيء ؟ كلا .. فهوذا خوان يجد ازهارا على قمة الرابية ، فاخذ يقطف منها ، وفكر ، لوقايتها من البرد ، ان يلفها بردائه . والباقة التي قطفها اراها للسيدة ، وهي بالذات بدأت ترتب الورود في الرداء ، وعليه ان يقدمها للاسقف كعلامة من العذراء . في طريقه الى دار الاسقفية كان خوان ثملا مسحورا برائحة الورود . حضر امام الاسقف وقص عليه حكايته العجيبة . ثم فتح الرداء ليقدم الورود . لكن

الورود تناثرت في الطريق وهو لم يدر بها . يا للفشل ! ثم نظر الى الاسقف فرآه ساجدا الى الارض امام الرداء ، هو وجميع الخدم معه لانهم رأوا صورة العذراء مطبوعة على الرداء .

والى الآن ، وبعد مضي ٥٠٠ سنة تقريبا ، ما زال الرداء موجودا في كنيسة كوادلوب . وقد فحصه علماء متخصصون ، لكنهم لم يتمكنوا من معرفة نوع الالوان التي رسمت الصورة بها . ولا غرابة في ذلك ، اذ لا يوجد رسام يرسم بالورود !

نأتي الآن الى المغزى الروحي من الرداء ، وندع جانبا المعنى الخاص الذي يحتويه الظهور لشعب المكسيك ، ونقارن بينه وبين ظهور العذراء في فاتيما . فهنا البشر قدموا الورود للعذراء . وفي كوادلوب ، العذراء هي التي جعلت الاشجار المحيطة بالمكان تشع من الداخل ، وكأنها احجار كريمة . ونلاحظ أخيرا ان العذراء رسمت صورتها الخاصة ، بورود قطفها انسان . ومعنى هذا ان أعمالنا الصالحة تجعل صورة العذراء حاضرة في الارض . فكلما أجتهد انسان في السير على طريق الفضيلة ، يجد العذراء حاضرة لديه ، جميلة ، لطيفة ، ممتلئة نعمة .

قراءة

نشيد الاناشيد ٤:١٢–١٤

ثانية بطرس ١:١ – ١١

كولسي ٣:١٢–١٧

متــــي ٥:١ – ١٢

٧ ـ ام المعونة الدائمة

يصادف عيدها يوم ٢٧ حزيران ـ وعلى اسمها كنيسة في بغداد ـ بارك السعدون ـ وفي الموصل ـ الدواسة .

١ ـ تاريخ ايقونة .

أ ـ ايقونة قديمة للعذراء « ام الله » .

سنة ٤٣١ أعلن المجمع الذي عقد في أفسس ان مريم العذراء هي « ام الله » .

الى هذه الحقبة تعود اولى المعطيات التاريخية بشأن ايقونة كانت مكرمة جدا في القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية الرومانية . نحو سنة ٥٠٠ يقول ثيدورس اناكوستبس ، انه كان في القسطنطينية ، في معبد صغير ، صورة عجائبية لوالدة الله ، مرسومة على الخشب . وقد انتشر اكرامها جدا بحيث ان الامبراطورة بولكيريا امرت ببناء كنيسة كبيرة ليتسنى للناس اكرام الايقونة اكراما افضل .

يقول التقليد ان هذه الصورة رسمها القديس لوقا الانجيلي . وليس باستطاعتنا اثبات ذلك . لكننا نستطيع القول ان المسيحيين كانوا يرون في هذا الرسم شيئا متميزا لا يرونه في الصور الاخرى المرسومة للعذراء مريم . بماذا تمتاز هذه الصورة ؟ لعله بكثرة العجائب التي تجترحها ، أو لان هذه الصورة لوالدة الله عرضت على اكرام الشعب في الوقت الذي كان مجمع افسس يشجع التعبد لوالدة الله . ومهما يكن من حقيقة الامر ، فالصورة احبها الشعب حبا جما بحيث اعيد رسمها مرارا عديدة ، فانتشرت نماذجها في الشرق الادنى كله .

تلك النماذج كانت تختلف احيانا اختلافا طفيفا عن النسخة الاصلية . لكن وجه العذراء ، وهيئة طفلها على يديها ، والثياب التي عليها ، هذه كلها لم يطرأ عليها ادنى تبديل .

الصورة الاصلية لم يبق لها وجود ، فقد غطتها تقوى المسيحيين باموال وافرة ، من ذهب وفضة وجواهر . وعندما استولى الاتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، دخل جنود الانكشارية الى الكنيسة وحطموا الصورة الى قطع صغيرة ، وتقاسموا زينتها فيما بينهم .

الا ان الثمن الحقيقي لهذه الصورة لم يكن الذهب ولا الجواهر . لكنه النعمة الغزيرة التي توزعها مريم بلا انقطاع على اولئك الذين يلتجئون اليها . وما زالت مريم تسكب معونتها الدائمة على اولادها ، وهذه المعونة الدائمة لا يستطيع احد ، كائنا من كان ، ان يحطمها .

ب ـ ايقونة « ام الله » صارت « ام المعونة الدائمة » .

قلنا ان نماذج عديدة رسمت عن الصورة الاصلية . تميزت عنها بالاخص النسخ المرسومة في جزيرة كريت . في القرن الثاني عشر والثالث عشر ازدهرت في الجزيرة مدرسة لفن الرسم ، متأثرة بالغرب على اثر الحروب الصليبية . فأضحت الجزيرة ملتقى للروح الشرقي والغربي ، الذي اثر في فن الرسم أيضا . فجرى تغيير بسيط على الايقونة العجائبية الاصلية ، التي كانت عليها مسحة من الصرامة ، اريد بها تفسير المعنى الالهي باطار بشري . فالطفل يسوع يبدو وكانه استاذ يعلم ، وشكل العذراء أريد منه ان يعكس سر امراة صارت ام الله . أما الرسامون في جزيرة كريت فقد ادخلوا الشعور البشري الى هذا الاطار الالهي وخاصة الالم والعذاب .

فصورة مريم ام المعونة الدائمة التي في حوزتنا هي احدى هذه الايقونات المرسومة في كريت . وقد احتفظت بطابعها الاصيل الدال على ان مريم هي أم الله ، كما هو في ايقونة القسطنطينية. لكن استلهام الرسام الكريتي غير شكل العذراء الصارم ، المليء بالسر ، الى أم متألمة راسها مائل

الى جهة الطفل ، كما غير الطفل المعلم ، الى طفل يبدو عليه الخوف . والملائكة ، في النسخ السابقة ، كانوا واقفين بهيبة امام العرش الالهي ، فصاروا مبشرين بالموت الفادي الذي يقاسيه ابن الله ، فهم يحملون آلات تعذيبه .

وهكذا تبدو أم المعونة الدائمة انها أم انسانية ، تعرف ما معنى الالم ، وهي في الوقت ذاته أم المخلص الذي يعطي الخلاص والسلوان للذين يتألمون .

ج ـ من كريت الى روما

يروي لنا مخطوط لاتيني من القرن الخامس عشر ، محفوظ في مكتبة الفاتيكان ، كيف ان صورة أم المعونة الدائمة اضحت موضع حب وتكريم لدى أهالي روما .

كانت الصورة مكرمة جدا في احدى كنائس جزيرة كريت حيث كانت تصنع عجائب كثيرة . ذات يوم ، يقول المخطوط القديم ، قام أحد تجار كريت بسرقة الصورة الثمينة ، فركب البحر الى ايطاليا . وفي الطريق هبت عاصفة هوجاء . فأخذ التاجر يتوسل الى العذراء المخفية في امتعته ، فنجا المركب من الغرق ، والتاجر وصل سالما الى روما وأقام فيها . وهناك وقع مريضا وشعر بدنو أجله . فدعا أحد اصدقائه وكشف له سر سرقة الصورة مستحلفا اياه باعطائها لاحدى كنائس روما لكي يكرمها الشعب علانية .

توفي التاجر ، وصديقه نسي وعده . لكن الصورة ذكرته به ثلاث مرات ، منذرة بموته اذا أخل بوعده . فنهضت زوجته تمنعه عن اعطاء الصورة ، والرجل مات فعلا ، موتا فجائيا . بعد ذلك ، والعائلة ما زالت في أيام الحداد ، توجهت العذراء الى ابنة البيت مكررة عليها انها تريد ان تعرض على المؤمنين للتعبد لها في احدى كنائس روما . وبينما الارملة تستعد لتلبية نداء العذراء اعترضها عائق آخر عن تنفيذ هذا الطلب . وهو ان جارة لها استهزأت بتصديق نداءات موهومة وكأنها آتية من العذراء .

فاحتفظت هي بالصورة في بيتها ، لكن المرض هجم حالا على الجـــارة ، والارملة نوت نية صادقة الآن على اعطاء الصورة دون تماطل . لكنها لا تدري لمن تعطيها . فسبقتها العذراء بحل للمشكلة ، اذ اوعزت الى ابنة البيت قائلة لها : « انني اريد ان اوضع بين كنيستي المحبوبة كنيسة القديسة مريم الكبرى وكنيسة ابني العزيز يوحنا دي لاتران » .

في يوم ٢٧ آذار سنة ١٤٩٩ نقلت الصورة باحتفال كبـــير عبر شوارع روما ووضعت في كنيسة القديس متي الكائنـــة بين الكنيستين المذكورتين ، والكنيسة المختارة كان يشغلها الآباء الاوغسطينيون .

وخلال ثلاثة قرون متوالية كانت الصورة مكرمة تكـــريما فائقا في هذه الكنيسة ، والشعب يتهافت اليها بحشود غفيرة يطلبون معونتها . غالبا ما يرد ذكر الصورة في مذكرات السواح في القـــرن ١٦ و١٧ و١٨ . وتطلق عليها تسمية « عجائبية » و « مشهورة بعجائبها » و « تشـــع مجـــدا بآياتها » .

ان الحرب القت الى العدم ايقونة القسطنطينية ، وايقـــونة روما كادت تلاقي نفس المصـــير .

سنة ١٧٨٩ غزا جنود نابليون روما ــ وبحجة تخطيط المدينة اصدر القادة الفرنسيون قرارا بهدم ٣٠ كنيسة ، ومن ضمنها كانت كنيســـة القديس متى . فطردوا منها الآباء الاوغسطينيين ، وهؤلاء نقلوا الايقـــونة اولا الى دير قريب يدعى دير القديس اوسابيوس ، ثم اخذوها معهم سنة ١٨١٩ الى كنيسة القديسة مريم الكائنة في بوستيرولا .

في هذه الكنيسة كان الشعب منذ أجيال يتعبـــد لصورة اخرى للعذراء ، فوضعت صورة ام المعونة الدائمة في زاوية من معبد صغير حفظا لها من العبث . وأثناء الاضطرابات التي جرت بعد الغزو الفرنسي ، عـــاد الكثيرون من الآباء الاوغسطينيين الارلنديين الى بلادهم . وغيرهم لاقـــوا حتفهم . فظلت الايقونة العجائبية طي النسيان .

ولم يبق في كنيسة القديسة مريم الكائنة في بوستيرولا سوى راهب اوغسطيني شيخ ، وكان من اصل ايطالي . يدعى اوغسطينو اورزيتي . وقد اقام سابقا لمدة عشر سنوات في دير القديس متي . وكان يبدي لهذه الايقونة اكراما بالغا لما اجرته من عجائب في الماضي . وكان شاب روماني يدعى ميشيل ماركي يتردد الى الدير بين سنة ١٨٣٨ والى سنة ١٨٥١ ويخدم القداس في كنيسة القديسة مريم في بوستيرولا . في ذلك الوقت كان الراهب اوغسطينو شبه ضرير ، وشعره مبيض كالثلج . وهو يحب ميشيل ، ويتمشى معه داخل الدير . في يوم ما وقفا داخل المصلى الصغير ، وهناك خاطب الشاب بلهجة ملحة ظنها ميشيل وكأنها وصيته الاخيرة اذ قال له : « عزيزي ميشيل ، تذكر جيدا ان هذه الايقونة تعود الى كنيسة القديس متى التي كلمتك عنها مرارا كثيرة !... » . لقد كان الاخ اوغسطينو آخر راهب بقي على قيد الحياة من رهبان دير القديس متي .. وتوفي هو الآخر سنة ١٨٥٢ . فلم يبق احد يعرف صورة ام المعونة الدائمة سوى شاب لا يهمه امر من دير القديس متي ، المهدوم قبل ولادته ، ولا من هذه الصورة العتيقة ، التي لم يرها الا نادرا ، ولم يكلمه عنها سوى الاخ اوغسطينو الشيخ .

د ـ من روما الى العراق ، والى سائر بلدان العالم .

ـ الاباء المخلصيون ـ

بعد وفاة الراهب اوغسطينو بقليل ، صدر امر من البابا بيوس التاسع الى الرئيس العام لرهبنة المخلصيين بنقل مقر رئاسة الرهبنة من نابولي الى روما .. فاتخذت التدابير لايجاد مكان . وفي ٩ حزيران سنة ١٨٥٤ اشترى الرهبان بناية قديمة في منطقة اسكويلينو ، تدعى « فيللا كازيرتا » شوهدت في حديقتها خرائب كنيسة قديمة ، واجريت عليها اصلاحات لازمة بحيث صارت ديرا للرهبان ، اقيمت فيه كنيسة على اسم القديس الفونس .

اراد الآباء الاطلاع على تاريخ فيللا كازيرتا هـذه ، وبالاخص على تاريخ الكنيسة التي شاهدوا خرائبها . فشرع احدهم ينبش المكتبات والمخطوطات التي لها علاقة باسكويلينو . وفي عمله هذا اكتشف كل المعلومات المتعلقة بهذه الكنيسة وعلم ان صورة عجائبية للعذراء مريم كانت معروضة فيها منذ اجيال .

وبينما كان يطلع زملاءه على اكتشافاته هذه صرخ احدهم قائلا : « انني اعرف اين هي هذه الصورة ! فقد رايتها في مكان ما من دير القديسة مريم في بوستيرولا » . وهذا المتكلم لم يكن الا ميشيل ماركي الذي ارتدى ثوب المخلصيين قبل ذلك بوقت قصير . وهو بدوره قص على الرهبان كل ما كان يعرفه عن الاخ اوغسطينو الشيخ وعن الصورة .

خيم الصمت ثانية على الصورة الى ان انتشرت في الاوساط الشعبية حمية شديدة في البحث عن هذه الصورة العجائبية المختفية .. وهذه الحمية أثارها كاهن يسوعي يدعى الاب بلوزي الذي كان سنة ١٨٦٣ يلقي مواعظ حول صورة قديمة للعذراء ام المعونة الدائمة التي اقتبس معلومات عنها بينما كان يبحث عن موضوع لمواعظه .

فهذا الواعظ انهى كرازته متمنيا لو ان احدا يعرف اين هي هذه الصورة . ومثلما جرى لها في عهد التاجر الكريتي ، لا يمكن ان تبقى الآن ايضا مخفية في بيت خاص ، بل ينبغي ان تنال الاكرام من الشعب بشكل علني .

وها هم الآباء المخلصيون يعرفون أين هي الصورة ، لا بل ان كنيستهم وديرهم كائنان في موقع القديس متي العتيقة ..

مضت سنتان اخريان في مداولات وتفكير وصلاة . وفي ١١ كانون الاول سنة ١٨٦٥ ذهب الرئيس العام الاب موورن بصحة الاب ماركي لزيارة البابا بيوس التاسع ، في مقابلة خاصة ، متوسلا اليه ان تكون الصورة لرهبنته . وافق البابا على هذا الطلب . وفي كانون الثاني سنة ١٨٦٦ سلم الرهبان الاوغسطينيون الصورة للاب ماركي . وكانت الايقونة

مصابة بشيء من التلف اصلحها رسام بولوني . وقد اخذت لهـــا صورة فوتوغرافية قبل الاصلاح ، ثم اجري عليها اصلاح ثان ، حاول تقريبهـــا من شكلها الاول .

في ٢٠ نيسان سنة ١٨٦٦ دخلت الصورة باحتفال الى كنيســـه المخلصيين الكائنة في شارع ميرولانا ، استقبلتها جمـــوع متحمسة تهتف للعذراء في دخولها الى الكنيسة التي اختارتها لنفسها .

في ٥ أيار اقبل البابا بيوس التاسع نفسه يصلي امام الايقونة .

وفي ١٢ أيار سنة ١٨٦٧ جرى تتويج العذراء والطفـــل في احتفال رسمي . بينما كان البابا بيوس التاسع يسلم الصورة للمخلصيين قال : « اجعلوها معروفة في العالم كله » . وهذا ما عمله الاباء . فقـــد نشروا نماذجها اولا في اوربا ، ثم في امريكا ، وفي اوستراليا ، وآسيا وافريقيا ، فقام التعبد لها في كل مكان .

ويهمنا الآن ان نعرف كيف وصلت الى العراق . لما كان البطريرك مار عمانوئيل توما السعيد الذكر يزور روما ، غالبا ما كان ينزل ضيفا لدى الآباء المخلصيين . وذات مرة اصيب بمرض ، فوعد العذراء ام المعـــونة الدائمة بأن ينشر صورتها في العراق اذا نال الشفاء . وقد شفي فعلا ، فبر بوعده . ولدى عودته الى العراق ، بنى كنيسة على اسم أم المعونة الدائمة ، في الموصل ـ الدواسة ـ سنة ١٩٤٤ .

ومنذ سنة ١٩٣٨ كان القس سليمان الصائغ (المطران المثلث الرحمة) قد نشر كتابا باللغة العربية حول هذه الصورة . وهناك كتاب باللغة الكلدانية كتبه البطريرك الحالي غبطة مار بولس شيخو ، الذي بنى هو الآخر كنيسة في بغداد على اسم ام المعونة الدائمة سنة ١٩٦٦ .

٢ ـ ايقونة ام المعونة الدائمة .

عليها حروف يونانية تشير الى أشخاص الصورة . في اعلاها نقرأ : « ماتير ثيو » ام الله . والطفل يشـــار اليه بهذه الحروف : « ياســـوس

خرستوس » يسوع المسيح . الملاك ميخائيل تشير اليه الحروف : ؤ ــ ار ــ م ، والملاك جبرائيل ، الحروف : ؤ ــ ار ــ ج .

رئيس الملائكة جبرائيل يحمل صليبا من الفن البيزنطي . رئيس الملائكة ميخائيل يحمل اناءا فيه خل ، والى جانبه إسفنجة ورمح . العذراء تبدو حزينة بعينيها ووجها كله ، انها متألمة لآلام ابنها . راسها مائل نحو ابنها ، فهي تريد ان تحميه من الاوجاع .. لكنها لا تنظر الى ابنها ، ان نظرها موجه الى ذاك الذي يصلي امامها .

وقد رسم الرسام هذه الصورة بطريقة تتيح لنظر العذراء ان ينتقل ويرى الناظر اليها من اية جهة كانت .

الطفل يسوع يداه ناشبتان في يد امه ، وهذه حركة فجائية تصدر عن طفل داهمه خوف ، يبحث عن ملجأ يطمئن اليه بالقرب من امه .

وفي الصورة علامة اخرى لهذا الفزع وهي حذاء يسوع المتدلي من رجله . والتفسير الذي يعطى عادة لهذه الحركة هو ان يسوع جاثم بين ذراعي والدته ، فأمال راسه ، واذا به يتفاجأ ، حين رأى الصليب الرهيب بين يدي رئيس الملائكة . وبحركة جافلة من الجسم ضرب رجلا بأخرى ، فانتزع الحذاء من الرجل اليمنى .

لنلتجيء الى مريم كلما اصابتنا محن ، لنتشبث بيدها على منوال يسوع ، فهي لنا أم المعونة الدائمة .

قراءة : ابن سيراخ ٢٤:٢٣ــ٣١

يوحنا ١٩:٢٥ــ٢٧

ــ اجراء مقارنة بين ايقونات اخرى تمثل والدة الله ...

٨ ـ قلب مريم الطاهر

يحتفل بهذا العيد يوم السبت بعد عيد قلب يسوع . ولقلب مريم الطاهر كنيسة كلدانية في حي الامين ـ بغداد ـ..

انتشر التعبد لقلب يسوع وقلب مريم جنبا الى جنب بين المؤمنين . ولكن اذا كان قلب يسوع قد اتخذ تسمية ثانية لم تتبدل ، فان قلب مريم لقي عدة تسميات على مرور الزمن ، الى ان اتضحت للمسيحيين فكرتهم عن قلب مريم .

فقلب يسوع هو « القلب الاقدس » على الاطلاق . فيه نجد الحب الصادق الحار تجاه البشر . انه قلب يغفر الخطايا ويحرقها بنار حبه . اما قلب مريم فقد دعي تارة « القلب العجيب » وطورا « القلب المقدس » ، « القلب الرحيم » ، « القلب الطاهر » ، هذه التسمية التي استقرت أخيرا وانتشرت في الكنيسة ، وعين لها عيد بهذا الاسم .

ان معنى هذه التسمية يختلف كثيرا عن المعنى المعطى لقلب يسوع . فقلب مريم الطاهر لا يذكر قوة النار المحرقة ، لكنه ينشر امامنا جمال نقاوة لم تتلوث قط .

١ ـ انتشار التعبد لقلب مريم الطاهر .

يأتي ذكر قلب مريم مرتين في انجيل لوقا ، الاولى بمناسبة وصول الرعاة الى مغارة بيت لحم (لوقا ٢:١٨ـ١٩) والثانية في حادثة وجود يسوع الفتى في الهيكل (لوقا ٢:٥١) .

ان هذه النصوص بعيدة كثيرا عن مضمون التعبد الحالي لقلب مريم الطاهر . لكن قلب مريم ، مع ذلك ، يظهر فيها بجلاء جعل القديس يوحنا اوديس يقول ان التعبد الحالي له اساس في الانجيل .

وهذه الفكرة نجدها ايضا لدى بعض آباء الكنيسة ، في تعليقاتهم بشأن العروس في سفر نشيد الاناشيد . فهذه العروس ، وهي رمز للكنيسة او لمريم ، تتكلم بلغة القلب .

والفكرة تتضح اكثر في القرون الوسطى ، لان الايحاءات الخاصة التي جرت للقديسة ماتيلدا (١٢٤١ ـ ١٢٩٨) والقديسة جرترودا (١٢٦٣ ـ ١٣٣٤) والقديسة بريجيتا السويدية (١٣٠٤ ـ ١٣٧٣) ساعدت في نشر التعبد لقلب يسوع وقلب مريم .

لكن المراجع الخاصة بتعبد عملي لقلب مريم الطاهر تعود الى القرن ١٦ ، فقد نشر البابا يوليوس الثاني (+ ١٥١٣) ادعية الى القلب الطاهر ، كانت تتلى على دقات الناقوس لصلاة ملاك الرب . والقديس فرنسيس السالسي (+ ١٦٢٢) يتحدث عن كمالات قلب مريم ، مثال الحب لله .

والقديس يوحنا اوديس (١٦٠١ ـ ١٦٨٠) كان اخيرا المدافع الكبير عن التعبد لقلب مريم . فقد الف كتابا لاهوتيا في اثني عشر جزءا ، عنوانه : « القلب العجيب لوالدة الله القديسة » . وقد بذل جهده ايضا لنقل التعبد من نطاقه العملي الخاص الى نطاق العبادة الجماعية . كما انشأ القديس رهبنتين ، واحدة للرجال (تهتم خاصة بادارة المعاهد الدينية) واخرى للنساء (هدفها ايواء البنات الخاطئات) . واجيز للقديس ان تحتفل هاتان الرهبانيتان ، بشكل منفرد ، بعيد قلب مريم الطاهر ، في صلاة فرضية وقداس الفها القديس نفسه سنة ١٦٤١ . واول عيد شعبي اكراما لقلب مريم الطاهر اقيم في اوتان (فرنسا) سنة ١٦٤٨ . وبعد هذا التاريخ انتشرت هذه العبادة في فرنسا بسرعة ملحوظة ، لان الابريشات وافقت عليها الواحدة تلو الاخرى ، وفي سنة ١٦٧٠ عمت فرنسا بأسرها . اما روما فكانت متحفظة نوعا ما في منح موافقتها ، لان مطالبتين بهذا الشأن رفضتهما ، الواحدة سنة ١٦٦٩ ، والاخرى سنة ١٧٢٩ . ولكن في سنة ١٧٦٥ سمح مجمع الطقوس المقدس للسلطة الكنسية البولونية ان تحتفل بعيد قلب يسوع الاقدس . وهذه الموافقة فتحت الطريق ايضا للموافقة

على التعبد لقلب مريم ، فالبابا كليمنضوس الرابع عشر صادق سنة ١٧٧٣ على طقس صلاة خاص . وهذا التصديق ثبتـــه البابا بيوس الســادس سنة ١٧٨٧ . سنة ١٨٠٥ خطا التعبد لقلب مريم الطاهر خطوة اخرى الى امام على نطاق العبادة الشـــعبية . وذلك ان البابا بيوس السابع اعطى موافقته العامة على العيد الرسمي ، وبهذا منح صلاحية الاحتفال بعيـــد « قلب مريم الطاهر » لجميع الابرشات والمؤسسات الرهبانيـــة التي تطالب به .

واخيرا ، في سنة ١٨٥٥ ، على عهد البابا بيوس التاسع وافق مجمع الطقوس على صلاة فرضية كاملة ، ومن ضمنها القداس ، لعيد « قلـــب مريم الطاهر » .

ولكن الآن اذا كانت الموافقة رسمية ، فالعيد لم يعم بعد الكنيســـة جمعاء ، والاحتفال به ممنوح فقط للذين يطلبونه . فالطلب ما زال شرطا للاحتفال .

سنة ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية . في هذه الآونة قدمت طلبـــات عديدة الى الكرسي الرسولي بغية اقامة العيـــد على نطاق كنسي عام في العالم كلـــه .

سنة ١٩١٧ ، وفي خضم الحرب العالمية ، جرت ظهورات العذراء في بلدة فاطمة . في احد هذه الظهورات شاهد الفتيان الثلاثة رؤيا الهالكين في جهنم . فالتفتوا بألم شديد الى مريم طالبين معونتها ، فاجابتهم مريم بهذه الكلمات : « لقد شاهدتم رؤيا جهنم حيث تذهب نفوس الخطأة بدون تعـــويق ، ولانقاذهم يريد الله ان يرى عبـــادة قلبي الطاهر منتشرة في العـــالم » .

لقد استجاب الكثيرون لاقوال مريم العذراء ، فبدأ المؤمنون يكرسون ذواتهم لقلب مريم الطاهر . والحركة بدأها افراد ، ثم عوائل ، ثم ابرشيات برمتها . وفي آخر المطاف ، سنة ١٩٤٢ ، واثناء احتفال حاشد ضخم اقيم

في كنيسة القديس بطرس بروما ، كرس البابا بيوس ١٢ العالم بأسره لقلب مريم الطاهر . في تلك السنة كانت الكنيسة تحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لظهورات العذراء في فاطمة . والعالم كان يعاني من اهوال الحرب العالمية الثانية ، بكل ما كانت تجره على الناس من شقاء وجرائم . . .

يشكل وضع عيد رسمي لقلب مريم الطاهر في الكنيسة جمعاء آخر مرحلة من الموافقة الكنسية الشاملة على هذه العبادة . فالقرار صدر من مجمع الطقوس يوم ٤ أيار سنة ١٩٤٤ ، وقد تأخر نشره الى يوم ٢٨ شباط ١٩٤٥ بسبب الحرب التي كانت تجتاح ايطاليا .

٢ ـ معنى هذه العبادة .

ان مريم العذراء تستحق اكراما خاصا وفريدا لانها أم المسيح ، فهذه التسمية بحد ذاتها تدل على انعامات خاصة لا مثيل لها ، منها الحبل بلا دنس ، والانتقال الى السماء بالنفس والجسد . وأم المسيح بالنسبة لنا هي شريكة الفداء ، وموزعة النعم . فكل تعبد للعذراء يتوجه الى مريم بتسميتها : أم المسيح .

فتعبدنا لقلب مريم الطاهر يركز اكرامنا على قلب مريم العذراء . لماذا هذا الالتفات الخاص الى القلب ؟ ما هو المعنى الذي تحمله هذه العبادة الخاصة ؟

ا ـ القلب : رمز عميق .

ان التعبد ، عموما ، لا يصدر عن خواطر ذهنية ، لكنه تعبير شبه تلقائي عن مشاعر بشرية .. فاذا كان التعبد الفلاني ينتشر في العالم كله ، فذلك لانه ملائم لحاجة بشرية حيوية .

لكي نجد معنى تعبد ما ينبغي اولا ان نبحث عن جذوره في مشاعر الشعب . وحالما نكتشف عنصره البشري ، يمكننا ان نوضح قيمته الدينية .

فهنا لنا كلمتان اساسيتان هما : قلب ـ طاهر .

القلب

القلب يتخذه الناس جميعا رمزا للحب والمودة . فالام تخاطب طفلها قائلة له : « قلبي » . ان حبها لطفلها يذهب بها الى حيث لا يبقى ، رمزيا ، فرق بين قلبها وطفلها .

والقلب لا ينطوي فقط على الحب وعطاء الذات ، فهو رمز للشجاعة ايضا ، به نجابه صعوبات الحياة . لذلك اعطي لريشارد ملك انكلترا لقب « قلب الاسد » . عكس ما قيل عن غيره : ان « قلبه صغير » اي ليس له شجاعة .

وهناك تعبير آخر يبين قيمة القلب للانسان ، حين يقال : فتح قلبه اي انه يتكلم عما يشغله ، ويبوح بخفايا حياته الخاصة . وغالبا ما يراد بهذا البوح التغلب على الصعوبات التي يلاقيها المرء .

فاستنادا الى هذه الرموز المهمة التي تعطى للقلب ، لا غرابة في المسيحيين ، الذين يحبون مريم ، ان يتوجهوا الى قلبها قائلين :

« يا مريم ، قلبك قلب أم ، اسمعي صلاتي .

يا من تألمت كثيرا في قلبك ، حررني من آلامي .

يا مريم ، ايمانك ما ارتخى قط ، امنحيني الشجاعة لاسلك حسنا » .

الطاهر :

هذه الكلمة مهمة مثل الاولى . جميعنا نشعر بأن قلبنا قادر على الاتيان بأمور سيئة جدا ، حينما يطلق العنان لنفسه ، فيصبح ينبوعا للكراهية والاهواء السافلة . وفي هذه الحالة يحتاج الى تنقية ونيل الغفران . وهنا يدفعنا الشعور بالندامة والتواضع الى طلب هذا الغفران . لان في داخلنا حنين قلب نقي لم تدنسه الخطيئة . ونتمنى لو ينزل علينا هذا النقاء مثل غيث ناعم منعش يغسلنا من الخطيئة .

اننا نعرف معرفة هي غريزية فينا ان قلب مريم طاهــــر من ادنى دنس ، لان ام يسوع ما عرفت الخطيئة بتاتا . وايماننا يؤيد هذا الشعور مؤكدا على ان مريم ، بالحق والواقع ، لا دنس فيها . فتحت شغاف هذا القلب الطاهر نلتجيء نحن الخطأة . ومريم تفهم لا فقط اتعابنا الجسدية ، ولكنها تفهم بالاخص حمل الخطايا الثقيل علينا .. فهي بجانبنا لتنقينا ، وتجعل حياتنا طاهرة كريمة .

قلنا سابقا ، ونعيد القول هنا ، اننا ، حينما نتوجه الى قلب مريم ، فانما نتوجه الى مريم ، ام المسيح ، لان القلب لا يوجد وحده .. فاكرامنا لقلب مريم يعني اكرام مريم لا غير .

ب ـ تكريس وتعويض .

ان عبادة قلب مريم الطاهر اوسع من ان تكون ممارسة تقـــوية ، تساعدنا على الصلاة . فهذه العبادة ، اذا فهمناها جيدا ، فهي فعل ايمان رفيع . كيف لا ، وقلب مريم قلب ام مليء بالحب لابنها يسوع . وجميـــع الاعمال التي تقوم بها هذه الام القديسة نابعة من حبها الوالدي ، ولم تكن الا خدمة غير منقطعة ليسوع . فنحن نكرس ذاتنا لقلب مريم ، لكي تجعل هذه الام الالهية قلبنا مضطرما بالحب مثل قلبها . وهكذا يجعـــل هذا الحب حياتنا ايضا عملا مستمرا في خدمة يسوع .

لكن خطايانا تعيق انتشار ملكوت الله . فينبغي ان نتوب عن الخطيئة ، ونصلح ما افسدناه بها .

لذلك تقوم العبادة الحقة لقلب مريم الطاهر على عمل مزدوج هو : تكريس وتعويض .

التكريس .

الله وحده رب الكون ، وله يعود كياننا كله لانه الخالق .

فتكريس الذات لقلب مريم الطاهر ينبغي ان يدخـــل ضمن الخطة الكبرى التي للملكوت الله . والا فالتكريس لقلب مريم عمل لا جدوى فيه .

لكن هذه الامور مرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا جدا . لان يسوع ملك في ملكوت الله ومريم ملكة . فتكريس الذات لمريم يعني وضع الذات في خدمة ملكوت الله . وهكذا يكون الله هو الهدف الاخير من هذا التكريس . كما ان التكريس نفسه هو فعل ايمان به نضع كل ما نحن عليه وكل ما نملك في خدمة الله . وبهذا التكريس لا نقول فقط : يا مريم ، انا ابنك ، استريني . بل ونقول اكثر من ذلك ، ونريد اكثر من ذلك ، لاننا بهذا التكريس نعد ببذل قصارى جهدنا لنكون مسيحيين ملتزمين بسيرتنا المسيحية ، وهكذا ننشر ملكوت الله على الارض . لقد كانت مريم تحب ابنها يسوع حبا عظيما . وكل ما كانت تعمله كان لخير يسوع . وهكذا انا ايضا ، بتكريس ذاتي ، أعد بالعمل دائما لخير يسوع ولصالح اخوته البشر .

التعويض

من اراد ان يكون في خدمة الله ، ينبغي له قبل كل شيء ان يتجنب الخطيئة . وبما اننا جميعا خطاة ، فمن الضروري لنا جدا ان نطلب المغفرة عن خطايانا .

ولكن هنا ايضا لا يكفي ان نقول : « اغفر لي خطاياي » . بل ان نعمل عمل تعويض ملموس ، هو عمل توبة ، عن خطايانا الشخصية وخطايا الآخرين . ومريم ، بقلبها الطاهر ، تقبل منا هذا التعويض والاصلاح ، لانها تريد ان يكون ملكوت الله على الارض طاهرا ومليئا بالحب .

قراءة :

حزقيال ٣٦ : ٢٤ ـ ٢٨

لوقا ٢ : ٤١ ـ ٥١

فعل تكريس لقلب مريم الطاهر :

يا قديسة مريم ، يا ام الله وامنا ، ملكة السماء والارض ، اننا نكرس لقلبك الطاهر عائلتنا كلها . وكل ما نحن عليه ، كل ما نحب ، كل ما نملك ، نضعه بملء الثقة ، تحت حمايتك القديرة وبركتك الوالدية . املكي مثل ملكة ، في عائلتنا . ان بيتنا وقلوبنا ملك لك ..

بمعونتك الدائمة ، نعد . . جديد ان نحفظ وصايا الله والكنيسة ، وبالاخص تقديس يوم الرب . اطلبي لنا نعمة البقاء امناء لايماننا المسيحي ، حتى في وسط التجارب الثقيلة . ساعدينا في كل ظرف من ظروف الحياة ، على اتخاذ الموقف اللائق بالمسيحي .

خذينا لخدمتك . اجعلينا نقتدي اكثر فأكثر امانة بحبك لله . بتواضعك ، بنقائك ، وببذلك للذات ، لكي يشع حبك في محيطنا . اجعلي ان تكون عائلتنا نواة سلام ومصالحة لدى العوائل الاخرى ، لدى مختلف الطبقات والشعوب . لتكن حياتنا كلها ، صلاتنا ، اقوالنا وافعالنا ، عونا ونورا للذين يشكون ، للذين تركوا سواء السبيل . قوي عزمنا على التوبة عن خطايانا الخاصة وخطايا الاخرين . وبروح التوبة ايضا نقدم لك عواقب العمل التي تصيب محيطنا وجميع الصلبان الاخرى التي تأتينا .

أيتها العذراء القديسة مريم ، بقلبك الطاهر والوالدي ، علمينا ان نعرف يسوع وانجيله . اجعلينا نفهم ان يسوع وحده هو الطريق والحق والحياة . . آمين .

٩ ـ سيدة الكرمل

يحتفل بهذا العيد الآباء الكرمليون في ١٦ تموز .

نحو سنة ١١٥٠ التقى نساك في جبل الكرمل (فلسطين) وشكلوا رهبنة الكرمليين . وقد انتهجوا لحياتهم روحية النبي ايليا ، وعاشوا مغمورين بحضور الله ، في سجود عميق . ومنذ بداية نهجهم كانوا يمارسون عبادة لمريم العذراء .. تذكر وثيقة تاريخية تعود الى سنة ١٢٢٠ ان كنيسة صغيرة كانت مشيدة فوق جبل الكرمل على اسم الطوباوية مريم .

وما زال السجود لله والتعبد للعذراء نهج حياة يتميز به الآباء الكرمليون . نستغرب قيام ترابط كامل بين التعبد لمريم والسير على خطى نبي من العهد القديم يضطرم حماسا لمجد الله !

في هذه المسالة ثلاثة رموز تربط ما بين النبي ايليا والحب لمريم العذراء :

١ ـ سحابة صغيرة فوق جبل الكرمل :

نقرأ في العهد القديم (٣ ملوك ١٨ : ٢٠ ـ ٤٦) ان مناظرة مشروطة جرت بين النبي ايليا وانبياء البعل ليعرفوا من هو الاله الحق ، فثبت انه اله ايليا ، لانه هو الذي استطاع ان ينزل المطر . في هذا الصراع بين الله والاصنام ، ظهر مشهد فتح الطريق للعبادة المريمية . فقد رأى خادم النبي ايليا سحابة صغيرة قدر راحة رجل تطلع من البحر (١٨ : ٤٤) . وهذه السحابة سبقت هطول المطر المرغوب .

ان الوعاظ القدماء ربطوا بين هذه السحابة الصغيرة وبين قول النبي اشعيا (٤٥ : ٨) القائل بان الخلاص يأتي من السماء مثل قطرات منعشة :

« اقطري ايتها السماوات من فوق ولتمطر الغيوم الصديق ، لتنفتح الارض وليثمر الخلاص ولينبت البر » .

اجل سيأتي يسوع ، مثل مطر محي ، حالما تظهر السحابة الصغيرة في السماء منبئة بقدومه . فما اسهل علينا ان نرى في هذه السحابة رمزا لمريم ام المسيح يسوع . ومن جبل الكرمل نعلم انه مع مريم سيأتي يسوع ليبدأ غلبة الاله الحق .

٢ ــ النسيم اللطيف على جبل حوريب :

اراد ايليا المحافظة على العهد وتنقية الايمان بالله ، فذهب الى جبل حوريب حيث تجلى الله الحق وابرم العهد (٣ ملوك : الفصل ١٩) . ان ايليا يريد ان يربط عمله بعمل موسى مباشرة .

لكن شيئا قد تغير منذ عهد موسى ونزول الوصايا العشر . لذلك يتم لقاء ايليا مع اله العهد بشكل مختلف عن لقاء الله مع موسى . فلقاء الله مع موسى رافقته رعود وبروق وغمام كثيف .. (خروج ١٩:١٦ــ٢٥) . بينما نقرأ عن اللقاء مع ايليا ما يلي : « فقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب . فاذا الرب عابر وريح عظيمة وشديدة تصدع الجبال وتحطم الصخور امام الرب ولم يكن الرب في الريح . وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة . وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار . وبعد النار صوت نسيم لطيف .. فلما سمع ايليا ستر وجهه بردائه وخرج ووقف بمدخل المغارة » (٣ ملوك ١٩:١١ــ١٣) . لان الرب كان هناك ، ويخاطبه في النسيم اللطيف .

عندما نزل يسوع الينا لينشر على الارض بشرى الله السارة ، لم ترافق مجيئه زلزلة ولا نار ولا رعود . لكنه نزل في صمت الليل المخيم على بيت لحم ، والنجوم تلمع مشعة على الصالحين والاشرار . وكانت هناك مريم والمغارة التي اضافت الله القادم الى لقاء البشر . مريم هي ذلك النسيم اللطيف ، الذي يهب في سماء ساطعة النجوم . وحالما نرى العذراء الام ، نعرف ان الله هناك ، وانه سيتكلم .

٣ — رداء ايليــا :

لقد نشر الآباء الكرمليون عبادة سهلة الممارسة اكراما للعذراء مريم ، وهي : ثوب العذراء . وما بين القرن ١٦ و١٨ عمت هذه العبادة البلدان الكاثوليكية . وما زال ثوب العذراء الى هذا اليوم محتفظا بقيمتـــه لدى المسيحيين .. وكان في السابق ثوبا اعتياديا ، اما اليوم فقد اضحى لاسباب عمليـــة قطعة من قماش او ميدالية بسيطة . له انعامات روحيـــة ، وبالاخص لاسعاف انفس المطهر .

هذا الثوب يذكرنا برداء النبي ايليا (٤ ملوك ٢:٨ـ١٥) ، اذ بهذا الرداء شطر ايليا المياه ووصل الى مكان حيث اخذته عجلة نارية ورفعته الى السماء . كما ان ايليشاع تلميذ ايليا استلهم الرداء من معلمـــه ، فصارت له القدرة هو الاخر على شق المياه ، بضربة من هذا الرداء .. مات ايليشاع موتا طبيعيا ، لكن عجائب جرت على قبره (٤ ملوك ١٣:٢٠ـ٢١) .

ان ثوب العذراء شبيه برداء ايليا . وهو يساعدنا في مجـــابهة الصعوبات بمعونة العذراء مريم . وفي ساعة الموت يشق لنـــا هذا الرداء الطريق ويصل بنا سالمين الى حيث تنتظـــرنا عجلة نارية ننطلق بنـــا إلى الســـماء .

هذه الاعتبارات الثلاثة تشكل نقطة انطلاق لحياة نعيشها متحدين مع مريم . اذا طالعنا كتابات مؤلفين من الرهبان الكرمليين ، مثل القديسة ترازيا الافيلية ، والقديسة ترازيا الصغيرة .. نجد كيف ان سيدة الكرمل تعد المتعبدين لها للقاء مع اله العهد .

قراءة :

زكريـــا ٢:١٤ـ١٧

لوقـــا ٢:١٦ـ٢١

١٠ ـ انتقال العـذراء :

يصادف عيد انتقال العذراء يوم ١٥ آب . وتحتفل به كل الكنائس ، ومنها كنيسة انتقال العذراء ، في بغداد ـ المنصور .

١ ـ انتقال العذراء عبر التاريخ :

يعتبر عيد انتقال العذراء من أروع الاعياد المريمية . لقد قامت العذراء ، خلال حياة يسوع العلنية ، بدور يسوده الصمت . ولكن رغم حياتها الصامتة الخفية في تواضعها العميق ، كانت في نظر الله الخليقة المحبوبة اكثر كل الخلائق . وقد ظهرت عظمتها في انتقالها الى السماء . وهذا الانتقال يكشف ايضا قيمة حياتها البشرية . ان مريم تشترك الآن في مجد القيامة ، وهي المكللة الاولى في ملكوت الله .

اذا بحثنا في أقدم الآثار المتعلقة بالمرحلة الاخيرة من حياة مريم على الارض ، نستغرب من ان مريم لا يرد ذكرها في الاجيال الاولى من تاريخ الكنيسة . العهد الجديد يكتفي بذكرها مرتين . المرة الاولى في انجيل يوحنا (١٩:٢٥ـ٢٧) حينما يترك يسوع امه لعناية تلميذه يوحنا الحبيب . والمرة الثانية ، نجد مريم حاضرة في العلية ، مع الجماعة المسيحية الناشئة حيث كان الجميع مجتمعين قبل يوم الخمسين ، وهم ينتظرون حلول الروح القدس (أعمال ١:١٤) . بعد ذلك لا نعلم شيئا آخر عن مريم . فلا نعرف كم سنة عاشت بعد يوم الخمسين ، ولا اين وكيف ماتت ، هذه التساؤلات قد تبقى بلا جواب الى مدى الدهر .

اما انتقال مريم الى السماء فهو اعتقاد لاهوتي يثبته التقليد الكنسي ، وهو حقيقة اعلنتها الكنيسة استناداً الى وديعة الوحي الالهي ، ولم تهتم لها منذ البداية .

لمدة اربعة قرون تقريبا كانت الكنيسة تحتفل بموت يسوع وقيامته دون ان يتكلم احد كلاما صريحا عن موت العذراء وانتقالها الى السماء . واول من تحدث بهذا الشأن هو ابيفانيوس (+ ٤٠٣) الفلسطيني الاصل والذي صار اسقفا لمدينة سلاميس (وهي فاماكوستا الحالية الكائنة في قبرص) . فهذا الاسقف كتب سنة ٣٧٧ رسالة الى مسيحيي بلاد العرب ، اثار فيها مسألة وفاة مريم . وبما انه فلسطيني الاصل ، فهو شاهد مطلع على كل التقاليد المحفوظة والجارية في الاراضي المقدسة . لكنه يقر بجهلة لاية معلومات تخص نهاية حياة العذراء على الارض . فهو لم يسمع شيئا عن وجود قبر لمريم في اورشليم ، ولا عن موتها في هذه المدينة . ولا يعلم اذا ما توفيت مريم ام لا . لكنه يعرف فقط ان نهايتها كانت لائقة بها ، ويرى ان اعجوبة ما قد جرت في ذلك الوقت . ولكن لافتقاره الى مصادر بهذا الشأن ، يفضل الوقوف عند المعلومات الزهيدة الواردة في العهد الجديد ، ويقول : « عن العذراء القديسة لا نعلم انها قد توفيت ام لا .. ولا انها قد دفنت ، ولا انها لم تدفن ... ان الكتاب المقدس لزم عنها صمتا مطبقا نظرا الى عظمة المعجزة ، لئلا يثير دهشة الناس اثارة لا تطاق .. وانا من جهتي لا اجرؤ على التحدث عنها . لذا احتفظ بهذه المسألة في ذهني واسكت » .

والاسقف يقدم ثلاثة امكانيات ليست الواحدة اكثر صحة من الاخرى فيقول : « لنقل انها ماتت موتا طبيعيا ، وفي هذه الحالة رقدت بالمجد ، وارتحلت طاهرة ، فنالت اكليل طهارتها . او لنقل انها ضربت بالسيف ، حسب نبوءة شمعون (لوقا ٢:٢٥) . اذن فهي ممجدة مع الشهداء . وبما ان النور الالهي بها كان يشرق على هذا العالم ، فهي في موطن السعادة بجسدها الطاهر . او بالاحرى انها انتقلت من هذا العالم دون وفاة ، لان الله قادر ان يعمل ما يريد . وفي هذه الحالة نقلت بكل بساطة الى المجد الابدي (رؤيا ١٢:٢٤) » .

ويختتم حديثه قائلا : « انا لا اقول انها بقيت غير مائتة .. ولا اجزم ايضا بانها قابلة للموت . ان الكتاب المقدس قد سما فوق العقل البشري

وترك هذه المسألة غير واضحة بخصوص هذه العذراء التي لا مثيل لها ، لكي يقطع الدرب على كل فكر دنيوي ولحمي بشأنها . فهل انها ماتت ؟ اننا نجهل ذلك » .

ان هذا الاثبات الذي يقدمه المطران ابيفانيوس لم يطرأ عليه اي تصليح او تدقيق . ولا يمكننا التغاضي عنه اذا اردنا ان نبحث تطور مسألة الانتقال ابتداءا من القرن الخامس .

في القرن الخامس لقيت مريم العذراء اهتماما جادا ، حركه بالاخص مجمع افسس سنة ٤٣١ . فهذا المجمع قرر ان تدعى مريم ام الله ، فاطلق حركة ليترجية وعقائدية وفنية مركزة على ام الله .

نسرد هنا الكتابات المنحولة التي بدات كأول تيار لهذه الحركة . بهذه الكتابات حاولت المخيلة البشرية ان تسد الفراغ الذي تركه الكتاب المقدس والتقليد بشأن مريم . منها حكايات باللغة القبطية واليونانية واللاتينية والسريانية والعربية والاثيوبية والارمنية تروي مفصلا قصة « تحول مريم » . وفي التفاصيل تناقضات كثيرة لا تتيح لنا ان نجد فيها خطا عاما . لكنها متفقة على نقطتين هما :

١ ـ جميعها تذكر موت مريم .
٢ ـ كلها تفترض ، كمرفق مع التحول ، تدخلا الهيا خاصا .

ولكي يكون لنا فكرة عن هذا الادب المنحول ، نلقي نظرة على كتاب سرياني مؤرخ في النصف الثاني من القرن الخامس ، فهو واحد من اقدم الكتب المنحولة حول مسألة التحول ، فيه نجد تعبيرا صريحا عن قيامة مريم ، وقد انضم جسدها الى نفسها .

تقول الرواية ان الرسل احاطوا بقبر مريم ليمكثوا ساهرين هناك لمدة ثلاثة ايام . والمسيح نزل من السماء مع الملاك ميخائيل وجلس بينهم . بعد ذلك ، تقول الرواية : اوعز ربنا الى القديس ميخائيل ، فبدأ ميخائيل يتكلم بصوت ملاك قادر .. فنزل ملائكة على ثلاث سحب ، وكان عدد الملائكة فوق كل سحابة يربو على الف ملاك ، وهم يرتلون الامجاد ليسوع . فقال

الرب لميخائيل : « ليحملوا جسد مريم في السحب » . وعندما حمل جسد مريم في السحب ، قال ربنا للرسل ان بامكانهم ان يقتربوا من السحب . ومع اقترابهم من السحب كانوا يرتلون بصوت الملائكة . فأمر ربنا السحب ان تذهب الى باب الفردوس . وعندما دخلوا الى الفردوس ، ذهب جسد مريم الى شجرة الحياة . فاقتادوا نفسها وجعلوها تدخل في جسدها ، وللحال اطلق الرب الملائكة الى اماكنهم .

ما قيمة حكايات كهذه ؟ انها لا قيمة لها كقصة تاريخية حول موت العذراء وانتقالها . لكن قيمتها عظيمة جدا من وجهة النظر اللاهوتية . فهي تكشف ردة الفعل في التقوى المسيحية القديمة ازاء حادث وفاة مريم ، انها تعبير عن حس بديهي نابع عن ايمان المسيحيين الذي يعتبر انه لا يليق لجسد مريم ان يعرف الفساد .. والسبب لذلك هو مقولة لاهوتية تفيد ان مريم أم الله ، وبتوليتها معجزة ، وهي قديسة لا مثيل لها . ان اعتقاد الشعب المسيحي في القرن الخامس ، رغم صياغته باسلوب تخيلي ، يأتي جزءا من حركة تعليمية لن تتبدل قط .

والليتورجيا تيار آخر جسم انتقال مريم .. فقبل مجمع افسس كان للعذراء مريم مكانة في الليتورجيا ، نظرا الى علاقتها بسر التجسد .

في القرن الرابع كان ميلاد يسوع يحتفل به ليلا في بيت لحم . وأثناء الاحتفال كانت تذكر أم يسوع . ومنذ سنة ٣٧٥ كانت كباذوكيا ، الكائنة في تركيا الحالية ، تحتفل بعيد الميلاد . وللقديس باسيليوس موعظة نتأكد منها ان نبوءة اشعيا (الفصل ٧) المنبئة بحبل العذراء ، كانت تتلى في هذا الاحتفال ، وكذلك بداية انجيل متي حيث يرد الكلام عن الحبل والولادة البتولية . ولكن اذا كان عيد الميلاد مركزا على المسيح ، الا ان الفكر كان يتجه اكثر الى العذراء نفسها اثناء تدشين عيد خاص يدعى « يوم مريم أم الله » الذي بدأ الاحتفال به قبل مجمع افسس بقليل واتسع نطاقه بعد هذا المجمع . منذ القرن الخامس نجد هذا العيد بتاريخ ١٥ آب .

وهذا اليوم ، المخصص لمريم أم الله ، سيصبح عيد الانتقال ، وذلك حسب اجراء معقول جدا .. فمنذ القرن الثاني بدأ المسيحيون يحتفلون بالذكرى السنوية لوفاة الشهداء ، وكانوا يعتبرون يوم وفاتهم يوم دخولهم الى السماء . في القرن الخامس ادخلت هذه العادة الى الممارسات الليتورجية . فأتخذ العيد الجديد المدعو « يوم مريم أم الله » نفس المعنى لتذكار الشهداء . وهذا الاعتبار اثر في اوساط المؤمنين اكثر من مجمع افسس الذي اراد تكريم « أم الله » ، فصار تذكار موت العذراء تذكارا لدخولها الى السماء . ونحو بداية القرن السادس تبدل اسم « يوم مريم أم الله » واتخذ اسم « رقاد » « عبور » « انتقال » مريم . نحو سنة ٦٠٠ انتشر الاحتفال به في الامبراطورية الرومانية شرقا وصار اكبر عيد مريمي .

ويقال ان عيد الانتقال كان يجري الاحتفال به في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الخامس . هذا ما يؤكده يعقوب السروجي (نحو سنة ٤٩٠) في شعر مستلهم بمناسبة العيد ، يذكر فيه انتقال مريم الى السماء ، ويتحدث عن جسدها الطاهر المنطلق الى الفردوس .

فالى جانب الكتب المنحولة ، تصبح الليتورجيا علامة لاعتقاد الكنيسة بأن مريم هي في السماء ، بالجسد والنفس . لكن الليتورجية علامة اشد وضوحا وفعالية من الكتب المنحولة ، لان الليتورجية يتم تنظيمها بموافقة المسؤولين في الكنيسة الذين ، حين يقبلون ويعلمون ممارسات دينية علنية، يقبلون محتواها مؤمنين به .. لان الكنيسة تصلي حسب ايمانها ، كما يقول البابا بيوس الثاني عشر « ينبغي لشريعة الايمان ان تحدد ايضا شريعة الصلاة » .

بعد هذا كله لا بد لتلقائية الشعب في الكتب المنحولة ، ولتقوى الكنيسة في صلواتها ، من ان تمر بغربلة لاهوتية .

فالقديس افرام (+ ٣٧٣) ، المعاصر للاسقف الفلسطيني ابيفانيوس ، يعتقد ان مريم ماتت ، ثم انتقلت الى السماء . ويرى العذراء مرفوعة على اجنحة المسيح الى الاجواء العليا . والمسيح القى عليها حلة جديدة ،

واشركها في عظمته وجلاله . لكن لهجة مار افرام شمولية جدا ، لا نفهم منها ان جسد العذراء قد تمجد .

بعد مجمع افسس وتسرب الكتابات المنحولة ، نشط اللاهوتيون لايضاح الامور نشاطا بدأ في القرن السادس ، وفي الشرق عرف هذا النشاط عصرا ذهبيا في القرن الثامن . وهم يميلون الى القول بوفاة مريم لثلاثة أسباب :

١ ـ لان ابنها ، هو الاول ، اراد ان يموت .

٢ ـ لان طبيعتها لا تختلف عن طبيعتنا .

٣ ـ لان موتها اريد به التأكيد على حقيقة التجسد .

ويميلون الى القول ايضا بقيامة مريم ، بكامل طبيعتها البشرية ، مبرهنين على ان الاناء الذي حمل الله ، لا يمكن ان ينحل في التراب . فمريم اذن ، بجسدها ونفسها ارتفعت الى السماء . وبهذا الشأن ، يعلن جرمانوس بطريرك القسطنطينية قائلا ان الحس المسيحي يطالب مطالبة شديدة بوضع كهذا .. لان انتقال مريم بالجسد هو نتيجة لامومتها الالهية.

ولكن لا يصح القول بأن انتقال مريم كان ، منذ القرن الثامن ، اعتقادا عاما في الكنيسة . في الغرب ، اتخذ صمت الكتاب المقدس ذريعة قوية ضد الانتقال . فاللاهوتيون الغربيون قالوا بان الكتابات المنحولة قاعدة رخوة لا يستند عليها . ولكن اراءهم تبدلت في القرن الحادي عشر وخاصة في القرن الثاني عشر ، بتاثير اللاهوتيين الشرقيين لذلك حينما كانت التعاليم البروتسطنطية والعصرنة تهز الكنيسة شبه هزة ارضية ، لم يتغير موقف الكاثوليك بشأن انتقال مريم . اذن منذ القرن الخامس، لمابدأ وعي المسيحيين يزداد بهذه المسألة ، آمنت الكنيسة بانتقال العذراء. والتعليم المتواصل لهذه الحقيقة ، خلال ١٥ قرنا ، انتهى الى الاعتقاد بان انتقال العذراء هو جزء من الوحي الالهي . فالبابا بيوس الثاني عشر ، بعد استشارة جميع الاساقفة الكاثوليك ، اعلن في اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩٥٠ ان انتقال العذراء عقيدة كنسية .

٢ ـ العقيـــدة :

وهنا نسـأل ما هو المحتوى الدقيق لهذه العقيدة الايمانيـة ؟ كيف نقبلها رغم السكوت عليها فى الكتاب المقدس والاجيال الاولى من تاريـخ الكنيسة ؟ وما هو المعنى الذي تحمله الينا ؟

ا ـ محتوى عقيدة الانتقال :

يقول تحديد هذه العقيدة ما يلي :

« ان البريئة من الدنس ام الله ، مريم الدائمة البتولية ، فى نهاية حياتها الارضية ، اخذت الى السماء بالجسد والنفس في المجد السماوي »

فمريم الان موجودة فى السماء ، بجسدها ونفسها ، مع المسيـح القائم ، في شركـة المجد . هذا ما تبينه العقيدة بصورة جلية .. ولا تضيف عليه شيئا آخر

ولكن اين جرى الانتقال المجيد ؟ متى ، وكيف ؟ ان تحديد العقيـدة لا يجيب علـى احـد هـذه الاسئلـة . ولا يؤكد على ان مـريم ماتت ام لا .. فالاثبات الذى يورده ابيفانيوس سنة ٣٧٧ يبقى قيد البحث . امـا بيوس الثانى عشر فقد اعتبر ان موت مريم ، رغم امكانيته ، ليس له صلة واضحة بالوحي الالهي .

والعقيدة لا تؤكد ايضا على ان الانتقال نعمة فريدة خاصة . فمجال البحث مفتوح للرأي القائل بان التمجيد الجسدي المباشر هو مصير عام .

لكن لهجة تحديد العقيدة تلفت الانتباه الى تسمية مريم :

« البريئة من الدنس ام الله الدائمة البتولية » . فهذه الالقـاب لم يتم اختيارها بدافع من التقوى . لا بل ان لها قوة حجج لاهوتية . لان جسـد الطاهرة ، المصون من كل خطيئة ـ وهو جسد ام الله ، التي ولدت كلمة الله ـ هذا الجسد الذي صان الروح القدس بتوليته كاملة ، لم يبق اسير قيود الموت .

ب ــ العلاقة مع الكتب المقدسة :

تعتقد الكنيسة ان الوحي قد ختم بوفاة اخر رسول من رسل المسيح . فكل تعليم يصدر بعد الرسل لا تعتبره الا تفسيرا للوحي ، او تقدما فيه لا غير .. والتقدم نعني به ان ما كان موحى ضمنيا اتضح بصورة جلية عبر التاريخ .

والوحي وصل الينا فى الكتاب المقدس .. فلو ارادت الكنيسة ان تثبت اليوم ان حقيقة ما هي موحاة من قبل الله ، كما هي الحال فى عقيدة انتقال العذراء ، ينبغي ان تكون هذه الحقيقة ، بشكل ضمني على الاقل ، موجودة في الكتاب المقدس

وحقيقة انتقال مريم لم ترد واضحة في الكتاب المقدس ، نعم ، ولكن هل انها واردة فيه بصورة ضمنية ؟

يستند اباء الكنيسة والملافنة واللاهوتيون على ثلاث اعتبارات كتابية لاثبات الانتقال ، هي :

١ ــ الاتحاد التام القائم بين العذراء وابنها :

تقول رسالة البابا بيوس الثاني عشر : يرينا الكتاب المقدس والدة الله الجليلة ، وكاننا نراها باعيننا ، فى اعمق اتحاد صميمي مع ابنها الالهي ومقتسمة دائما مصيره . لذا فمن غير الممكن تقريبا ان نتصور تلك التي حبلت بالمسيح ، وولدته فى العالم ، وارضعته من حليبها ، وحملته على ذراعيها ، وحضنته على صدرها ، مفترقة عنه بالجسد ، بعد هذه الحياة الارضية ، وان كانت غير مفترقة عنه بنفسها ..

٢ ــ الامومة الالهيــــة :

« بما ان فادينا هو ابن مريم ، لم يكن باستطاعته ، هو المحافظ الاكمل على الشريعة الالهية ، الا ان يكرم ، لا فقط اباه الازلي ، بل وامه الحبيبة ايضا . وبما انه كان قادرا على ان يقدم لها هذا الاكرام العظيم بحفظها من الفساد في القبر ، فعلينا ان نؤمن بانه عمل ذلك فعلا » .

٣ – دور مريم شريكة الفداء ، هذا الدور الذي يجعلها صورة حواء الجديدة ، المشتركة مع المسيح ، آدم الجديد ، اللذين حققا نصرا كاملا وشاملا على الشيطان :

« يجب ان نتذكر بالاخص ان الاباء القديسين ، منذ القرن الثاني ، يعتبرون مريم العذراء مثل حواء الجديدة ، التي وان كانت خاضعة لادم الجديد ، فهي متحدة معه اتم الاتحاد ، في الصراع ضد العدو الجهنمي ، الصراع الذي يجب ان ينتهي اخيرا ، كما تقول البشرى قديما (تكوين ٣ : ١٥) الى الغلبة الكاملة على الخطيئة والموت كما هو مذكور عنهما دائما في كتابات رسول الامم (راجع مثلا : رومية الفصل ٥ و ٦ ، اول قورنثية ١٥ : ٢١–٢٦ و ٥٤–٥٧) . وبما ان قيامة المسيح المجيدة كانت جزءا جوهريا من هذه الغلبة وعلامة اخيرة لها ، لذا فالصراع المشترك الذي قامت به العذراء الطوباوية الى جانب ابنها ، كان ينبغي أن ينتهي بتمجيد جسدها البتولي ، وذلك كقول الرسول نفسه ، « ومتى لبس هذا الجسد الفاسد عدم الفساد ، وهذا الجسد المائت عدم الموت ، فحينئذ يتم القول الذي كتب : لقد ابتلع الموت في الغلبة » (اقور ١٥ : ٥٤) .

ج – صمت الاجيال الاولى :

ان الافتقار الى سلسلة متواصلة من شهادات جلية ، ممتدة بين زماننا وزمان الرسل ، كان يشكل لبعض اللاهوتيين الكاثوليك عائقا ضد اعلان الانتقال عقيدة ايمانية .

فاتى الرد اللاهوتي على هذا الاعتراض بان وديعة الايمان سلمت الى الكنيسة الحية . فكنيسة الزمان الحاضر هي نفس الشخص الادبي مثل كنيسة الازمنة الاولى . وبما انها مستنيرة بالروح القدس ، فلها كل الحق في تفسير وديعة الايمان مثلما للكنيسة القديمة . هذا ما يثبته تاريخ المجامع الذى يشهد ان الكنيسة وضحت دائما ما كانت تعتقده موجودا بشكل ضمني فى الكتاب المقدس والتقليد القديم . وهذا الحق في ايضاح الايمان المسيحي يبقى مصونا ، وان كنا نفتقر الى براهين تثبت ان

الكنيسة ، في حقبة ما ، آمنت فعلا بحقيقة جاهزة (بشـأن الانتقـال ، تعوزنا البراهين للحقبة الممتدة ما بين كتابة العهد الجديد والقرن الخامس) . واذا كانت الكنيسة تؤمن بحقيقة الانتقال حاليا ، فذلك لانها ضمنيا آمنت بها في الزمان الماضي

٣ ــ معنى الانتقال بالنسبة الينا :

لم يشك احد من المسيحيين ابدا بأن العذراء مريم هي في السماء . لكن الاهمية العظمى لعقيدة الانتقال هي قولها بان العذراء مريم هي فـي السماء بجسدها . هذه الحقيقة تعلمنا شيئين على الاخص هما :

ا ــ الســـماء :

المسيح هو في السماء ، بجسده الممجد ، وهذا بند جوهري من بنود ايماننا . وعقيدة الانتقال تضيف الى هذه الحقيقة قائلة ان مريم هي ايضا في السماء ، بالجسد والنفس . ونحن نؤمن بان نفس المصـير المجيـد سيحظى به جميع الناس الصالحين ، يوما ما ، حين نقول ونؤمن بقيامـة الموتى (قيامة الجسد) .

ان وجود اجساد بشرية في السماء يوضح لنا معنى السماء ايضاحا ادق . فنحن نميل الى اعتبارها روحية جدا . فهناك الله ، الذى هو روح وهناك انفس القديسين ، التي هي ارواح ايضا . . نعم . ولكن لا نفـرط في هذه النظرة الروحية . في السماء ، يبقى الانسان كما هو ، اعنـي بجسده ونفسه . حتى ولو ان الجسد سيصبح « سماويا » و «متروحنا» لكن مع ذلك يبقى جسدا بشريا . .

ب ــ اهمية الجســد :

اذا كان الجسد ، فى نظر الله ، له هذه الاهمية حتى انه يقيمـه ، يجب ان نستنتج من ذلك ان الجسد يشترك بشكل مباشر فـي تقديس الانسان . فعلينا ان نقدس ذاتنا في حياتنا اليومية ، بعمل الجسد وراحته وبكل ما يفعله الجســد .

لم تكن حياة مريم ، ام يسوع ، الا مليئة من العنايـــة بابنهـــا ، وعائلتها . فقد زاولت العمل الذي تعمله كل الامهات ، وذلك لمدة ثلاثـين سنة . وعندما بدأ يسوع حياته العلنية ، لم تعم فيها مريم بدور منظور ولا يرد ذكرها بين النساء اللواتى كن يرافقن يسوع . وحينما ياتي الكلام عنها ، ياتي وكأنه عن شخص جاء يزور يسوع « ان امك تريد ان تـراك » فمن الممكن جدا ان مريم واصلت حياتها الاعتيادية في الناصرة . لكن هذه الحياة البسيطة جدا كان الله راضيا عنها كل الرضى ، بحيث اخـذ مريم لديه في السماء بالجسد والنفس . انا نقدس نهارنا بالايمان والمحبة ، بكل ما نعمله بجسدنا ، باللطف ، والخدمة ، والشغل ، هذه كلهـا اعمـال « مسيحية » ولا شيء فيها جسدي فقط ، او روحي لا غير . اذ لا يمكن الفصل بين الجسد والروح ، حتى ولا في الحياة الابدية .

قـــراءة :

اولى قورنثية ١٥ : ٢٠–٢٦

رومية ١٦ : ١–٢٧

لوقا ١ : ٣٩–٥٦

يوحنا ١٩ : ٣١–٣٥

مرقس ٦ : ١ – ٤

لوقـا ١ : ٣٨

١١ ـ سيدة النجاة :

ان العذراء سيدة النجاة ، كما هي معروفة ومكرمة في بغداد ، نوليها اهتماما خاصا ، لاننا نحاول فى هذا الكتاب ان نفهم كيف ولماذا يفضل الشعب هذا اللقب او ذاك من القاب العذراء في العراق .. ومن جهة اخرى لا يمكننا ان ننسى ان لقب سيدة النجاة يجذب المسيحيين في بلدان عربية اخرى ، ولبنان بالاخص .. فهناك كنائس عديدة واديرة تحتفظ بصورة العذراء سيدة النجاة ، وكل صورة لها فنها وطابعها الخاص .. والصورة الموجودة في بكفيه هي اكثرها شهرة

١ ـ سيدة النجاة في بغداد

في بغداد تحتفل كنيسة السريان الكاثوليك بعيد سيدة النجاة يوم ١٥ اب .

وفي هذه الكنيســة صــورة للعذراء يعود تاريخها الى عهد البطريرك ميخائيل جروة (١٧٣١ ــ ١٨٠٠) الذى زار الاراضي المقدسة سنة ١٧٥٧ واشترى ايقونة صغيرة للعذراء مريم مرسومة علـــى الخشب . وظـل محتفظا بها الى حين وفاته . وبقيت الايقونة في الشرفة . بعد ذلك رسمت عنها صور اخرى اكبر حجما مغايرة لها ، ومنها الصورة الموجودة في كنيسة سيدة النجاة ــ في العلوية ــ .

٢ ـ سيدة النجاة في بكفية (لبنان)

١ ـ تاريخ الصورة

سنة ١٨٣٧ افتتح الاباء اليسوعيون ديرا في قرية بكفيه الواقعة في جبل لبنان ، على اسم القديس يوحنا فرنسيس واجيس ، وهو قديس يسوعي من القرن ١٧ ، مارس نشاطا رسوليا لدى الفقراء الساكنين في الجبال الواقعة الى جنوب فرنسا . لذلك اختاره اليسوعيون كشفيع مناسب لاهالي جبل لبنان حيث راحوا يعملون . لكن هذا القديس كان مجهولا لدى سكان بكفيه . فلما وضع الاب استيف صورة القديس فوق المذبح الكبير اثناء حفلة افتتاح الكنيسة ، صرخ الحاضرون قائلين : « السلام عليك يا مريم البتول » . اندهش الاب لهذا الصراخ المفاجىء والعفوي ، واعتبره علامة من السماء ، فاخذ صورة القديس ووضعها الى جانب الانجيل ، وحط مكانها صورة للعذراء مريم .

وهذه الصورة كانت نسخة مرسومة على نحاس ، عن لوحة رسمها الرسام الايطالي ساسوفيراتو « ١٦٠٥ــ١٦٨٥ » . والاب ريمون استيف كان قد رأى هذه النسخة في جناح من دير « يسوع » التابع لليسوعيين في روما ، حينما كان طالبا في كلية روما . فاخذ يتعبد لهذه الصورة . ولما سافر الى الشرق سنة ١٨٣٤ اعطاه الدير اشياء تقوية ، ومن ضمنها الصورة التي طالب بها ليضعها في ديره الجديد ، فقيل له : « انها صغيرة الحجم » فاجاب الاب قائلا : « ومع ذلك ، اعطوها لي ، فاني ساستعملها على خير ما يرام »

هذه الصورة اتخذت لقب العذراء سيدة النجاة ، ذات يوم شاهدها زائر ، فراها صغيرة جدا لا يتناسب حجمها مع المذبح الكبير . فرد عليه الاب استيف قائلا : « انها صغيرة ، لكنها قديرة » .

وهذه القدرة لمسها فعلا اهالي بكفية والمناطق المجاورة ، لان سيدة النجاة انقذتهم مرارا من اخطار ومصائب كثيرة في القرن الماضي ابان حكم الدولة العثمانية للبلاد ، وما زالت مريم تحفظ تحت ستر حمايتها جميع الملتجئين اليها ليل نهار .

وقد ترجم اهالي بكفية تعلقهم بالعذراء الى اعمال ملموسة ، كان اهمها تأسيس رهبانتين الواحدة للنساء والاخرى للرجال ، هدفهما العناية بتربية اطفال المنطقة ..

سنة ١٨٦٨ نجت بكفية من وباء الكوليرا ، فاقام الاهالي تمثالا للعذراء في القرية . وقد منح اسقفان غفرانات لكل من يزور معبد العذراء هناك . كما ان البابا بيوس التاسع شمل الحج الى بكفية بغفرانات اخرى . وهكذا اضحت سيدة النجاة في بكفية محط رحال الزوار من كل مكان .

سنة ١٨٨٦ تم ابدال الصورة الصغيرة بتمثال كبير لعذراء لورد وضع فوق المذبح الكبير . اما الصورة فقد نقلت الى موضع اخر من الكنيسة . وقد نجت من الحريق الذي شب في الكنيسة ليلة الخامس على السادس من حزيران سنة ١٨٩٩ ، لان مئات من الرجال والنساء والاطفال هبوا لاخماد النار .

ابان الحرب العالمية الاولى ترك الدير جميع الرهبان ، وفي ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٦ استولى الجنود الاتراك على الكنيسة ايضا .. لكن الصورة العجائبية تم الحفاظ عليها من العبث بها ، وفي سنة ١٩١٨ عادت ثانية الى موضعها في الكنيسة .

بعد فترة من الزمن اضحى دير اليسوعيين مركزا عالميا يؤمه الرهبان القادمون من اوربا وامريكا لدراسة اللغة العربية ، ولا شك ان تواجدهم هناك ساهم كثيرا في نشر التعبد لسيدة النجاة على نطاق عالمي .

لا احد يمكنه ان يحصي النعم الغزيرة التي سكبتها سيدة النجاة على مختلف الناس في العالم كله تقريبا ، وبهذا الشأن حوادث صغيرة تدل احيانا على نعم غير متوقعة ، منها مثلا قصة شابة بولونية طلبت سنة

١٩٤٣ ان تتزوج من احد مواطنيها ، في كنيسة سيدة النجاة . فهذه الفتاة عندما كانت طفلة صغيرة في بولونيا اعطتها جدتها صورة لسيدة بكفية ، وكانت تتعبد لها دون ان تعرف في اي بلد تقع بكفية . والصورة صحبتها معها الى معتقلات العمل في سيبيريا . ومن هناك قطعت بلادا كثيرة كلاجئة . ثم وصلت الى لبنان . وبينما كانت تسير ذات يوم على مفترق طرق قرات لوحة كتب عليها : بكفية . استفسرت عنها فعلمت انها بكفية سيدة النجاة . واخيرا عقد اكليل زواجها من احد مواطنيها البولونيين ، امام العذراء التي ندبتها مرارا كثيرة في صلاتها..

٢ ـ على مثال العذراء :

أ ـ العذراء المصلية :

بعد ازمنة المحن والمصائب ، وبعد حلول السلام ، لم ينس المؤمنون العذراء مريم سيدة النجاة . لكنهم يواصلون زياراتهم لها بشكل مكثف ، ليشكروها ، ويطلبوا منها ان تحميهم من كل مكروه

وها هم الان يدققون النظر الى الصورة نفسها ، فيجدونها ذات طابع خاص متميز . فهي لا تحمل اكليلا على راسها ، ولا ترتدي ثيابا فاخرة ، انها بهيئة امراة قروية يكسوها ايزار من صوف . وطفلها ليس معها ، ولو ان المرء يشعر بحضوره . انها لا تبكي ، ولا تبتسم ، لكنها تصلي

نادرا ما نجد وصفا لأحدى صور العذراء ، قصيرا كهذا ودقيقا وجميلا . فهذه العذراء عيناها مغمضتان . نلاحظ فيها حالا طابع الحياة اليومية ، البادية على ثيابها ، وعلى هيئة جسمها ايضا ، التي هي هيئة امراة شعبية تعرف معنى العمل ، لكنها اغمضت عينيها عما في العالم من هموم ثقيلة وافراح خفيفة ، ولا تفكر الا بابنها الممجد . انها تصلي..

ونحن لا نستطيع ان نهمل الايحاء القوي الصادر عن هذه الصورة والقائل لنا : **صلوا ! افسحوا المجال لصلاة تنفذ الى اعماقكم ، وتسمو فوق رغباتكم ونواياكم . لا تفكروا الا في الله ، وعيشوا بحضوره ، ولو لفترة قصيرة ، وكأن العالم بعيد عنكم ، ومنسي منكم**

ب ــ العيش مع العذراء :

ولكن قلنا ان الحياة اليومية تلازمنا دائما . فالعذراء لا تصلي فقط ، ولكنها بعد الصلاة تعود الى الحياة كما هي يوميا ، بفارق واحد هــو ان حياتها بكل ما فيها من نشاط وهمة . هي الاخرى مملوءة من حضور الله . فالصلاة والعمل كلاهما لمجد الله .

ان الاشخاص الذين كانوا اقرب الكل من سيدة النجاة ، منذ البداية ، يبينون لنا ما معنى التعبد لها . ومثالهم يدعونا الى تعبد حار للعذراء مريم .
ــ الاباء اليسوعيون .

منذ سنة ١٨٣٧ ، وبعد اسابيع قليلة من تنصيب صــورة العذراء ، ادخل الاباء اليسوعيون ممارسة روحية فى التعبد لمريم ، كانت مجهولــة الى ذلك الحين في الشرق وهي عبادة « الشهر المريمي». فقد كان اهتمامهم منصبا على التربية المسيحية للاولاد . ولهذه الغاية اسسوا رهبانيتــين تعملان فى هذا الحقل المهم للحياة المسيحية ..

قراءة :

اعمال الرسل ١ : ١٢ــ١٤

لوقا ٦ : ١٢ــ١٩

متى ١٨ : ١٩ــ٢٠

١٢ ـ ولادة مريم :

العيد : ٨ ايلول .

١ ـ انجيل يعقوب المنحول :

ان اكرام العذراء مريم عريق في الكنيسة منذ نشأتها ، فلا نتخذ صمت الانجيل عن مريم ذريعة للاعتقاد بأن الكنيسة في عهد الرسل كانت تولي اهتماما قليلا بمريم العذراء .

والانجيل نفسه يناقض اعتقادا كهذا . صحيح ان نشاط الرسل تركز على المسيح . فوعظوا بتعليمه وعجائبه وموته وقيامته . أن الايمان بالمسيح هو ديانتنا برمتها ، لكن مريم كانت تعيش مع الرسل ، لانها ام المسيح . فمن الطبيعي جدا انهم كانوا يكنون لها أحتراما فائقا .

هذا ما نلاحظه فى اخبار طفولة يسوع الواردة فى انجيل متي ولوقا . فهي تؤكد ، منذ عهد الانجيليين ، على ما كان لمريم من مكانة مرموقة . والقديس يوحنا ، الذي كتب بعدهم ، يضيف الى انجيله فصتين اهملهما زملاؤه (وهما عرس قانا الجليل ومريم تحت الصليب) . فالكنيسة الناشئة فى اكرامها لمريم ، خلفت لنا معطيات هي لمسات اولى في مجال التعبد لام يسوع. ومع هذا كله ، تبقى المعلومات عن مريم ناقصة جدا، وبالاخص عن ولادتها .. فلا يذكر الانجيل اين ولدت ، ولا في اية ظروف ، ولا يقول شيئا عن اهلها .. لذلك طلعت الكتابات المنحولة لتسد الفراغ الوارد في الانجيل ، باسلوب مفصل ، املته المخيلة البشرية ، اكثر مما صاغته الحقيقة التاريخية . حول ولادة العذراء مريم لنا كتاب منحول قديم جدا يعود تاريخه الى القرن الثاني هو انجيل يعقوب . يبدو أن مصدره فلسطيني ، ولعله مدون في مدينة اورشليم بالذات . اسلوبه فى التعبير كتابي جدا . فالكتاب المقدس يتكلم عن ولادات عجائبية ، منحها الله

اوالدين طاعنين فى السن .. اولهم ابراهيم وابنـه اسحق ، واخرهم زكريا وابنه يوحنا المعمذان . ومؤلف هذا الكتاب المنحول يفترض نفس الحالـة لمريم ..

نسرد هنا مقاطع من هذا الانجيل المنحول المنسوب الى القديس يعقوب .:

« جاء فى تاريخ اسباط اسرائيل الاثنى عشر ، ان رجلا اسمه يوياقيم كان غنيا جدا . فنذر تقدمة مزدوجة قائلا : ما يزيد عن حاجتي يبقى للشعب كله ، وما هو مخصص لغفراني يعطى للرب كفارة » . فلما كان اليوم العظيم المكرس للرب ، قدم بنو اسرائيل قرابينهم . فاعترض عليه روبين قائلا : لا يحق لك ان تقدم قرابينك الاول ، لانه ليس لك نسل ، فحزن يوياقيم وراح مطعونا فى شعوره يتفحص قائمة اسباط الشعب الاثني عشر قائلا فى نفسه : اريد ان اعرف اذا ما كنت انا الوحيد الذى ليس لـه نسل ، فوجد ان جميع ابرار الشعب كان لهم اولاد ، وتذكر كيف ان الله اعطى لابراهيم ابنه اسحق في شيخوخته .

ظل يوياقيم حزينا ، مختفيا عن نظر امراته ، لانه ذهب الى الصحراء حيث نصب خيمة وصام اربعين يوما واربعين ليلة . وقال : انني لن اعود الى اكل الطعام ولا الى الشرب ، الى ان يتفقدني الرب . « صلاتي تكون لي طعاما وشرابا » . اما امراته حنة فقد اخذت الان تندب حظها لسببين قائلة : « انني ابكي على ترملي وابكي على عقري » . والنص يذكر صلوات حنة ، التي تذكر عقر سارة ، ثم يواصل قائلا :

« واذا بملاك الرب يظهر ويقول لها : حنة ، حنة ، ان الرب قد سمع صلواتك .. وها انك ستحبلين وتحملين طفلا ، والعالم كله سيتحدث عن نسلك . فقالت حنة : حي هو الرب الهي . اذا ولدت ابنا او ابنة ، انذره للرب الهي ، ليخدمه طيلة ايام حياته . ثم اقبل رسولان وقالا لها : هوذا زوجك يوياقيم آت مع قطعانه ، لان ملاكا من الرب ظهر له وقال : يوياقيم ، يوياقيم ، ان الرب الاله سمع صلاتك ، انزل ، فان امراتك قد حبلت .

فدعا يوياقيم رعيانه وقال : ائتوني بعشرة خرفان لا عيب فيها ولا عند فتكون للرب الهي . وائتوني بعشرة تيوس فتكون للكهنة وجماعة الشيوخ ومئة عنزة للشعب كله » .

وصل يوياقيم مع قطعانه وكانت حنة تنتظر على الباب ... حنة ، ركضت والقت بنفسها على عنقه قائلة : الان علمت ان الرب ... باركني بركة غزيرة ؛ لان الارملة لم تعد ارملـــة ، والعاقر ... فاستراح يوياقيم في اليوم الاول في بيتـــه .

وعند الصباح قدم قرابينه قائلا : اذا كان الرب الاله قد ... فسأعلم ذلك من اللوحة المعلقة على جبين الكاهن ، فقرب يوياقيم ... وكان يطيل النظر الى لوحة الكاهن ، لدى صعوده الى مذبح الرب ... ير خطيئة في نفسه . فقال يوياقيم : الان علمت ان الرب ... خطاياي كلها . ونزل من هيكل الرب مسرورا ، وعاد الى بيته .

بعد تسعة اشهر ولدت حنة . فسألت القابلة قائلة لها ... اجابت القابلة : ولدت ابنة .. فقالت حنة : « نفسي تتعظم ... كملت ايامها ، تطهرت حنة وكانت ترضع بنتها ودعت اسمها مريم .

٢ ـ معطيات ليتورجية :

يبين هذا الكتاب المنحول ان التقوى المسيحية ، في القرن الثاني ، كانت تكرم ولادة مريم . وهذه التقوى ازدادت اكثر فاكثـــر . فالقديس افرام (٣٠٦ـ٣٧٣) الف مديحا لولادة العذراء هذا نصه : « طوباك يا مريم البتول ، فيك كملت اسرار الانبياء والغازهم .. موسى اشار اليك في نار العليقة وفي السحابة . ويعقوب في السلم الصاعد الى السماء . وداود في تابوت العهد . وحزقيال في الباب المغلق بالاختام . وها ان اسرار اقوالهم تنكشف بميلادك . المجد للاب الذي ارسل ابنه الوحيد ليكشف ذاته بمريم ، وينقذنا من الضلال ونعظم ذكره على الارض وفي السماء » .

ومع ذلك ، فالليتورجية لم تتبن ولادة العذراء من وقت مبكر . في عهد القديس اوغسطينوس (٣٥٤ـ٤٣٠) لم يكن لها احتفال خـــاص . وتقول قصة اسطورية ظهرت في فرنسا ان القديس موريليوس (+ ٤٥٣) وضع هذا العيد في مدينة انجير ، نحو سنة ٤٣٠ ، على اثر ظهور جـرى لرجل ليلة الثامن من ايلول ، وسمع ملائكة تنشد في السمـــاء ، فلمـــا استفسر عن السبب ، قيل له انهم مسرورون لان العذراء ولدت في مثل هذه الليلة . وهذه الحكاية ليس لها اي اثبات تاريخي . ولا نجد ادلـــة جدية على وجود العيد ، آلا في الشرق ، وذلك في القرن السادس . منها مثلا تراتيل رومانوس المرتل ـ نحو سنة ٥٦٠ ـ وفي عهد اندراوس الكريتي (٦٦٠ـ٧٤٠) كان العيد تقليديا في الشرق . آذ ان للشخص المذكور اربع مواعظ يتحدث فيها عن ولادة مريم .

كنيسة روما احتفلت بالعيد في القرن السابع ، اذ يرد ذكره في عدة كتب طقسية قديمة . ولعله دخل الى روما بتأثير آلبابا الشرقي سرجيوس الاول (٦٨٧ـ٧٠١) . فهذا البابا وضع طلبة وتطوافا بمناسبة عيد ميلاد مريـــم .

ومع هذا كله ، فقد ظل الغرب يستصعب قبول العيد ، ربما لان ولادة مريم لا ترد الا في الكتب المنحولة . فرغم وجود اثار تدل على احتفـــال بالعيد ، الا ان القديس فولبرنس ، اسقف شارتر (+ ١٠٢٠) يتكلم عنــه وكأنه تأسيس حديث . في القرن الثالث عشر وضعت في رومـا صـلاة اخرى للعيد ، تتلى لمدة ثمانية ايام ، على أثر نذر نذره الكرادلة الملتئمون في مجمعهم الذي عقدوه في فصل الخريف سنة ١٢٤١ . لان الامبراطور الالماني فريدرك الثاني كان قد سجنهم لمدة ثلاثة اسهر .

والبابا غريغوريوس الحادى عشر (+ ١٣٧٨) وضع للعيد صـلاة سهر وصوما .

والعيد حاليا مبسط من جديد ، لكن الاحتفال به يجري على نطاق عالمي ، شرقا وغربا ، في اليوم الثامن من شهر ايلول . لماذا يقع العيد في هذا اليوم ؟ يجيب احد الخبراء في الليتورجية ان عيد ميلاد العذراء كان موجودا قبل عيد الحبل بلا دنس ، لكن يوم الاحتفال به كان يختلف من مكان الى مكان . فلما تم تعيين عيد الحبل بلا دنس ، في العالم اجمع ، في اليوم الثامن من كانون الاول ، حول عيد ميلاد العذراء الى اليوم الثامن من ايلول ، اي بعد تسعة اشهر من عيد الحبل بمريم ..

٢ ـ معنى العيد :

ان عيد ميلاد مريم مليء بالافراح . فكل ولادة هي فرح للعائلة ، لان انسانا آخر اتى الى الوجود ، والعائلة كبرت بالعدد ، والمستقبل تحوم حوله الامال . اما ميلاد مريم فهو يخص البشرية كلها ، هذه العائلة الكبرى التي تحيط مهد هذه الطفلة المباركة بكل مشاعر الفرح وعرفان الجميل .

اذا تأملنا قليلا في هذا العيد ، نستطيع ان نميز فيه ثلاثة اشكال من الفرح .

أ ـ فرح صلاة مستجابة :

ان تاريخ الشعب في العهد القديم زاخر بصلوات مستجابة ، رفعها مؤمنون ابرار . فهوذا موسى يصلي في الصحراء ، فيحصل على الماء والغذاء . كما ان القضاة ، والملوك ، والانبياء صلوا ، والله استجابهم .

ويواقيم كان احد هؤلاء المؤمنين الذين واجهتهم صعوبة شديدة ، فقد طعن في السن ، وليس له ذرية ، وكم كان يتمنى ان يكون له ولد . وفي شدته هذه تذكر ابراهيم ، ابا المؤمنين ، الذي اجتاز التجارب عينها ، والله اعطاه ابنا وحيدا ، هو اسحق ، لكن الشعب كله تبارك فيه . يوياقيم لم يعتبر هذا الحادث وكأنه من الزمان الماضي ، والتاريخ القديم ، بل من الممكن حدوثه اليوم ايضا . لان الله قادر على ان يهبه ابنا ، كما وهب لابراهيم . فراح يوياقيم الى البرية يصلي ويصوم ليقدس ذاته . وها ان

ثقته بالله لم تكن باطلة . فقد اقتبل من الاب السماوي طفلة ، مباركة اكثر من اسحق ، لانها ستكون ام المسيح .

في هذا العيد ، مع يوياقيم وحنة ، نفرح ونبتهج بصلاة استجابها الله .. وفي نفس الوقت نتذكر نحن ايضا ، ان اله الاباء ليس الها مضى عليه الزمن . فنحن شعب الله حاليا ، والله قريب منا ، ويباركنا . لان تاريخ العلاقات بين الله والانسان يسجل في القلوب الحية الواثقة . وحبر هذا السجل لا يجففه زمان ، بل ان صحائف جديدة تضاف يوما بعد يوم الى « المفكرة الشخصية » حيث المؤمنون يدونون نعما نالوها .

ب ـ فرح بحياة لا خطيئة فيها :

عندما تحتفل الكنيسة بتذكار احد القديسين ، فهي تحتفل دائما بتذكار موته . لان يوم الوفاة تعتبره يوم الميلاد للحياة الابدية . وما الحياة على الارض الا عبور وتهيئة للحياة الحقة التي تبدا في نهاية الطريق حين يصل المرء الى ابواب الابدية . بهذا المعنى تحتفل الليتورجيا بالتذكار . لذلك نجد ان رهبانيات عديدة ، ومنها رهبنة المخلصيين ، تقرر ان يكون يوم دفنة احد رهبانها يوم عطلة في الرهبنة . والليتورجيا تستثني عن هذه القاعدة ثلاث حالات هي :

ميلاد يسوع ، ومريم ، ويوحنا المعمذان . والسبب هو ان ثلاثتهم تقدسوا قبل ميلادهم . فيسوع تقدس باتحاده الاقنومي ، ومريم بالانعام الخاص الذى نالته في الحبل بها بلا دنس ، ويوحنا المعمذان تقدس ، وهو فى احشاء امه ، القديسة اليشباع .

ان الاحتفال بعيد ميلاد العذراء مريم ، هو عيد الاحتفال بالقداسة على الارض . اما بقية القديسين فقد يكون لهم خطايا تلقي ظلها على نور النعمة فيهم .. واننا لنجد فعلا ، في سيرة قديسين كثيرين ، ان كمالهم كان صراعا مستديما ضد نقائص لازمتهم طيلة حياتهم . ولدى وفاتهم فقط نالوا الظفر النهائي . اما بالنسبة الى مريم فلا خوف عليها من ادنى

ظل للخطيئة . لان الخطيئة ما مستها بتاتا . فهي الفتاة المتشبعة من القداسة ، انها ام المسيح المباركة . فميلادها على الارض يمنح الفرح لكل خاطىء يلتمس النعمة لتقديس ذاته .

ج – فرح بمستقبل بشري عامر بالامل :

يتكلم ملافنة الكنيسة القدامى عن مريم ، فيحيون فيها « فجر الخليقة الجديدة » (غريغوريوس بالاماس) . او « الخمير النقي ، الذى به جبل الله ثانية جبلتنا الفاسدة » (نيوفيتوس الناسك) .

فالعالم مع مريم لم يبق كما كان ، بل ان عنصرا مقدسا دخل اليه ويغيره من الباطن ، لان ينبوع ماء متدفق نفذ فى رمال الصحراء . والخطيئة لم تبق على جفافها كما كانت في السابق . ومن هذا الينبوع طلق امل البشرية .

يقول مار بولس ان كل شيء يتجدد في المسيح . فينبغي ان نبدا بتغيير انفسنا . ينبغى ان ندع هذا « الخمير الجديد » يعمل فينا ونفتح الشبابيك المسدودة في الغرف المظلمة المغلقة على اخطائنا ، لكي يتسنى لفجر الخليقة الجديدة ان يمدها باشعة النور . نعم ، يمكننا ان نتغير الى الافضل ، هذا ما يؤكده لنا العديد من القديسين . وفي جهودنا نحو حياة افضل ، نجتذب الاخرين ، والعالم يتغير .

قراءة :

مبخا	٥ : ١–٤
امثال	٨ : ٢٢–٣٥
رومية	٨ : ٢٨–٣٠
متى	١ : ١–٢٣

١٣ ــ ام الاحــزان :

العيد : الاحد الواقع بعد عيد الصليب (١٤ ايلول) .

الكنيسة : كاتدرائية البطريركية الكلدانية في بغداد ــ عقد النصارى ــ

في هذه الكنيسة صورة كبيرة لمريم العذراء ، موضوعة فوق المذبح الكبير نشاهد فيها قلب مريم مطعونا بسبعة سيوف . يرمز هذا الرسم الى مريم ام الاحزان .

١ ــ ام الاحزان :

منذ بداية حياة يسوع العلنيــة حاول اهالي بلدتــه الناصــرة ان يقتلوه . فقد اثار تعليمه موجة قوية من العنف ضده ، والناس رفضوا الايمان برســالته . فكان على يســوع أن يختار ، اما التبشير بكــلام الله والسير نحو موت لا مفر منه ، واما التراجع عن تكميل رسالته . لكــن يسوع لم تثنه اية مقاومة عن القيام بكل ما كان يعتبره صادرا عــن ارادة الله . وسوف ينهي حياته بطريق الآلام نحو الجلجلة .

ومريم لكونها ام يسوع قالت : « ها انذا أمة للرب ، ليكن لي حسب قولك » (لوقا ١ : ٣٨) . فهي الاخرى القت بذاتها كلهــــا للعمل بارادة الله . وارادة الله ، بالنسبة لها ، لم تكن الكرازة بالبشرى السارة ، بــل الايمان بها . وقد آمنت ، تحت الصليب ، والحزن يحز في نفسها ، لآلام ابنهــــا .

٢ ـ الاحزان السبعة :

لقد ميز المسيحيون ، في تعبدهم وحبهم لمريم ، سبعة احداث مؤلمة جدا في حياتها .. وكل واحد من هذه الالام هو سيف في قلب مريم . لنقف قليلا عند هذه الاحزان السبعة .

ـ نبوءة شمعون الشيخ :

بعد ميلاد يسوع بأربعين يوما ، ذهبت مريم الى الهيكل لتقدم ابنها للرب ، حسب شريعة موسى . لكنها فوجئت هناك بنبأ مؤلم جدا . مفاده ان كثيرين من الناس ، سيرفضون الايمان بابنها . فقد ذكرتها نبوءة شمعون الشيخ بليلة بيت لحم حيث اغلقت الابواب بوجهها الواحد تلو الاخر ، اذ قيل لها : لا مكان لكم هنا !

اخذ شمعون الطفل يسوع بين ذراعيه ، ورفع عينيه الى السماء يشكر الله الذي اتاح له ان يرى مخلص العالم قبل دنو الموت . ثم نظر الى مريم ام يسوع ، وقال لها : « ها ان هذا الولد قد جعل لسقوط ونهوض كثيرين في اسرائيل ، وهدفا للمخالفة ، وانت ايضا سيجوز سيف في نفسك ، لكي تتكشف الافكار من قلوب كثيرة » (لوقا ٢ : ٣٤ ـ ٣٥) .

فالسيف الاول الذي طعن قلب مريم هو رفض الايمان بيسوع .

ونحن بايماننا بيسوع ، وحبنا الكبير لابن الله ، نعزي مريم في حزنها على قلة الايمان لدى الاخرين .

ـ الهرب الى مصر :

لا مكان لكم هنا ! ... هذه العبارة تتكرر في حياة مريم ، ويتسع نطاقها . فبعد بيت لحم واورشليم ، يستعد البلد كله لطرد يسوع من وطنه . « تراى ملاك الرب ليوسف في الحلم ، وقال له : قم ، فخذ الصبي وامه ، واهرب الى مصر ، واقم هناك حتى اقول لك . فان هيرودوس موشك ان يطلب الصبي ليهلكه . فنهض واخذ الصبي وامه

ليلا ، وانصرف الى مصر .. واقـــام هناك الـــى وفـــاة هيرودس »
(متى ٢ : ١٣ ـ ١٥) .

في هذا الوقت كان يسوع طفلا صغيرا ، لا يدري ماذا يجري . في حين ان مريم ويوسف يهربان الى مصر ، خائفين قلقين من الاخطار المحدقة بهم على طـول الطريق .

بروح الايمان نستطيع ان نقدم قلبنا كبيت ليسوع ومريم . ونقول لهمـــا :

قلبي بيت لكما . ولكننا لا ننسى ان نفس المأساة البشرية غالبا مـا تتكرر في وقتنا الحاضر ... فلنرفع الى مريم صلاة تنبع من صميم القلب لاجل جميع المطرودين من بيوتهم والتائهين كالغرباء في بلـــدان ليست اوطانهم الاصـــلية .

يا مريم أمنا ، انت التي عانيت نفس المحن والشدائد ، اجعلي هؤلاء الناس يشعرون كم انك تشعرين بالامهم . علميهم ان يصلوا الـى الآب السماوي . كما صليت انت اثناء هربك الى مصر .

ـ يسوع في الهيكل :

بعد عشر سنوات ، طعن سيف ثالث قلب مريم . وكان عمر يسوع حينذاك اثنتي عشرة سنة .. فقد كان يسوع يرافق والديه الى اورشليم بمناسبة عيد الفصح . « ولما انقضت الايام ورجعا ، بقي الصبي يسوع في اورشليم ، ولم يعلم ابواه بذلك . واذ كانا يظنان أنه مع الرفقة ، سـافرا مسيرة يوم ، ثم جعلا يطلبانه بين الاقارب والمعارف . واذ لم يجداه قفلا الى ارشليم يطلبانه . وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل ، جالسا وسـط المعلمين يصغي اليهم ويسألهم . وكان جميع الذين يسمعونه منذهلين من فهمه واجوبته .. فلما أبصراه بهتا ، فقالت له امه : « يا بني ، لم صنعت بنا هكذا ؟ ها اني أنا واباك نطلبك متوجعين . فقال لهما : ولم تطلبانني ؟ الم تعلما اني ملتزم بشؤون ابي ؟ اما هما فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما »
(لوقا ٢ : ٤٣ ـ ٥٠) .

اذا انتبهنا قليلا الى هذا الحادث ، نرى ان مريم تتالم فيه لسببين . فهي تتالم اولا لانها فقدت ابنها لمدة ثلاثة ايام ، ولا تدري اين هو . ثانيا لانها لما وجدت يسوع ، سالته سؤالا دل على قلقها : « لم صنعت بنا هكذا ؟ » . فجاء جواب يسوع تعبيرا عن الحزن لانهما لم يفهماه : « ولما تطلبانني ؟ الم تعلما اني ملتزم بشؤون ابي ؟ » . ما معنى هذه العبارة الغامضة ؟ يقول الانجيل : « وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله في قلبها » . فالان علمت بهدوء انها فقدت ابنها يسوع للمرة الثانية ، والى مدى العمر . فقد عنى يسوع بقوله ذاك ، ان عائلته ليست يوسف ومريم ، بل جميع الناس ، لانهم العائلة الكبرى لابيه السماوي . فعلى مريم ان تبدأ بتضحية امتيازات الامومة التي لها .

نقرأ في حياة يسوع العلنية حادثة لا تترك شكا حول ما اراد يسوع قوله في الهيكل ، ومعناه : اني لست لكما ، بل انا لعائلة الله . والحادثة هي : « وجاءت امه واخوته واقاموا خارجا ، وارسلوا اليه يدعونه . وكان الجمع جالسين حوله . فقيل له : ها امك واخوتك في الخارج يطلبونك . فاجابهم قائلا : من امي ، ومن اخوتي ؟ واجال نظره في المتحلقين حوله وقال : ها امي واخوتي . فان من يعمل مشيئة الله هو اخي واختي وامي » (مرقس ٣ : ٣١–٣٥) .

فمن اراد ان يجد يسوع حقيقة – ان يكون ليسوع بمنزلة الام والاخ والاخت – عليه ان يعمل مشيئة الله ، ان يكون ملتزما بشؤون الاب السماوي.

وهذه المسألة ليست هينة دائما . لاننا نميل الى ارضاء رغباتنا الخاصة اولا ، دون ان نتساءل هل ان ذلك يرضي الله ام لا . ومريم ترينا هنا الطريق الذي ينبغي ان نسير فيه . فهي ايضا كانت افكارها في بادىء الامر متجهة الى الاحتفاظ بيسوع لنفسها ، لانه ابنها . ولكن بعدما فكرت ، اخلت السبيل ليسوع لينطلق الى رسالته . لان الالتزام بشؤون الله يقتضي احيانا نكران الذات . وها ان الكثيرين من المسيحيين « لا يفهمون ذلك » فمريم تدعوهم الى التفكير في اقوال يسوع

ـ لقاء الابن والام في طريق الجلجلة :

سيوف اربعة اخرى طعنت قلب مريم على درب الصليب . لقد وصلت الينا بعض كلمات قالها يسوع على درب الالام ، وهي : قوله للنساء اللواتي كن يبكين وينحن عليه . وكلامه مع لص اليمين ، ومع يوحنا ومريم نفسها . ونعرف ايضا اقوال اشخاص اخرين اشتركوا في هذا المشهد المريع ، وهي كلام اللصين ، والجنود تحت الصليب والرؤساء . ولكن لم تصلنا عبارة واحدة قالتها مريم . نحن نعرف انها كانت هناك ، تحت الصليب . فدرب صليب يسوع كان ايضا درب صليبها هي .

لنرافق مع مريم ، صامتين خاشعين ، على طول الدرب المؤدي الى الجلجلة . ونشاهد فيه يسوع حاملا صليبه ، لان الشر القوه على كتفيه .

يا يسوع ، اغفر لي ... لاني انا ايضا ، من وقت لاخر ، القيت صليبا صغيرا كان او كبيرا ، على اكتاف الاخرين .

ـ الصـــلب :

يسوع لا يتأخر في منح المغفرة ولا يطيل الترقب . فبينما كان الصالبون يسمرونه على الصليب ، كان هو يطلب لهم المغفرة من ابيه قائلا . « يا ابت ، اغفر لهم ، لانهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) . واللص الذي طلب المغفرة ، قال له يسوع : « اليوم تكون معي في الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٤٣) .

بينما كانت هذه النعم كلها تعطى بغزارة ، كانت مريم واقفة ، تحت صليب يسوع ، والالم يطفح من قلبها . لكن عبارات المغفرة هذه تختلط بألمها ، وتجعلها تدرك ان لكل خطيئة مغفرة ، حتى لخطيئة صلب يسوع . واخيرا ، عندما قال يسوع : « يا امرأة ، هذا ابنك » (يوحنا ١٩ : ٢٦) وافقت مريم وقبلت ان تكون ام البشر الخطأة ، وهي تشفق عليهم كما يشفق يسوع .

ـ تنزيل المصلوب :

« ثم ان يوسف الذي من الرامة ، وهو تلميذ ليسوع ، ولكن في السر خوفا من اليهود ، طلب الى بيلاطس ان يأخذ جسد يسوع ، فاذن بيلاطس : فجاء واخذ الجسد . واقبل ايضا نقودمس ، الذي كان من قبل قد جاء الى يسوع ليلا ، ومعه خليط من المر والعود نحو مئة رطل . فأخذا اذن جسد يسوع ولفاه في لفائف مع الاطياب ، على حسب عادة اليهود في دفنهم » (يوحنا ١٩ : ٣٨ــ٤٠).

في هذه اللحظات الكئيبة نشاهد مريم جالسة مع غيرها من النسوة ، والصمت مخيم عليهن . ومن حين لاخر يساعدن قليلا في تنزيل جسد يسوع من على الصليب ولفه بكفن . وكل شيء فوق هذا الجبل يوحي بصمت الموت والام الصلب .

فى النص الذي قرأناه فى انجيل يوحنا نجد ملاحظتين تلفتان الانتباه : فهذا يوسف الذي من الرامة ، وكان تلميذا ليسوع ... في السر ، خوفا من اليهود . وهذا نيقودمس ، الذي كان قد اتى الى يسوع ، ليلا ... لئلا تنكشف هذه الزيارة لاحد . رجلان اذن يؤمنان بيسوع ، لكنهما لا يجرؤان على اظهار هذا الايمان . والان ، بعد موت يسوع ، تغلبا على خوفهما . فيوسف الذي من الرامة ، بتوسطه لدى بيلاطس ، يعلن امام اعلى سلطة في البلد انه تلميذ يسوع . ونيقودمس يأتي الى يسوع فى حين كان الاخرون قد تركوه ، وحتى التلاميذ انفسهم .

يا امي مريم ، انا ايضا ، اخشى احيانا ، من اظهار ايماني بيسوع ، ولكنني اليوم ، بتأملي معك ، في صليب يسوع ، عزمت على نفسي ان لا اخفي ابدا ايماني بيسوع ، ابن الله ، مخلصي .

ـ دفن يسوع :

في الموضع الذي صلب فيه يسوع كان يوجد بستان ، وفي البستان قبر جديد ، فدفن يسوع هناك .

امام الصخرة الكبيرة التي تسد قبر يســـوع ، يتردد في اذن مريم صدى قول يسوع القائل : « الهي ، الهي ، لماذا تركتني ؟ » (متى ٢٧ : ٤٦) لماذا هذه الالام وهذا الموت الزؤام ؟

يحكى عن الدكتور فرميون ، وهو طبيب فلمنكي ، انه تلقى في شبابه تربية دينية جيدة . وبعدما صار طبيبا كان في اتصال مباشر دائم مــــع الالم . وكان يفكر لماذا يسمح الله بهذه الالام كلهـــا . وبعد سنوات صرح الدكتور قائلا : « بقي من تربيتي المسيحية شيء قليل . في عملي اجابهـــه مشاكل عديدة لم تعط المسيحية جوابا عنها » .

سنة ١٩٧٣ اصيب الطبيب نفسه بمرض . وبعد شفائه منه قضى مـــن الراحة في مقره الصيفي الكائن في المنطقة الجبلية . وهناك ، يقـــول الدكتور : « تعرفت على كاهن ، فوجدته فقيرا ، بسيطا ، مستعدا ليل نهار لخدمة رعاياه ، كلامه قليل ، لكنه مسيحي بكل معنى الكلمة . في خورنتـــه ذهبت الى القداس ، للمرة الاولى منذ وقت طويل . وكان الكاهن في ذلـــك اليوم يتحدث في موعظته عن معنى الالم ، ولبضع دقائق فقط ، ثم اشـــار الى الصليب قائلا : هنا ترون ما هو الالم . بعد القداس رحت لزيارتـــه . فقال لي : « لقد التقيت الرب » . شعرت بانني سعيد .. ومحرر .

ثم اخذت اطالع الكتب ، فقرات سيرة شارل دي فوكو ، وفرنسيس الاسيزي ، وخوري ارس ، وتريزا دي ليزيو .. ويا لها من ســـير .. »

بعد اشهر من القراءة والتفكير والصلاة ، استأجر الطبيب غرفة في حي يسكنه افقر الناس في مدينة بروكسل . وما زال يعيش هناك الــى هذه السنة (١٩٨١) بين بشر فقراء متألمين ، يأتون اليه بحثا عن قليل مـــن التعزيـــة والراحـــة .

في نظر هذا الطبيب ، كان الالم والموت امرا يستحيل قبوله . اذ لماذا يترك الله هؤلاء الناس !

هذه العبارة قالها يسوع على الصليب . ومريم شعرت بوطأة موت ما كانت تفهم معناه . ومن يا ترى يمكن ان يفهم الالم والموت ؟ ولكن هل نحل المشكلة اذا القينا اللوم على الله لانه يسمح ان يصيبنا الالم والموت ، ثم نرتد عنه ؟ ما الفائدة من موقف كهذا ! لان الالم والموت يبقيان مهما حاولنا التهرب منه . فالافضل ان نكون واقعيين ، ونفكر بأن الها يطلق العنان للالم ، ولا يهتم له ، هذا الاله لا يمكن قبوله ، ولا وجود له اطلاقا . ان يسوع ، بمجيئه الى الارض ، تألم مثلنا . والله لا يزيل الالم ، لانه يريد بلا شك ان يترك الارض تسير مسيرتها الطبيعية ، مهما كانت نتائجها مؤلمة وشاقة . (ولا ننسى هنا الالام التي يسببها الناس للناس) . لكن المهم في نظر الله هو موقف الانسان الذي يعيش حياته امام خالقه ، في العسر واليسر . ويسوع يعلمنا ، بمثله ، انه ينبغي لنا دائما ان نثبت على ثقتنا بالله ، حتى فى حمل صليبنا الخاص . وفي شدة الموت قال يسوع : « ابتاه ، بين يديك استودع روحي » (لوقا ٢٣ : ٤٦) . فازاء موقف كهذا ، لا يبقى الله غافلا غير مبالٍ .. وقيامة يسوع تثبت هذه الحقيقة .

نظر الدكتور فرميرن الى يسوع المصلوب فعاد الى الايمان . وما اكثر الذين لاقوا نفس المشاكل فوجدوا الايمان او عادوا اليه .

ان كل قبر بشري تسده حجرة باردة جامدة . والايمان يرى ما هو ابعد من القبر . ومريم ام الاحزان وجدت ابنها حين انتقالها الى السماء .

قراءة :

عبرانيين ٥ : ٧-٩
يوحنا ١٩ : ٢٥-٢٧
لوقا ٢ : ٣٣-٣٥

١٤ ـ سيدة الوردية :

العيــد : الاحد الاول من شهر تشرين الاول .

الكنيسة : سلطانة الوردية ـ بغداد

الوردية اكثر العبادات المريمية شعبية وانتشارا فى الكنيسة . ذات يوم من ايام حزيران سنة ١٩٨١ كنت في دكان ما ، فدنا مني رجل اجنبـي وسألني اذا كنت كاثوليكيا مثله . ثم اخرج سبحة الوردية من جيبـه . وكان هذا كوريا يعمل فى شركة اجنبية تقوم بانشـاء مستشفى في بغداد . وقد صادفت مشاهد كهذه مرارا عديدة .

ومن جهة اخرى ، نرى كثيرا من المسيحيين اليوم ، قد فقدوا قيمة الوردية ولا يعطون لها اية اهمية . لا شك ان تكرار نفس الكلمات فـي الوردية ، اذا صار تكرار اجوف ، يدخل بوضوح ضمن تحذير الـرب القائل : « وفي الصلاة لا تكرروا الكلام عبثا مثل الوثنيين ، فانهم يتوهمون انهم لكثرة الكلام يستجاب لهم » (متى ٦ : ٧) .

ما العمل اذن ، في هذا الموقف او ذاك ؟

نقول اولا ان الوردية ليست سوى وسيلة من عدة وسائل للصـلاة . انها عبادة جليلة ، لكنها ليست فرضا الزاميا . ويمكن الاستعاضة عنهـا بصلاة اخرى حسب الاختيار . ولكن بما اننا نقبل بمبدأ الاختيار ، نتساءل هنا عما اذا كان اولئك الذين يهملون الوردية لا يهملونها الا عن جهلهـم بقيمتها . انهم والحق يقال لم يكتشفوا القيمة الحقيقيـة التي لهـذا التقليد القديم . فايضاح الامور لا يأتي بدون جدوى .

١ ـ اصل الوردية :

غالبا ما يعتَبر القديس عبد الاحد (١١٧٠ ـ ١٢٢١) انه هو الذي ادخل او على الاقل رتب تلاوة الوردية . هذا الراي يقبله الجميع . ونجده في كتب الفرض الروماني وفي الوثائق البابوية ايضا . ومع ذلك ، ومنذ سنة ١٩٠٠ ، لم يبق مجال لقبول هذا التأكيد البسيط وغير المفصل . ذلك لان القسم الاول من « السلام عليك يا مريم » والذي يتلى ٥٠ مرة ، او ١٥٠ مرة اقتداء بمزامير داود المئة والخمسين ، كان يتلى على نطاق واسع منذ بداية القرن الثاني عشر . (علما بان القسم الثاني من السلام الملائكي لم يكن مقبولا بشكل عام الا نحو نهاية القرون الوسطى) . كما ان ادخال صلاة ابانا الذي ، لتقسيم تلاوة « السلام عليك » الى عشر مرات ، لا نجد له اثرا الا في منتصف القرن الرابع عشر . اما التأمل في اسرار الوردية ، وهو امر جوهري لتلاوتها ، فيعود تاريخه ، على ما يظهر ، الى بداية القرن الثالث عشر .

وهكذا يبدو ان تلاوة الوردية كما نعرفها حاليا قد انتظمت تدريجيا . فهي ليست صنع شخص واحد . وفيها عناصر عديدة كانت موجودة قبل القديس عبد الاحد . وغيرها ظهرت بعد وفاته بزمان طويل . ومن جهة اخرى هناك اشارات فى « تقليد » يجري داخل رهبنة الدومينيكان يمكنه ان يكون ذا صلة بالقديس عبدالاحد نفسه . وهذا التقليد ، المنمق جدا ، يشرح كيف تم اعتبار القديس عبد الاحد مؤلفا للوردية .

ومهما يكن من حقيقة الامور ، فرهبنة الدومنيكان هي التي بدلت نشر الوردية وشرح معناها الروحي . واينما نجد اثارا لتلاوتها فى الماضي، نلاحظ ان « التقليد الدومنيكاني » ليس بعيدا عنها . هذا ما نلاحظه مثلا فى قوانين جمعية المتعبدات فى خنت (وهي مدينة في فلاندرا) فى القرن الثالث عشر ، التي تنص على تلاوة يومية لسفر « مزامير العذراء » اعني تلاوة السلام عليك مئة وخمسين مرة ، على ثلاث مراحل مكونة من ٥٠ مرة . وتشير تلك القوانين على المراة المتعبدة التي تتراس هذه الصلاة « ان تقرا بصوت عال قبل كل ابانا الذي وكل السلام عليك نصما من

حياة المسيح او حياة العذراء القديسة » . فلا نستغرب اذن اذا علمنا ان المرشدين الروحيين لهؤلاء المتعبدات كانوا من الاباء الدومنيكان وكانت هؤلاء المتعبدات يعطين معنى تصوفيا لهذا النمط من تلاوة الوردية فهي باللغة الفلمنكية تسمى « قبعة صغيرة » (وما زالت العبارة مستعملة في هذه اللغة لتسمية سبحة الوردية) . وهذا المعنى يشير الى العادة الدنيوية التي بموجبها كان الخطيب يزين رأس خطيبته باكليل من الورود وهؤلاء المتعبدات اقتبسن اسلوب « نشيد الاناشيد » واعطين معنى روحيا لهذه العادة الدنيوية ، فاعتبرن مريم عروسة الرب . وكأنهن بتلاوة الوردية يضعن على رأس مريم « اكليلا من ورود »

بعد تلمسات متنوعة اتخذت تلاوة الوردية صيغتها النهائية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . في ذلك الزمان نشر الاباء الدومنيكان ، وفي مقدمتهم الاب الان دي لاروش ، الوردية في شمال فرنسا وبلجيكا وفلاندرا ، وسائر الاراضي المنخفضة وفي شمال المانيا . واسسوا العديد من « اخويات الوردية » . ومن اوربا انتشرت في العالم كله ، واضحت بعد وقت قصير ممارسة جارية في الكنيسة بأسرها . في نهاية القرن السادس عشر ادخلت اليها تلاوة ابانا الذي مرة واحدة ، وثلاث مرات السلام عليك والمجد للاب قبل العشرات من السلام عليك . وتتلى للحصول على الفضائل من الايمان ، والرجاء ، والمحبة ، او لاكرام العذراء باعتبارها ابنة الله الاب وام الله الابن ، وعروسة الله الروح القدس .

٢ ـ مضمون الوردية :

تتكون سبحة الوردية حاليا من صليب ، بعده خمس خرزات تتلى عليها مرة واحدة صلاة ابانا الذي وثلاث مرات السلام عليك ومرة واحدة المجد للاب . (والبعض ، قبل تلاوة السبحة ، يقبلون الصليب ، ويعملون اشارة الصليب ، ويتلون صلاة نؤمن) . ثم تبدا السبحة المكونة من تلاوة السلام عليك خمسين مرة مقسمة الى عشر وحدات ، وكل وحدة تسبقها مرة ابانا الذي ويليها المجد للاب . وتلاوة السلام عليك خمسين مرة ثلاث مرات تشكل الوردية الكاملة

وتلاوة الوردية تقوم جوهريا على التأمل في اسرار حياة المسيح وحياة العذراء . ويعين سر واحد ، لكل عشر من الوردية .

اما اسرار الوردية فهي التالية :

اسـرار الفرح .

١ ـ بشارة العـذراء
٢ ـ زيـارة العـذراء
٣ ـ ميـلاد يسـوع
٤ ـ تقدمة يسوع في الهيكل
٥ ـ وجدان يسـوع في الهيكل

اسـرار الحـزن .

١ ـ نزاع يسوع فى بستان الزيتون
٢ ـ جلـد يسـوع
٣ ـ التكليـل بالشـوك
٤ ـ حمـل الصـليب
٥ ـ صـلب يسـوع

اسـرار المجـد .

١ ـ قيامـة يسـوع
٢ ـ صـعود يسـوع
٣ ـ حلول الروح القـدس
٤ ـ انتقـال العـذراء
٥ ـ تكليـل العـذراء

٣ ـ افكار حول تلاوة الوردية :

منذ القرن الخامس عشر أخذ البابوات يشددون على تلاوة الورديـة لما لها من اهمية عظمى . فالعذراء فى فاطمة سمت نفسها سيدة الوردية . وفى لورد طلبت تلاوة الوردية . والوردية كصلاة تستحق كل هذا الانتباه من جانب الكنيسة والعذراء مريم نفسها ، لانها طريقة تأمل شعبية ، تم اتقانها خلال اجيال طويلة .

الصلاة الربية والسلام الملائكي مأخوذان من الانجيل مباشرة . والمجد للرب كان يتلى منذ اقدم العصور المسيحية . فالوردية تحتوي اذن على اسمى الصلوات قيمة في الحياة المسيحية . لكن الوردية لا تشكلها هذه الصلوات بذاتها . (اذ من الممكن تلاوتها على حدة ، او ادخالها في نطاق ديني اخر) . لكن الصفة التي تتميز بها الوردية هي ترديد هذه الصلوات عشر مرات متتالية . وفى الوقت ذاته يجري التأمل فى اسرار حياة المسيح والعذراء مريم . فالوردية صلاة شفوية تساعد على التأمل .

والتأمل بهذه الطريقة يجري فى ابسط صورة له . فالمصلي لا مجال له لقطع افكاره حول الاسرار ، ولا حول الكلمات التي يتلفظ بها . لان الوردية بتلاوتها الرتيبة تضطرنا الى التخلي عن كل تفكير وخاطرة شخصية ، لكي لا نحتفظ الا « بنظرة تأملية » الى السر الذي يذكر فى بداية كل عشر من الوردية .

نأتي هنا بتشبيه لعلنا نفهم به طريقة التأمل الخاصة بالوردية فهما جيدا .

يمكننا ان نعمل باقة من الورود جميلة بذاتها وجذابة للنظر . فلو اعتبرنا صلوات الكنيسة بهذا المعنى ، فهي مثل ورود نجمعها في باقة يعجبنا جمالها . فنتأمل مثلا ، في كل كلمة منها ، وفي كل عبارة من الصلاة الربية ، او السلام الملائكي ، وهكذا نكتشف الغنى الديني الذي تنطوي عليه هذه الصلوات .

ويمكننا ايضا ان ننثر الورود احتفاءا بشخص نحبه او نحترمه كثيرا . وفى هذه الحالة لا ننظر الى الورود معجبين بها ، بل ننظر الى الشخص الذي نلقيها عليه ونحترمه .

ولاكرام يسوع نقطف اجمل الورود التي تمتلكها الكنيسة ، الا وهي الصلاة الربية والسلام الملائكي والمجد للاب . نقطفها ونلقيها ليسوع ومريم اللذين نستحضرهما فى السر المذكور .

عندما نتلو الوردية ، فكأننا في الهيكل حينما دخلت اليه مريم حاملة يسوع على ذراعيها ، ونلقي لهما ورود حبنا . وكأننا ايضا فى الشارع ، حينما مر يسوع حاملا صليبه ، ونحن في صلاة صامتة ، وقلوبنا شاخصة اليه . ويسوع وسط الجمع الهائج يعي حبنا هذا الصامت المتوجه اليه . وفى الوردية ايضا نحسب انفسنا وكأننا فى السماء ، بين الملائكة ، نشاهد يسوع يكلل امه . في اسرار الفرح ، والحزن ، والمجد ، نلتقي بيسوع ومريم ، وننظر اليهما بصمت وخشوع ، وننثر عليهما ورودنا العطرة .

اقتراحان لتلاوة الوردية :

ا ـ يمكن تلاوة الوردية بالطريقة التالية :

قرأة نص من الانجيل له علاقة بالسر المذكور . ثم عشر مرات السلام عليك . والتلاوة تبدأ او تنتهي بنشيد لمريم العذراء .

نصوص مقترحة :

اسرار الفرح :

١ ـ لوقا ١ : ٢٦ـ٣٨

٢ ـ لوقا ١ : ٣٩ـ٥٦

٣ ـ لوقا ٢ : ١ـ١٤

٤ ـ لوقا ٢ : ٢٢ـ٣٨

٥ ـ لوقا ٢ : ٤١ـ٥٢

اسرار الحزن :

١ ـ لوقا ٢٢ : ٣٩ـ٤٦

٢ ـ مرقس ١٥ : ٦ ـ١٥

٣ ـ يوحنا ١٩ : ٢ـ٦

٤ ـ لوقا ٢٣ : ٢٦ـ٣٢

٥ ـ لوقا ٢٣ : ٣٣ـ٤٦

اسرار المجد :

١ ــ لوقا ٢٤ : ١ ــ٩.
٢ ــ لوقا ٢٤ : ٤٦ــ٥٣
٣ ــ اعمال ٢ : ١ــ٤
٤ ــ رؤيا ١٩ : ٥ــ٩
٥ ــ رؤيا ١٢ : ١

ب ــ طريقة ثانية :

يذكر السر ، وقبل كل السلام عليك يقرأ نص قصير من الكتاب المقدس ، على الوجه التالي :

البشـــارة :

١ ــ « في عهد هيرودس الملك ..... ارسل الملاك جبرائيل من قبل الله الى مدينة في الجليل تسمى الناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود ، واسم العذراء مريم » (لوقا ١ ، ٥ و ٢٦ــ٢٧)

٢ ــ « فدخل اليها الملاك وقال لها : السلام عليك ، يا مريم ، يا ممتلئة نعمة ، الرب معك » (لوقا ١ ، ٢٨)

٣ ــ « فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان يكون هذا السلام » (لوقا ١ ، ٢٩)

٤ ــ « فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم ، فانك قد نلت نعمة عند الله » (لوقا ١ ، ٣٠)

٥ ــ « ها انت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع » (لوقا ١ ، ٣١)

٦ ــ قالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلا ؟ » (لوقا ١ ، ٣٤)

٧ ــ اجاب الملاك وقال لها : ان الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لوقا ١ ، ٣٥)

٨ ـ « فقالت مريم ها انا امة الرب فليكن لي بحسب قولك » (لوقا ١، ٣٨)

٩ ـ « والكلمة صار جسدا وحل فينا وقد ابصرنا مجده مجد وحيد من الاب مملؤا نعمةوحقا » (يوحنا ١ ، ١٤)

١٠ ـ « وكان هذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : ها ان العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعونه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » (متى ١ ، ٢٢-٢٣)

الزيارة :

١ ـ « في تلك الايام قامت مريم وذهبت مسرعة الى الجليل الى مدينة يهوذا » (لوقا ١ ، ٣٩)

٢ ـ « ودخلت الى بيت زكريا وسلمت على اليصابات » (لوقا ١ ، ٤٠)

٣ ـ « فعندما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات من الروح القدس » (لوقا ١ ، ٤١)

٤ ـ « صاحت اليصابات بصوت عظيم وقالت مباركة انت في النساء ومباركة ثمرة بطنك » (لوقا ١ ، ٤٢)

٥ ـ « من اين لي هذا ان تأتي ام ربي الي » (لوقا ١ ، ٤٣)

٦ ـ « فانه عند ما بلغ صوت سلامك الى اذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني » (لوقا ١ ، ٤٤)

٧ ـ « فطوبى للتي امنت لانه سيتم ما قيل لها من قبل الرب » (لوقا ١ ، ٤٥)

٨ ـ « فقالت مريم تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحي بالله مخلصي » (لوقا ١ ، ٤٦-٤٧)

٩ ـ « لانه نظر الى تواضع امته فها منذ الان تطوبني جميع الاجيال » (لوقا ١ ، ٤٨)

١٠ ـ « لان القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس » (لوقا ١ ، ٤٩)

ميلاد يسوع :

١ ــ « وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغيرة في رؤساء يهوذا لانه منك يخرج المدبر الذي يرعى الشعب » (متى ٢ ، ٦)

٢ ــ « وفى تلك الايام صدر امر من اوغسطس قيصر بان يكتتب جميع المسكونة (لوقا ٢ ، ١)

٣ ــ « وصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم .. ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة (لوقا ٢ ، ٤ــ٥)

٤ ــ « لم يكن لهما موضع في المنزل » (لوقا ٢ ، ٧)

٥ ــ « وبينما كانا هناك تمت ايام ولادتها فولدت ابنها البكر فلفته واضجعته في مذود » (لوقا ٢ ، ٦ــ٧)

٦ ــ « قد ولد لنا ولد ، اعطي لنا ابن فصار الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجيبا مشيرا الها جبارا ابا الابد رئيس السلام » (اشعيا ٩ ، ٦)

٧ ــ « وكان فى تلك الناحية رعاة يبيتون فى البادية ، يسهرون على رعيتهم فى هجمات الليل واذا بملاك الرب قد وقف بهم ومجد الله اشرق حولهم فخافوا خوفا عظيما » (لوقا ٢ ، ٨ــ٩)

٨ ــ « فقال لهم الملاك : لا تخافوا فها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح الرب » (لوقا ٢ ، ١٠ــ١١)

٩ ــ « وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون المجد لله في العلى وعلى الارض السلام الناس الذين بهم المسرة (لوقا ٢ : ١٣ــ١٤)

١٠ ــ « النجم الذي كان المجوس راوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي ... مع مريم امه . فخروا ساجدين له ... وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر » (متى ٢ ، ٩ــ١١)

تقدمة يسوع في الهيكل :

١ - « ولما تمت ايام التطهير بحسب ناموس موسى صعدا به الى اورشليم ليقدماه للرب » (لوقا ٢ ، ٢٢)

٢ - « على حسب ما كتب في ناموس الرب من ان كل ذكر فاتح رحم يدعى مقدسا للرب » (لوقا ٢ ، ٢٣)

٣ - « وكان رجل في اورشليم اسمه سمعان وهو رجل صديق تقي .. فاقبل بالروح الى الهيكل » (٢ ، ٢٥ و ٢٧)

٤ - « حمل سمعان الطفل على ذراعيه وبارك الله » (لوقا ٢ ، ٢٨)

٥ - « الان تطلق عبدك ايها الرب على حسب قولك بسلام فان عيني قد ابصرتا خلاصك » (لوقا ٢ ، ٢٩-٣٠)

٦ - « انه نور ينجلي للامم ومجد لشعبه » (لوقا ٢ ، ٣٢)

٧ - « وباركهما سمعان وقال لمريم امه ها ان هذا قد جعل لسقوط وقيام كثيرين » (لوقا ٢ ، ٣٤)

٨ - « انه هدف للمخالفة .. حتى تكشف افكار من قلوب كثيرة (لوقا ٢ ، ٣٤-٣٥)

٩ - « وانت سيجوز سيف في نفسك » (لوقا ٢ ، ٣٥)

١٠ - « ففي تلك الساعة حضرت ايضا حنة النبية وتعترف للرب وتحدث عنه كل من كان ينتظر الفداء » (لوقا ٢ ، ٣٨)

وجدان يسوع في الهيكل :

١ ـ « فلما بلغ اثنتي عشرة سنة صعد ابواه الى اورشليم كعادة العيد . ولما تمت الايام عند رجوعهما بقي الصبي يسوع في اورشليم وابواه لا يعلمان » (لوقا ٢ ، ٤٢ـ٤٣)

٢ ـ « واذ كانا يظنان انه مع الرفقة سافرا مسيرة يوم وكانا يطلبانه عند الاقارب والمعارف » (لوقا ٢ ، ٤٤)

٣ ـ « فلم يجداه فرجعا الى اورشليم يطلبانه » (لوقا ٢ ، ٤٥)

٤ ـ « وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل » (لوقا ٢ ، ٤٦)

٥ ـ « كان يسوع جالسا فيما بين المعلمين يسمعهم ويسألهم » (لوقا ٢ ، ٤٦)

٦ ـ « وكان جميع الذين يسمعونه مندهشين من فهمه واجوبته » (لوقا ٢ ، ٤٧)

٧ ـ « فلما نظراه بهتا فقالت له امه : يا ابني لم صنعت بنا هكذا ها اننا انا واباك كنا نطلبك متوجعين » (لوقا ٢ ، ٤٨)

٨ ـ « فقال لهما لماذا تطلبانني الم تعلما انه ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي ؟ » (لوقا ٢ ، ٤٩)

٩ ـ « فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما » (لوقا ٢ ، ٥٠)

١٠ ـ « ثم نزل معهما واتى الناصرة وكان خاضعا لهما » (لوقا ٢ ، ٥١)

نزاع يسوع في بستان الزيتون :

١ ـ خرج يسوع وتلاميذه الى جبل الزيتون .. جاءوا الى ضيعة اسمها جتسماني » (مرقس ١٤، ٢٦ و ٣٢)

٢ ـ « حينئذ قال لهم يسوع : كلكم تشكون في في هذه الليلة لانه مكتوب اضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية » (متى ٢٦ ، ٣١)

٣ ـ « واخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وطفق يرتاع ويكتئب (مرقس ١٤ ، ٣٣)

٤ ـ « وقال لهم ان نفسي حزينة حتى الموت » (مرقس ١٤ ، ٢٤)

٥ ـ « امكثوا هنا واسهروا معي .. وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . اما الروح فمستعد واما الجسد فضعيف (متى ٢٦، ٣٨و٤١)

٦ ـ « ثم تباعد قليلا وخر على وجهه .. وصلى قائلا ذلك القول بعينه » (متى ٢٦ ، ٣٩ ومرقس ١٤ ، ٣٩)

٧ « قال : ابا ايها الاب ان كل شيء مستطاع عندك فاجز عني هذه الكاس .. » وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (مرقس ١٤ ، ٣٦ ولوقا ٢٢ ، ٤٤)

٨ ـ « ثم صلى قائلا : يا ابت ان كان لا يستطاع ان تعبر عني هذه الكاس الا ان اشربها .. لا تكن مشيئتي بل مشيئتك » (متى ٢٦ ، ٤٢ ولوقا ٢٢ ، ٤٢)

٩ ـ « وتراءى له ملاك من السماء يشدده » (لوقا ٢٢ ، ٤٣)

١٠ ـ « ثم جاء الى تلاميذه فوجدهم نياما . فقال لبطرس اهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعة واحدة » (متى ٢٦ ، ٤٠)

جلد يسوع :

١ ـ « وللوقت دنا يهوذا الى يسوع وقال له : السلام يا معلم وقبله .. فقال له يسوع : يا يهوذا ابقبلة تسلم ابن البشر ؟ » (متى ٢٦ ، ٥٠ . ولوقا ٢٢ ، ٤٨)

٢ ـ « اخذوا يسوع واوثقوه ... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (يوحنا ١٨ ، ١٢ ومتى ٢٦ ، ٥٦)

٣ ـ « كان الرجال الذين قبضوا عليه يهزاون به ويضربونه وغطوه وطفقوا يلطمونه ويسألونه قائلين تنبأ من الذي ضربك » (لوقا ٢٢ ، ٦٣ـ٦٤)

٤ ـ « وكان رؤساء الكهنة وكل المحفل يلتمسون على يسوع شهادة ليقتلوه فلم يجدوا لان كثيرين كانوا يشهدون عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم » (مرقس ١٤ ، ٥٥ـ٥٦)

٥ ـ « واما يسوع فكان صامتا . فقال له رئيس الكهنة اقسم عليك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله . فقال له يسوع انت قلت . » (متى ٢٦ ، ٦٣ـ٦٤)

٦ ـ « واقول لكم انكم من الان ترون ابن البشر جالسا عن يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء » (متى ٢٦ ، ٦٤)

٧ ـ « حينئذ شق رئيس الكهنة ثيابه وقال : لقد جدف .. ها انكم قد سمعتم تجديفه . فماذا ترون ؟ فاجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت » (متى ٢٦ ، ٦٥ـ٦٦)

٨ ـ « فازدراه هيرودس مع جنوده وهزأ به والبسه ثوبا لامعا ورده الى بيلاطس » (لوقا ٢٣ ، ١١)

٩ ـ « ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون ان اطلقه لكم ؟ ابرابا ام يسوع الذي يقال له المسيح ؟ . فصاحوا كلهم جملة قائلين: ارفع هذا واطلق لنا برابا » (متى ٢٧ ، ١٧ ولوقا ٢٣ ، ١٨)

١٠ ـ « حينئذ اخذ بيلاطس يسوع وجلده » (يوحنا ١٩ ، ١)

التكليـــل بالشوك :

١ ـ « حينئذ اخذ جند الوالي يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه الفرقة كلهـا » (متى ٢٧ ، ٢٧)

٢ ـ « ونزعوا عنه ثيابه والبسوه رداء قرمزيا » (متى ٢٧ ، ٢٨)

٣ ـ « وضفروا اكليلا من الشوك وجعلوه على راسه » (متى ٢٧ ، ٢٩)

٤ ـ « وجعلوا في يمينه قصبة . ثم جثوا على ركبهم قدامه وهزاوا به » (متى ٢٧ ، ٢٩)

٥ ـ « وكانوا يقبلون اليه ويقولون : السلام يا ملك اليهود ويلطمونـــه » (يوحنا ١٩ ، ٣)

٦ ـ « ويبصقون عليه » (مرقس ١٥ ، ١٩)

٧ ـ « ويأخذون القصبة ويضربون بها راسه » (متى ٢٧ ، ٣٠)

٨ ـ « فخرج يسوع وعليه اكليل الشوك وثوب الارجوان » (يوحنا ١٩ ، ٥)

٩ ـ « فقال بيلاطس لهم : هوذا الرجل . فلما راه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه » (يوحنا ١٩ ، ٥ـ٦)

١٠ ـ « حدث كل ذلك حسب قول النبي اشعيا . لقد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا فحسبناه ذا برص مضروبا من الله ومذللا . جرح لاجـــل معاصينا وسحق لاجل اثامنا فتاديب سلامنا عليه وبشدخه شفينا » (اشعيا ٥٣ ، ٤ ـ ٥)

حمل الصليب :

١ ـ « فاراد بيلاطس ان يرضي الجمع .. واسلم اليهم يسوع ليصلب » (مرقس ١٥ ، ١٥)

٢ ـ « فخرج يسوع وهو حامل صليبه الى الموضع المسمى الجمجمة وبالعبرانية يسمى الجلجلة » (يوحنا ١٩ ، ١٧)

٣ ـ « اما هم فعند مزلتي شمتوا وتجمعوا .. مزقوا ولم يكفوا » (المزمور ٣٤ ، ١٥)

٤ ـ « لتسل عيناي بالدموع .. ولا تسكتا فأن العذراء بنت شعبي قد انحطمت انحطاما عظيما بضربة لا شفاء منها » (ارميا ١٤ ، ١٧)

٥ ـ « وبينما هم منطلقين به امسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان اتيا من الحقل وجعلوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » (لوقا ٢٣ ، ٢٦)

٦ ـ « ان كثيرين دهشوا منه هكذا يتشوه منظره اكثر من الانسان وصورته اكثر من بني البشر » (اشعيا ٥٢ ، ١٤)

٧ ـ « وانا دودة لا انسان .. وتفككت جميع عظامي .. ولساني لصق بحنكي (مزمور ٢١ ، ٧ و ١٥-١٦)

٨ ـ « وكان يتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يلطمن وينحن عليه فالتفت يسوع اليهن وقال : يا بنات اورشليم لا تبكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى بنيكن ... لانهم ان كانوا صنعوا هذا بالعود الرطب فماذا يكون باليابس » (لوقا ٢٣ ، ٢٧-٣١)

٩ ـ « وجعلته في يد ممتنيك الذين قالوا لنفسك انحني حتى نعبر فوطات كالارض ظهرك وكالطريق للعابرين » (اشعيا ٥١ ، ٢٣)

١٠ ـ « وان الجند ... اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل جندي قسم واخذوا القميص ايضا وكان القميص غير مخيط منسوجا كله من فوق فقالوا فيما بينهم : لا نشقه ولكن لنقترع عليه لمن يكون » (يوحنا ١٩ ، ٢٣-٢٤)

صلب يسوع :

١ – « وكان نحو الساعة السادسة وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه والاخر عن يساره . . اما يسوع فقال : يا ابت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون » (يوحنا ١٩ ، ١٤ ، مرقس ١٥ ، ١٧ لوقا ٢٢ ، ٣٤)

٢ – « ولما رأى يسوع امه والتلميذ الذي يحبه واقفا قال لامه : يا امرأة هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ : هذه امك . ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته » (يوحنا ١٩ ، ٢٦–٢٧)

٣ – « ثم قال احد اللصين ليسوع : يا رب اذكرني متى جئت فى ملكوتك . فقال له يسوع : الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس » (لوقا ٢٣ ، ٤٣)

٤ – « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني » (متى ٢٧ ، ٤٦)

٥ – « وبعد هذا راى يسوع ان كل شيء قد تم فلكي يتم الكتاب قال : انا عطشان » (يوحنا ١٩ ، ٢٨)

٦ – « فلما اخذ يسوع الخل قال : قد تم » (يوحنا ١٩ ، ٣٠)

٧ – « وصرخ ايضا يسوع بصوت عظيم قائلا : يا ابت فى يديك استودع روحي . . ثم امال رأسه واسلم الروح » (متى ٢٧ ، ٥٠ ، لوقا ٢٣ ، ٤٦ ، يوحنا ١٩ ، ٣٠)

٨ – « فجاء الجند ولما انتهوا اليه وراوه قد مات لم يكسروا ساقيه لكن واحدا منهم فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء » (يوحنا ١٩، ٣٤)

٩ – « ولما كان المساء جاء يوسف الذي من الرامة ودخل على بيلاطس وسأله جسد يسوع . . فاذن له بيلاطس . . وجاء ايضا نيقودمس ومعه حنوط من مر » (مرقس ١٥، ٤٢–٤٣ ، يوحنا ١٩ ، ٣٨–٣٩)

١٠ – « فاخذ يوسف الجسد ولفه في كتان نقي ووضعه في قبره الجديد الذي كان نحته في الصخرة ثم دحرج حجرا عظيما على باب القبر ومضى . . وكان يوم التهيئة وقد اخذ السبت يلوح » (متى ٢٧ ، ٥٩–٦٠ ولوقا ٢٣ ، ٥٤)

قيامة يسوع :

١ ــ « يسوع ظهر لامه مريم » (راي كيوركيس النيكوميدي، القرن التاسع)

٢ ــ « رات مريم المجدلية يسوع واقفا ولم تعلم انه يسوع . فقال لها يسوع : يا امراة لم تبكين ؟ من تطلبين ؟ فظنت انه البستاني ... اما يسوع فقال لها : مريم . فالتفتت وقالت له رابوني الذي تفسيره يا معلم » (يوحنا ٢٠ ، ١٤-١٦)

٣ ــ « وان اثنين منهم كانا سائرين الى قرية اسمها عماوس .. ودنا منهما يسوع وكان يسير معهما .. ثم اخذ يفسر لهما ما يختص به في الاسفار كلها .. ثم عرفاه عند كسر الخبز » (لوقا ٢٤ ، ١٣ الى ٣٥)

٤ ــ « قال الرسل لتلميذي عماوس لقد قام الرب في الحقيقة وتراءى لسمعان » (لوقا ٢٤ ، ٣٤)

٥ ــ « فاخذا هما يخبران بما حدث فى الطريق .. وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع فى وسطهم وقال لهم : السلام عليكم » (لوقا ٢٤ ، ٣٥-٣٦)

٦ ــ « نفخ يسوع فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم » (يوحنا ٢٠ ، ٢٢-٢٣)

٧ ــ « ثم قال لتوما هات اصبعك الى ههنا .. وهات يدك وضعها فى جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا . اجاب توما وقال له : ربي والهي . قال له يسوع لانك رأيتني يا توما امنت ، طوبى للذين لم يروا وامنوا » (يوحنا ٢٠ ، ٢٧-٢٩)

٨ ــ « قال يسوع له ثالثة : يا سمعان بن يونا اتحبني : فحزن بطرس فقال له : يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك . فقال له يسوع : ارع غنمي » (يوحنا ٢١ ، ١٧)

٩ ــ «ثم تراءى يسوع لاكثر من خمس مئة اخ معا» (اولى قورنثية ١٥، ٦)

١٠ ــ تراءى يسوع لبولس قائلا : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ قال بولس : من انت يا رب ؟ فقال : انا يسوع الناصري الذي انت تضطهده » (اعمال الرسل ٢٢ ، ٧-٨)

صعود المسيح :

١ ـ « اما الان فاني منطلق الى الذي ارسلني .. ولكن لاني كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم » (يوحنا ١٦ ، ٥ـ٦)

٢ ـ « الا ان في انطلاقي خيرا لكم لاني ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي ؛ ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم من عند الاب » (يوحنا ١٦ ، ٧ و ١٥ ؛ ٢٦)

٣ ـ « متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق .. فتكونون لي شهودا الى اقصى الارض » (يوحنا ١٦ ، ١٣ واعمال الرسل ١، ٨)

٤ ـ « قال له سمعان بطرس : الى اين تذهب يا رب ؟ اجاب يسوع : حيث اذهب انا لا تقدر ان تتبعني الان لكنك ستتبعني بعد حين » (يوحنا ١٣ ، ٣٦)

٥ ـ « ان في بيت ابي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لاعد لكم مكانا .. لتكونوا انتم حيث اكون انا » (يوحنا ١٤ ، ٢ـ٣)

٦ ـ « انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم » (يوحنا ١٦ ، ٣٣)

٧ ـ « لا ادعكم يتامى اني اتي اليكم .. وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (يوحنا ١٤ ، ١٨ ؛ متى ٢٨ ، ٢٠)

٨ ـ « اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم » (يوحنا ٢٠ ، ١٧)

٩ ـ « ثم خرج بهم الى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم .. وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء » (لوقا ٢٤ ، ٥٠ـ٥١)

١٠ ـ « ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ، ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموه منطلقا الى السماء » (اعمال الرسل ١ ، ١١)

حلــــول الروح القدس :

١ ــ «هؤلاء كلهم كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم ام يســـوع ومع اخوته » (اعمال ١ : ١٤)

٢ ــ « فحدث بغتة صوت من السماء كصوت ريح عاصفة ... وظهرت لهم السنة منقســـمة كأنها من نــار فاستقرت على كل واحد منهم » (اعمال ٢ ، ٢ــ٣)

٣ ــ « فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات اخرى كما اتاهم الروح ان ينطقوا » (اعمال ٢ ، ٤)

٤ ــ « هذا هو المقول على لسان النبي يوئيل : اني افيض من روحي على كل بشر .. واجعل عجائب من فوق وآيات في الارض » (اعمال ٢ ، ١٦ــ١٩)

٥ ــ « ها انها تأتي ايام يقول الرب اقطع فيها مع المؤمنين عهدا جديدا .. اني اجعــــل شريعتي في ضمائرهم واكتبهــا علـى قلوبهم » (ارميا ٣١ ، ٣١ــ٣٣)

٦ ــ « انكم رسالة المسيح .. وقد كتبت لا بمداد بل بروح الله الحي لا فـي الـــواح مـن حجر بـــل في الواح القلوب من لحم » (التانية الى القورنثيين ٣ ، ٣)

٧ ــ « والروح عينه يشهد لارواحنا باننا ابناء الله .. وندعو به ابا ايها الاب (رومية ٨ ، ١٦ و ١٥)

٨ ــ « أما ثمر الروح فهو المحبة والفرح والسلام والاناة واللطف والصلاح والايمان والوداعة والعفاف واصحاب هذه ليس ناموس ضدهم » (غلاطية ٥ ، ٢٢ــ٢٣)

٩ ــ « اما تعلمون ان اجسادكم هي هيكل الروح القدس الذي فيكم .. وانكم لستم لانفسكم ؟ .. فمجدوا الله واحملوه فـي اجســـادكم » (اولى قورنثية ٦ ، ١٩ــ٢٠)

١٠ ــ « لا تطفئوا الروح ، لا تزدروا النبوات ، امتحنوا كل شيء وتمسكوا بما هو حسن » (اولى تسالونيقي ٥ ، ١٩ ــ ٢١)

انتقال العـــذراء :

١ ـ « فقال الرب الاله للحية : اذ صنعت هذا .. فاني اجعل عداوة بينك وبين المراة وبين نسلك ونسلها » (تكوين ٣ ، ١٤ـ١٥)

٢ ـ « فهو يسحق راسك وانت ترصدين عقبه » (تكوين ٣ : ١٥)

٣ ـ « اضطهد التنين العظيم الحية القديمة المسمى ابليس المراة التـــي ولدت الولد الذكر » (رؤيا ١٢ : ٩ و ١٣)

٤ ـ «فاعطيت المراة جناحي النسر العظيم لتطير الى البرية» (رؤيا ١٢،١٤)

٥ ـ « فغاضب التنين المراة وذهب ليحارب باقي نسلها الذين يحفظـون وصايا الله ولهم شهادة يسوع المسيح » (رؤيا ١٢ ، ١٧)

٦ ـ « من هذه الطالعة من القفر المستندة على حبيبها ؟ .. من هـــذه المشرفة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوف تحت الرايات ؟ » (نشيد الاناشيد ٨ ، ٥ و ٦ ، ١٠)

٧ ـ « وظهرت في السماء آية عظيمة امراة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى راسها اكليل من اثني عشر كوكبا » (رؤيا ١٢ ، ١)

٨ ـ « كلك جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك » (نشيد الاناشيد ٤ ٧)

٩ ـ « وانفتح هيكل الله في السماء .. بنت الملك جميع مجدها في الداخل ولبوسها من نسائج الذهب . تزف الى الملك في رياش موشاة وفي اثرها عذارى صواحبها يحضرن اليك . يزففن بفرح وابتهاج ، يحضرن فى هيكل الملك » (رؤيا ١١ ، ١٩ ومزمور ٤٤ ، ١٤ـ١٦)

١٠ ـ « ساذكر اسمك فى كل جيل فجيل . لذلك يعترف لك الشـــعوب الى دهر والابد » (مزمور ٤٤ ، ١٨)

تكليـــــل مريم :

١ ـ مريم مكللة سلطانة الملائكة ورؤساء الملائكة

٢ ـ مريم مكللة سلطانة الاباء والانبياء

٣ ـ مريم مكللة سلطانة الرسل والتلاميذ

٤ ـ مريم مكللة سلطانة الشهداء

٥ ـ مريم مكللة سلطانة المعترفين

٦ ـ مريم مكللة سلطانة العذارى

٧ ـ مريم مكللة سلطانة الفقراء والحزانى

٨ ـ مريم مكللة سلطانة جميع القديسين

٩ ـ مريم مكللة سلطانة الســـلام

١٠ ـ مريم مكللة سلطانة الوردية

القراءة :

اعمال الرسل ١ ، ١٢ـ١٤

لوقــا ١ ، ٢٦ـ٣٨

١٥ ــ تقدمة مريم :

العيد : ٢١ تشرين الثاني ــ راهبات التقدمة ــ .

نعني بهذه التسمية تقدمة مريم الى هيكل اورشليم في سنتها الثالثة ، حيث مكثت حتى سنتها الثانية عشرة .

الانجيل لا يذكر شيئا عن هذا الحادث ، لكن الكتابات المنحولة تزودنا بمعلومات عنه . والكنيسة لارتيابها في هذا المرجع غير القانوني ، لم توافق على هذا العيد الا بعد تردد كثير ومداولات طويلة . فالبابا بيوس الخامس (+ ١٥٧٢) الغى العيد ، ثم اعاده البابا سيكستوس الخامس (+ ١٥٩٠) . ومن جديد اراد البابا بنديكتوس الرابع عشر (+ ١٧٥٨) ان يلغيه في الاصلاح الذي اجراه على الليتورجيا . لكن البابا توفي قبل تنفيذ خطته .

وهكذا احتفظ العيد بمكانه في التقويم الكنسي ، لا عن طريق الصدفة كما راينا ، بل لان عوامل عديدة برزت للدفاع عنه . فقد ظهر في القرن الماضي نشاط تقوي خارق العادة يتخذ من هذا العيد مجالا واسما للحياة المسيحية . فمن يقرا مجلة الوقائع البابوية يجد فيها ان ٢٤ رهبنة نسائية قد اتخذت العذراء ، تحت لقب تقدمتها الى الهيكل ، شفيعة للرهبنة . وفي ايرلندا نشأت رهبنة للرجال بهذا الاسم . ومعظم هذه الرهبانيات النسوية تعود الى اصل امريكي او استرالي وغالبيتها حديثة نسبيا ظهرت الى الوجود كنتيجة لتقييم لاهوتي جديد لتقدمة العذراء .

ان « اخوات المحبة الدومنيكيات للتقدمة » اللواتي نعرفهن في العراق ، يسبقن بالزمان والاهمية ، كل الرهبنات الاخرى التي لها نفس

التسمية ، لان رهبنتهن نشأت سنة ١٦٨٤ في فرنسا ، ومن هناك انتشرت في بلدان كثيرة من العالم . سنة ١٩٨٠ كان للرهبنة ٥٦٤ ديرا ، و ١٢٧٤ راهبة ، وقد اقبلن الى الموصل سنة ١٨٧٣ ، ومكثن فيها الى سنة ١٩٤٢ ..

سنة ١٨٨٠ اقمن في بغداد . وفي سنة ١٩٥٥ انشأن ديرا في البصرة . وفي الوقت الحاضر يعرفهن الناس بالمستشفى الذي يقمن بادارته في بغداد . ان اكرام تقدمة العذراء يشجع ايضا الراهبات على ان يعشن مثال حياتهن بالكامل .

١ ـ القيمة التاريخية لقصة التقدمة :

نجد اقدم ذكر لتقدمة العذراء الى الهيكل في انجيل يعقوب المنحول . فهذا النص غير القانوني ، ليس له عموما أي سند تاريخي ، وقصة التقدمة فيه تستند الى قصص شبيهة وردت في العهد القديم ، فهي تعطينا تفاصيل متناقضة مع العادات العبرانية ، وتستطيب الامور العجيبة الغريبة . وهذه قاعدة انطلاق ضعيفة جدا ، ولا يستلام اولئك الذين لا يعطون لها من اهمية الا ما يعطونه لاسطورة تقوية .

ولكن بما انها اقدم نص حول الموضوع ، فلنطلع على محتواها الساذج :

« واذا بملاك الرب يظهر (لحنة ، والدة مريم) ويقول لها : حنة ، حنة ، ان الرب قد سمع صلواتك . وها انك ستحبلين وتحملين طفلا ، والعالم كله سيتحدث عن نسلك . فقالت حنة : حي هو الرب الهي . اذا ولدت ابنا او ابنة ، اهبه للرب الهي ، ليخدمه طيلة ايام حياته ...

وبعدما كملت ايامها ، ولدت حنة في الشهر التاسع ، وسمت طفلتها باسم مريم .

وكانت الطفلة تكبر يوما بعد يوم ، ولما صار عمرها ستة اشهر ، وضعتها أمها على الارض لترى هل يمكنها ان تقف على رجليها ، فمشت سبع خطوات ، ثم عادت الى ركبتي والدتها ، فحملتها وقالت : بالرب الهي الحي ، لا تمشين بعد على هذه الارض ، الى ان احملك الى هيكل الرب . فأقامت مذبحا في غرفة نومها ، وما كانت تسمح لشيء عادي او نجس بالدخول اليها . وكانت تدعو بنات العبرانيين الباكرات ليحملنها من مكان الى مكان .

بعد مرور السنة الاولى من عمر الطفلة صنع يوياقيم عيدا كبيرا دعا اليه الكهنة والكتبة وجماعة الشيوخ والشعب كله . واتى يوياقيم بالطفلة الى الكهنة ليباركوها فقالوا : يا اله آبائنا بارك هذه الطفلة واعطها اسما مشهورا مدى الايام بين الاجيال . فقال الشعب كله : آمين ، آمين . ثم اتى بها الى رؤساء الكهنة ، فباركوها قائلين : يا اله الاعالي ، انظر الى هذه الطفلة وباركها بالبركة الاخيرة التي ما بعدها بركة ..

وتلت اشهر اخرى على عمر الطفلة فبلغت سنتها الثانية ، فقال يوياقيم : لنأخذها الى هيكل الرب تكميلا للوعد الذي قطعناه على انفسنا . والا فالرب يطالبنا به وقرباننا يصبح غير مقبول . فقالت حنة : لننتظر السنة الثالثة ، لئلا تضعف الطفلة بغياب والديها . فقال يوياقيم : لننتظر .

وبعدما بلغت الطفلة سنتها الثالثة ، قال يوياقيم : فلندع بنات العبرانيين الباكرات ، ولتأخذ كل واحدة منهن قنديلا موقدا ، لئلا تعود الطفلة الى الوراء ولئلا يؤخذ قلبها بعيدا عن هيكل الرب . ففعلن كذلك حتى دخلن الى هيكل الرب .

فاخذها الكاهن وقبلها وباركها قائلا : ان الرب عظم اسمك بين الاجيال . فيك ، في الايام المقبلة ، يبدي الرب فداءه لابناء الشعب . ثم اجلسها على الدرجة الثالثة من المذبح . والرب احل نعمته عليها وكانت ترقص على رجليها وكان يحبها جميع الذين في بيت الرب .

فعاد والداها مندهشين ، وهما يحمدان الله ، لان الطفلة لم تلتفت الى الوراء .

وكانت مريم في هيكل الرب مثل حمامة تلقى العناية والغذاء ، وكانت تنال الغذاء من يد ملاك .

ولما بلغت اثنتي عشرة سنة ، استشار الكهنة بعضهم بعضا قائلين : « لقد بلغت مريم سنها الثانية عشرة ، في هيكل الرب ، ماذا نعمل بشأنها؟ »

ان الاعتبارات التي تنقض صحة هذا النص التاريخية ، لا تمنعنا عن القول بان لتقديم الرواية خلفيات تاريخية . فالعبرانيون كانـوا ينذرون اولادهم لله ، وان كانوا اطفالا صغارا . ويأتون بهم الى الكهنة لكي يخدموا الله أمام تابوت العهد . ولنا مثال على ذلك في سفر الملوك الاول ، الفصل الاول ، حيث يرد الكلام عن الصبي صاموئيل ، الذي اتت به أمه حنة ، الى الكاهن عالي « ليخدم الله طيلة أيام حياته » .

وقد انتشرت هذه العادة بين ابناء الشعب ، الى ان سنت الشريعة بشأنها ، وسفر اللاويين (٢٧ : ١ــ٨) يأمر بكيفية ايفاء النـذر ، مقابـل فدية ، فيقول : « وكلم الرب موسى قائلا : كلم بني اسرائيل وقل لهم اي انسان خصص نذرا فعلى حسب تقويمك تكون النفوس للرب . فيكون تقويمك للذكر من ابن عشرين سنة الى ابن ستين سنة خمسـين مثقال فضة بمثقال القدس . فان كانت انثى فيكون تقويمك لها ثلاثين مثقالا . وان كان ابن خمس سنين الى عشرين سنة فيكون تقويمك للذكر عشرين مثقالا وللانثى عشرة مثاقيل . وان كان من ابن شهر الى ابن خمس سنين فيكون تقويمك للذكر خمسة مثاقيل فضة وللانثى ثلاثة مثاقيل فضة . وان كان من ابن ستين سنة فصاعداً فيكون تقويمك للذكر خمسة عشر مثقالا واللانثى عشرة مثاقيل . فان قصرت يده عن القيمة يقفه بين يدي الكاهن فيقومه الكاهن على حسب ما تنال يد الناذر يقومه » .

وفي بعض الحالات لا يمكن دفع الفدية (لاويين ٢٧ : ٢٨ــ٢٩) .

اذن فالشعب كان ينذر اولادا لله ، ممن تتراوح اعمارهم « بين شهر وخمس سنوات » من البنين والبنات ايضا . وكانوا يمكثون في الهيكل ليل نهار ، كما كان صموئيل الصغير ينام لدى الكاهن عالي (١ ملوك ٣:٣) .. كما ان قصة الامير الصغير يوآش ، الذي ظل مختبئا في الهيكل لمدة ست سنوات ، تحت عناية مرضعة ، تتيح الاعتقاد بوجود نساء كن يقمن في الهيكل (٤ ملوك ١١:٢-٣ ، ٢ اخبار الايام ٢٢:١٢) والمؤرخ فلافيوس يوسيفوس يذكر في « تاريخه » حول السكن المخصص للنساء في الهيكل قائلا : « ان ثلاثين بيتا متلاصقة كانت مبنية وتشغل كل المساحة الخارجية داخل الهيكل ، وفوقها بنيت اخرى ، واخرى فوقها بعدد متساو وسعة متساوية » . اذن في زمان العذراء مريم كان في الهيكل نساء يقمن بالخدمة . ولابد من ان حنة النبية (لوقا ٢:٣٧) اقامت هي الاخرى « لا تفارق الهيكل متعبدة بالاصوام والصلوات ليلا ونهارا » .

واوريغنس (+ ٢٥٤) يشهد من جهته ، استنادا الى تقليد بلغ اليه ، انه كان في الهيكل مكان يقيم ويصلي فيه نساء بتولات ، الامر الذي لم يكن مسموحا للنساء المتزوجات .

نستخلص من كل هذا ان قصة تقدمة العذراء الى الهيكل قد تكون صحيحة من الناحية التاريخية . لكن كتاب يعقوب المنحول وثيقة ضعيفة لا يعول عليها لاثبات ذلك . والتقليد اللاحق استند الى هذه الوثيقة .. فترك الباب مفتوحا لفعل التقوى الشعبية . ولكن لا احد يمكنه التأكيد على ان التقدمة هي افتعال محض ، لان خلفيتها التاريخية تدحض ذلك .

وعلى كل حال، فما يهم المسيحيين هو البعد الديني الذي تحمله تقدمة العذراء . فمنذ القرن الثاني (وفيه ظهر كتاب يعقوب المنحول) استحسن المؤمنون ان يروا العذراء ، مقدمة لله منذ صغرها . لان تقدمة مريم هذه هي على الاقل منطقية في نظرهم . لانه لا احد يستطيع تصور مريم بأفضل صورة لها ، الا بعطائها كاملة لشؤون الله ، كما سيعلن يسوع ذلك في حديثه مع العلماء في نفس الهيكل . وبما ان الاحتفال بهذا العيد فرض

نفسه على الكنيسة جمعاء ، فهذا يدل على ان المسيحيين يجدون فيه غذاءا روحيا دسما ..

٢ ـ تقدمة العذراء ، عيد ليتورجي :

اذا كانت فكرة تقدمة العذراء قد اخذت بالانتشار منذ القرن الثاني ، يبدو ان دخولها الى الطقس كعيد ليتورجي بدأ في القرن السادس ، في تكريس كنيسة باورشليم . وهذا العيد ، الخاص بكنيسة واحدة ، كان يروق للشرقيين . وفي القرن السابع كان الشرق البيزنطي كله يحتفل به . والامبراطور مانوئيل كومنينوس (١١٦٦) جعله عيدا رسميا لا يجوز العمل فيه .

اما في الغرب ، فكانت خلفيات العيد المنحولة تعرقل الاحتفال به ، الى سنة ١٣٧١ حيث سمح غريغوريوس الحادي عشر الاحتفال به في مدينة افينيون ، بعد مساعي أحد النبلاء الفرنسيين المدعو فيليب دي ميزيير ، مستشار ملك قبرص ، حين قيامه بمهمة سفير في افينيون . فهذا حكى كيف ان العيد يجري باحتفال رائع في الشرق . فأجاز البابا الاحتفال بالعيد للرهبان الفرنسيسنيين المقيمين فى افينيون ، لا غير . ولكن بعد حين ، وفي سنة ١٣٧٣ ادخله الملك شارل الخامس الى معبده الخاص في قصر باريس ، واخذ ينشره في فرنسا كلها . ومنها انتشر الى سائر بلدان اوربا . في القرن السادس عشر كاد العيد أن يزول تماما ، لكنه استعاد اهميته من جديد ..

٣ ـ المعنى الديني لعيد التقدمة :

يتضح قبل كل شيء ، ان تقدمة العذراء مريم ، قام بها والداها ايفاء لنذر نذراه . فحنة العاقر تريد ان تعيد لله الابنة التي اعطاها الله اياها . والحاح يوياقيم على ايفاء النذر يبين جيدا كامل رضاه عن هذه التقدمة .

ان الوالدين المسيحيين يجدون في يوياقيم وحنة مثلا يقتدى به ، فكل ولد هو عطية من الله ، حتى في الظروف الاعتيادية . فعليهم ان

يشكروا الله بمساعدة الولد على ان يكون مسيحيا بكل معنى الكلمة . ان « تقديم الولد لله » لا يعني اعداده لنمط حياة مكرسة لله ، في الكهنوت او في الرهبنة . فالله بحاجة الى شهود في كل الحالات البشرية . لكن المهم هو التمسك بالفكرة الرئيسية التي لهذا العيد وهي : تكريس الذات لله ، مهما اختلفت الاساليب لتطبيق ذلك .

ومع هذا كله ، فالانتباه في اخر الامر مركز على مريم العذراء نفسها ، اكثر من تركيزه على والديها . فمريم التي قدمها والداها الى الهيكل لم تلتفت الى الوراء ، على مرأى واعجاب من الجميع ، لان تكريس الذات لله اضحى في نظر هذه الطفلة الصغيرة عملا شخصيا ، فقد نسيت العالم وكل ما فيه . والله وحده الحاضر في الهيكل كان يشغل افكار مريم . ذات يوم باحت القديسة ترازيا دي ليزيو بهذه العبارة : « انني لم ارفض شيئا عن الله منذ ما كان عمري ثلاث سنوات » . فكم تكون عبارة كهذه ذات وقع اعمق على شفتي مريم !.

الا ان التقدمة تعكس موقف مريم ، البالغة . فقد نسيت ذاتها لتحيا مع ابنها ومن أجل ابنها . وفعل مريم الطفلة يصبح رمزا نقرأ فيه تاريخ حياة مكرسة لله بكاملها .

والراهبات يتخذن تكريس مريم هذا بحذافيره . فهن يرغبن ايضا بتكريس حياتهن لخدمة الله في هيكله المقدس . فمن المعقول جدا ، والحالة هذه ، ان يجاهرن بنذورهن او يجددنها يوم تقدمة مريم . ان رهبانيات عديدة للرجال كما للنساء ايضا تحتفل بهذا العيد احتفالا شيقا .

قراءة :

امثال ٨:٢٢–٣١

لوقا ٢:١٦–٢١

١٦ ـ المحبول بها بلا دنس

العيد : ٨ كانون الاول .

راهبات الكلدان ، بنات مريم المحبول بها بلا دنس .

الراهبات الارمنيات للمحبول بها بلا دنس .

كنائس :

كنيسة الطاهرة ـ الموصل

كنيسة السريان ـ بغداد ـ شورجة

كنيسة الكلدان ـ بغداد ، كمب الكيلاني

كنيسة الكلدان ـ بصرة ، عشار

كنيسة السريان ـ قره‌قوش

كنيسة دير راهبات الكلدان ـ بغداد ، المسبح

يعتبر عيد الحبل بلا دنس حاليا من أعظم الاعياد المريمية . والاحتفال به تعبير لا شبهة فيه عن يقين الكنيسة بحقيقة الحبـــل بلا دنس ، التي أعلنت عقيدة ايمانية سنة ١٨٥٤ .

ماذا كانت تعتقد الكنيسة اذن ، قبل سنة ١٨٥٤ ؟ ولماذا تأخرت لاجيال طويلة عن اعلان هذه الحقيقة المضمرة في محتوى الوحي ؟ ان هذه المسألة تستحق أن تثار . والحبل بلا دنس له صفة خاصة جدا تـدل على التطور في تعليم الكنيسة .

١ ـ العيـــد الليتورجي :

الى يومنا هذا ، ليس للاثوريين عيد خاص بمريم المحبول بهـــا بلا دنس ، رغم ايمانهم بأن العذراء طاهرة تماما لم تمسها الخطيئة بتاتا . والعيد دخل حديثا في الطقس الكلداني . اذ لا نجده بين الاعياد الجديدة التي ادخلها البطريرك يوسف الثاني معروف (١٦٩٥–١٧١٣) . لكنـه موجود في عهد البطريرك يوسف اودو (١٨٤٧–١٨٧٨) المعاصر لســنة اعـلان هذه العقيـدة .

يعود اصل العيد الى الطقس البيزنطي ، في القرن السابع والثامن ، وكان يجري الاحتفال به فى أديـرة فلسطين ، ومنها انتشر فى الامبراطورية الرومانية الشرقية . وكان في عهد الامبراطور مانوئيل كومنينوس ذا أهمية خاصة بحيث كانت جلسات المحاكم ممنوعة في ذلك اليوم (١١٦٦) . وكان العيد حينذاك يقام يوم ٩ كانــون الاول لكنه لم يحظ بنجاح كبير في الامبراطورية . اذ لا توجد حقبة نجده مذكورا فيها بين الاعياد البيزنطية الكبيرة الاثني عشر .

اضف الى ذلـك مضـمون العيد الذي كـان معقدا جـدا ـ كما ان تسميته بعيد « حبل القديســة حنة » توقع في الخطـأ . لذلك فالوثائق الادبية والنصوص الليتورجية القديمة تميز فيه ثلاث نقاط هي : البشارة بالحبل من قبل الملاك ، واعجوبة الحبل الفعال في رحم عاقر ، والحبـــل المنفعل لام الله العتيدة . ان الكاثوليك يتمسكون بالنقطة الاخــيرة اعني الحبل بمريم المنفعل .

ثم نشط الطقس اللاتيني ليعطي للعيد حيويته الكبيرة ، ولكن بعد مصاعب جمـة . واقدم ذكر لــه نجده فى ايرلندا فى بداية القرن التاسع ، حيث كان يجري الاحتفال بعيد يدعى « عيد الحبل بمريم » في اليــوم الثالث من أيار . ما زال العلماء يتناقشون في أصل هذا العيد الايرلندي ، لكنه كان ظاهرة منفردة لم تتكرر .

في القرن الحادي عشر ورد ذكر العيد في انكلتــرا ، لدى ليوفريك اسقف اكستر ، في كتاب الرسامات ، سنة ١٠٥٠ . وهو العيد الشرقي ، الذي يجري الاحتفال فيه بالاعجوبة المفترضة التي جرت لحنة في حبلها بمريم ، رغم تقدمها في السن . لكن العيد لم يبق بعد الغزو النورماندي لانكلترا سنة ١٠٦٦ .

في بداية القرن الثاني عشر برز احتفال آخر في انكلترا يعتبر «الحبل» الحبل بمريم في رحم والدتها القديسة حنة ، وهو بريء من الدنس ، لانه خالص من الدنس الوراثي الذي ، منذ خطيئة آدم ، يلوث كلّ انسان يأتي الى هذا العالم ..

لكن هذا الاحتفال الجديد لقي مقاومة من بداية امره . ثم قام دفاع مهم عنه ، في بحث لاهوتي مختصر يسمى « في حبل القديسة مريم » كتبه الراهب ايدمر سنة ١١٢٤ .

ومن انكلترا عبر العيد الى نورمانديا ليغزو فرنسا برمتها بعد وقت قصير .

ونحو سنة ١١٤٠ تبناه مجلس كاتدرائية ليون ، لكــــن القديس برنردوس قاومه بشدة لاسباب لاهوتية ، لم تستطع رغم فاعليتها الكبيرة ان توقف انتشاره . في باريس نجد الاحتفال به يجري بشكل منتظم منذ سنة ١١٩٦ . ومجمع لمانس المنعقد سنة ١٢٤٧ يعلنه عيدا « الزاميا » .

في دخوله الى ايطاليا ، جوبه بمواقف شبيهة بالمواقف المار ذكرها . فالمطران سيكاردو من كريمونا (+ ١٢٢٥) رفضه بجفاء قائلا عنه انـــه « غير صحيح » . لكن العيد ، من جديد ، حظي بقبول اقوى من المقاومة .

فقد قام الرهبان الفرنسيسكان يدافعون عنه . وفي مجمعهم العام المنعقد في بيزا سنة ١٢٦٣ قرروا الاحتفال به في اديرة الرهبنة كلها ، ثم اقتدت بهم رهبانيات اخرى ، اما الدومنيكان فلم يملوا من التهجم على اصل العيد . وهذا الجدال اللاهوتي يبدو اثره حتى في تسمية العيد

حيث نقرأ في احد كتب القداس (وفي كتب اخرى) العبارة التالية :

« تقديس مريم العذراء المجيدة » .

وفى خضم الجدلات اللاهوتية واصل العيد طريقه وثبت فى القرن الرابع عشر في المانيا والاراضي المنخفضة . وفى القرن الخامس عشر شمل اوربا برمتها .

بما ان ليتورجيا العيد اصطدمت دائما بالرفض من قبل اللاهوتيين ، فلابد لنا من بحث هذه المسألة على حدة . وللاختصار نذكر فقط المراحل الليتورجية الاخيرة . في عهد البابا سيكستوس الرابع ، وهو راهب فرانسيسكاني ، وضع طقس قداس وصلاة فرضة للعيد سنة ١٤٧٦ ، وادخله الى روما التي كانت الى ذلك الحين متحفظة بشأنه..

المجمع التريدنتيني (١٥٤٥ - ١٥٦٣) رفض ان يكون لعيد واحد طقوس مختلفة ، فقرر اجراء تنقيح للكتب الطقسية . وترك مهمة التنفيذ على عاتق الكرسي الرسولي . وبهذا الشان عين البابا بيوس الخامس لجنة انهت عملها سنة ١٥٦٧ ، لكن نتاجها جاء غير ناجح لعيد الحبل بلادنس . فقد اوصت بأستعمال القداس المخصص لعيد ميلاد مريم ، مع شيء من التكييف . فظهر عملها ركيكا جداً مقابل القداس الذي اوعز بوضعه البابا سيكستوس الرابع . في عهد البابا كليمنضوس الحادي عشر اضحى عيد الحبل بلا دنس عيداً الزاميا سنة ١٧٠٨ . لكن شيئا لم يتغير في قداس اللجنة التي عينها بيوس الخامس . وبقي ذلك الطقس معمولا به الى ما بعد اعلان عقيدة الحبل بلا دنس سنة ١٨٥٤ . فكلف البابا بيوس التاسع لجنة لتأليف طقس جديد ، انتهت منه سنة ١٨٦٣ .

٢ - التقدم اللاهوتي :

القديس برنردوس قاوم عيد الحبل بلادنس ، وحذا حذوه القديس اسلموس رئيس اساقفة كنتربري ، وكذلك القديس توما الاكويني . ثلاثة قديسين عظام ! فالقديس برنردوس مشهور بتعبده الحار لمريم . والقديس

انسلموس ملفان كبير . اما القديس توما فهو اعظم لاهوتي عرفته الكنيسة . فلماذا كان هؤلاء القديسون الكبار يرفضون قبول فكرة الحبل بلادنس ؟

نتتبع اولا الطريق الذي مر فيه اللاهوت .

ا ـ اســـاس كتابي :

ان الكتاب المقدس لا يأتي ببرهان قاطع على مسألة الحبل بلا دنس ، لكن التقليد الكنيسي اعتبر خلو مريم من الخطيئة جزءا من المخطط الالهي لفداء الجنس البشري . فالكتاب المقدس ينطوى ضمنيا على الفكرة الاساسية لعقيدة الحبل بلادنس .

ـ العهـــد القديم :

نستعرض النصوص التي ليس لها سوى علاقة رمزية بالوعد . فالنص الجوهري الوحيد في العهد القديم ورد في سفر التكوين ٣ : ١٥ « واجعل عداوة بينك وبين المراة وبين نسلك ونسلها فهو يسحق راسك وانت ترصدين عقبه » . نعتبر مريم ، ولو بالرمز ، انها المراة المذكورة في هذا النص . لان قوله : « واجعل عداوة .. » يبين المقاومة الشديدة بين العذراء المباركة والشـــيطان ، ولذلك يقتضي من العذراء ان تكون خاليـــة خلوا تاما من الخطيئـــة ، وبالاخص من الخطيئة الاصلية . فلـــو ان مريم اقترفت خطيئة واحدة ، لما قامت العداوة بينها وبين الشيطان بتاتا ، ولكانت الى جانب الشيطان . اذن فهذه العداوة صراع لا هدنة فيه ، الى ان يسحق راس الحية اخيرا . والمسيح ابن المراة هو الذي سينتصر على الحية . فالمسيح وامه يعملان جنبا الى جنب في ميدان فداء العالم . وكلاهما ايضـــا يحرزان النصـــر النهائي .. ان الخطيئة المميتـــة والفداء موضوعان على خطين متوازيين . فادم وحواء سقطا في تجربـــة الشيطان .. اما ادم الجديد وحواء الجديدة فهما يحطمان حكم الحية .

ـ العهـــد الجديد :

في العهد الجديد ورد النص الرئيسي في انجيل لوقا ١ : ٢٨ :

« السلام عليك ايتها الممتلئة نعمة ، الرب معك » . في الحقيقة والواقع ، ان مريم ممتلئة نعمة حين بشرها الملاك ، ولكن هل يمكننا ان نفهم من هذا النص ان مريم كانت دائما ممتلئة نعمة حتى ان الحبل بها كان بلادنس ؟ فقولنا ان مريم ممتلئة نعمة بفضل امومتها الالهية ، لايلزمنا بالقول ان مريم حبل بها بلا خطيئة ، كما ونلاحظ ان النساء المذكورات في سلسلة انساب المسيح لسن معصومات من الخطايا ، فلماذا تكون مريم معصومة ؟ في حين نرى بالاخص ان يسوع في حياته العلنية يتحدث مع نساء خاطئات ، ولم يتلوث بخطاياهن . فما كان يتلوث ايضا بخطايالو كانت في حياة امه . ان هذا الاعتراض صحيح . ولكن مرفوض بالنص القائل ان مريم « مباركة في النساء » (لوقا ١ : ٤٢) فلا يمكن دمجها مع سائر النساء . فلو كانت النساء المذكورات آنفا « مباركات » فمريم هي « المباركة » فيهن جميعا ، ولا مثيل لها في النساء اجمعين . وبركتها قيلت مع بركة يسوع : « مباركة انت في النساء ، ومبارك ثمرة بطنك » (لوقا ١ : ٤٢) ، فهذه البركة الغزيرة تفسح المجال واسعا لنفسر عبارة « ممتلئة نعمة » بأنها هبة الهية ممنوحة لمريم ، منذ اول لحظة من حياتها .

ب ـ آبـاء الكنيسة :

ان هذين النصين الكتابيين لايحتويان عقيدة الحبل بلادنس الا ضمنيا . وعلى نفس الخط من الانجيل سارت الكنيسة الناشئة لوقت ما ، فكانت تسمي مريم « الكلية النقاء » و « الكلية القداسة » دون ان تقول عنها شيئا اخر . ونحن لا يمكننا ان نعصر هاتين التسميتين لنستخلص منهما المعنى الذي لا يحملانه . فهما يعبران عن الدهشة التامة

ازاء العذراء التي لا خطيئة فيها ، والكنيسة لم تفهم عمق هاتين التسميتين الا بعد مرور زمان ، وذلك من خلال ايمانها الحي ، وتوجهها في الصلاة الى مريم ، ومدحها لها في مواعظ ومقالات تصف امتيازاتها التي لا مثيل لها .

- فترة الايمان الضمني - الى مجمع افسس (٤٣١)

× مقارنة بين مريم وحواء :

في رومية ٥ : ١٩ يصف مار بولس التضاد القائم بين ادم والمسيح ، وفي نظر الاباء الاولين ، تأتي المقارنة بين حواء ومريم وكأنها تقابل طبيعي ، فازاء خطيئة حواء تقوم قداسة مريم . والقديس يوستينوس (١٠٠ - ١٦٧) هو اول من قيم هذا التضاد . وقد تبعه بهذا الشأن كتبة اخرون ذوو شهرة . منهم القديس ايريناوس (١٣٠ - ٢٠٢) وترتليانس (١٦٠ - ٢٤٠) . فالتضاد يعطي الانطباع مسبقا بأن مريم لم تتلوث بخطيئة حواء .

× قداسة مريم بشكل عام :

غالبا ما يتكلم الاباء القدامى عن قداسة مريم ، وهم لايخشون من الصفات التفضيلية . فلو كانت مريم ، في نظرهم ، فوق الخطيئة ، فلماذا لاتكون فوق الخطيئة الاصلية ! وانهم يوم ذاك ينتظرون لايجاد التعبير حرفيا ، لكنهم لم يجدوه في زمانهم .

قد يكون مارافرام (+ ٣٧٣) بين جميع الاباء القدامى ، الاقرب الى عقيدة الحبل بلادنس - فهو يقول لمريم : « أيتها السيدة الفائقة القداسة ، يا أم الله ، انت وحدك فائقة النقاء بالنفس والجسد ، انت وحدك تفوقين كمال الطهر كله ، انت وحدك ، في كيانك كله ، جعلت مسكنا لنعم الروح القدس كلها ، وبذلك تفوقين سموا لا مثيل له حتى في الفضائل الملائكية بالطهر والقداسة في النفس والجسد . . . انت سيدتي الفائقة القداسة ، كلك طاهرة ، كلك غير مدنسة ، كلك بلا غضن ، كلك

بلا عيب ، كلك غير فاسدة ، كلك غير ملوثة ... يا وردة لا عيب فيها لذاك الذي يرتدي النور كاللباس ، يا زهرة غير ذابلة ، يا ارجوانا نسجه الله ، انت وحدك لا دنس فيك البتة » .

يعتقد مارافرام ان العذراء مريم كانت بارة مثل حواء قبل السقطة ، فهي العذراء الابعدما ممكن عن ادنى خطيئة ، وهي اقدس من الساروفيم ، والينبوع الذي ختمه الروح القدس ، والبذرة النقية التي خلقها الله ، دائمة الطهر وغير مدنسة في الجسد والروح .

ويعقوب السروجي (٤٥٢ ــ ٥١٩) يقول : « بما ان الله اختار مريم ، فهذا برهان على انه لم يكن شخص اقدس منها . فلو ان عيبا شوه نفسها ، لو ان عذراء اخرى كانت اطهر منها او اقدس ، لفضلها الله ورفض مريم » .

× **الامومة الالهية :**

ان مريم بصيرورتها أم المخلص نالت كل الامتيازات العظيمة في الطبيعة والنعمة والمجد . يقول امبروسيوس (٣٣٤ ــ ٣٩٧) :

« هي وحدها سميت « ممتلئة نعمة » لانها هي وحدها نالت النعمة التي لايستطيع شخص اخر المطالبة بها وهي : ممتلئة نعمة على يد مانح النعمة نفسه » .

ــ مرحلة الايمان الذي اخذ يتضح : من مجمع افسس والى القرن الحادي عشر .

نتيجة لنفي الخطيئة الاصلية من قبل بيلاجيوس وجماعته الهرطوقية ، في بداية القرن الخامس ، اخذ الاباء الغربيون يستغيضون بالكلام عن هذه الخطيئة ، فكانت محصلة آرائهم ، بشأن مريم ، ان الاعتقاد السائد بقداستها الشاملة لا يجرؤ على القول بكونها محررة من الخطيئة الاصلية ، خشية ان يستفيد الهراطقة من هذا الرأي لتقوية موقفهم . فالقديس اوغسطينوس رغم كونه «لا يقبل بطرح سؤال واحد حول موضوع

الخطيئة بخصوص مريم ، وذلك اكراما للرب » الا انه لم يستطع التخلص هو الاخر من هذا البرهان ذي الحدين . والكتبة الذين ظهروا بعد القرن الخامس وتأثروا لوقت طويل باراء مشابهة لهذه . وهكذا ظلت هذه العقيدة ضمنية ، تعيقها الظروف عن البروز بجلاء .

اما في الشرق فكان لآراء بيلاجيوس وقع اقل ، والاباء الشرقيون لايبدون التحفظات المفروضة على الغرب ، لا بل ان الكتبة الشرقيين ، حالما اعلن مجمع افسس امومة مريم الالهية ، اخذوا يبجلون فيها قداستها التي لا حد لها ، وعبروا عن فكرة الحبل بلادنس بمفردات واضحة اكثر فأكثر .

يقول القديس بروكلوس (+ ٤٤٦) بطريرك القسطنطينية : مريم هي القبة السماوية لخليقة جديدة ، فيها ازالت شمس البر الساطعة دوما ليل الخطيئة عن نفسها كلها .. والقديس سوفرونيوس (+٦٣٧) بطريرك اورشليم ، له « رسالة مجمعية » صادق عليها المجمع المسكوني السادس ، يصف مريم فيها بأنها « قديسة ، بلا دنس في النفس والجسد حرة تماما من كل عدوى » . ويقول ايضا في موضع اخر بان نعمة مريم فريدة ، لم ينل مثلها شخص اخر ، لانه لا احد غيرها « تطهر مسبقا » . واستنادا الى هذه المقولة دافع دونس سكوت عن عقيدة الحبل بلا دنس .

في القرن التاسع يقول ابيفانيوس في موعظة له ان مريم كانت تتمتع بالبراءة الاصلية وما كانت تعرف الشهوة .. وفي القرن العاشر تتضح التعابير . يقول اوتيميوس ، بطريرك القسطنطينية : « ان مريم محررة من سريان الخطيئة الاصلية ، منذ الحبل بها في رحم القديسة حنة » .

— اعتقاد واضح بعقيدة الحبل بلا دنس :

في القرن الحادي عشر بدأ في الغرب العصر المدرسي . في ذلك الوقت برزت شخصيات مرموقة بالعلم والقداسة . لكن الشعائر الدينية وضعت على محك العلم ، ولقيت مقاومة شديدة . وفي هذه الظروف بالذات ادخل عيد الحبل بلا دنس الى الليتورجيا في الغرب . فرفضه اللاهوتيون

لانه ، في نظرهم ، تعليم جديد ، ينبغي التأكيد من صحته باثباتات من الانجيل والتقليد .

فقامت ضد العيد اعتراضات ساخنة . القديس انسلموس (۱۰۳۳ – ۱۱۰۹) يرفضه ، لانه يراه غير متوافق مع شمولية الفداء الذي عمله المسيح . فاذا ما لم تعرف العذراء الخطيئة الاصلية ، فلا حاجة لها ان يخلصها المسيح . وفي هذه الحالة ، هل هي خارج عن عمل الفداء ؟ يجيب الراهب ايدمر ، وهو صديق انسلموس ، عن هذا الاعتراض قائلا : ان الله في حكمته استثنى مريم عن حكم الخطيئة ، وذلك منذ لحظة الحبل بها .

القديس برنردوس (۱۰۹۱ – ۱۱۵۳) يقف الى جانب القديس اوغسطينوس الذي يرى أن فعل التناسل نفسه هو المنبع المباشر للخطيئة الاصلية . وبما أن الحبل بمريم تم حسب الطريقة البشرية العامة والطبيعية ، بدون تدخل عجائبي ، فلابد من القول بأن مريم محبول بها في حالة الخطيئة الاصلية . اما جواب المدافعين عن الحبل بلادنس فلم يكن قويا حتى يقنع القديس برنردوس ... وظل الجدال قائما لمدة مئة سنة تقريبا ، وكفة الميزان عموما كانت لصالح المعارضين للحبل بلادنس . وفي سنة ۱۲۷۵ توصلت جهود جامعة باريس الى الغاء العيد في باريس وفي ابرشيات اخرى .

القديس توما الاكويني (۱۲۲۵ – ۱۲۷٤) كان في بادىء الامر يؤيد الحبل بلا دنس ، ثم اعترض عليه بعد ذلك . وقد طلعت مقالات عديدة تبحث عن رأي مارتوما الصريح بهذا الشأن . ولكن ينبغي القول بصراحة ان معارضة الدومنيكان المستمرة لفكرة الحبل بلادنس ، في العصور اللاحقة ، لم تكن فى معظمها الا لرغبتهم فى حفظ ولائهم لتعليم مار توما .

ومع ذلك فقد لقي المدافعون عن العيد تأييدا لاباس به . والتحول الجذري الى جانب الحبل بلادنس صنعه عالم فرنسيسكاني انكليزي هو دونس سكوت (۱۲۷۰ – ۱۳۰۸) ولو ان موقفه الصريح مازال موضوع

بحث وجدال . لكن التفاصيل ليست مهمة ، فالمهم هو ان « الملفان الحاذق » الفرنسيسكاني عرض تحليلا لاهوتيا أيده معارضوا الحبل بلادنس تدريجيا . فقال بمبدأ التنزيه ، بمعنى ان مريم نالت الخلاص بالمسيح ، ولكن عن طريق الاستثناء ، أي قبل موت المسيح على الصليب لانها استفادت مسبقا من استحقاقات المسيح . يقول دونس سكوت : « ان الطوباوية أم الله هي في السماء ، هي التي لم تكن عدوة لها ، لابخطيئة فعلية ، ولا بالخطيئة الاصلية ، ولكانت في السماء ، حتى وأن لم تكن مصونة منها » . بهذا التحليل واجه تلاميذ انسلموس . واجاب قائلا لتلاميذ القديس برنردوس : ليس المهم اولا ان ننظر الى فعل الانجاب والتكوين الطبيعي ، بل المهم فقط هو اللحظة التي فيها افيضت نفس مريم في جسدها . فتلك اللحظة هي الحبل الصحيح بمريم . فالله بأفاضة نفس مريم في جسدها اراد عصمتها من الخطيئة الاصلية . المعارضة لم تنته حالا ، لكن فكرة الحبل بلادنس ترسخت اكثر ، فعرضت للفحص في مجمع بازل ، الذي بدأ انعقاده سنة ١٤٣١ ، كتعليم عقائدي يوضع في صيغة محددة . وقد صاغ المجمع فعلا تحديدا للفكرة ، في جلسته السادسة والعشرين ، في ١٧ أيلول سنة ١٤٣٩ . وبايعاز منه أيضا تم تاليف قداس وصلاة للعيد واعلنا . لكن المجمع فى ذلك الوقت كان قد انفصل عن البابا اوجين الرابع الذي حرمه حالا . وفي هذه الحالة صار قرار المجمع حول الحبل بلا دنس غير شرعي .

ان الازمة التي هزت الكنيسة ، المنزحمة بين البابا والمجمع ، لم يكن لها علاقة بمسالة الحبل بلا دنس ، فالبابا سيكستوس الرابع (١٤٧١ — ١٤٨٤) اراد وضع حد لكل مجادلة في الموضوع . لذلك ايد رسميا فكرة الحبل بلا دنس ، ولكي يفصل المسالة عن مجمع بازل ، عمل على تاليف قداس جديد وصلاة فرضية للعيد سنة ١٤٧٦ .

ومع هذا لم تنته المجادلة بين اللاهوتيين . فالراهب الدومنيكاني بلانديللي الذي صار رئيسا عاما على رهبنته (من سنة ١٥٠١ — ١٥٠٦) وضع كتابين ضد الحبل بلا دنس ، معلنا ان موضوع العيد الواقع في

٨ كانون الاول كان « تقديس » العذراء (مثل مار يوحنا المعمـــذان في احشاء امه) ، ولم يعني بتاتا ان العذراء ما كان لها الخطيئة الاصلية ..

والبابا اكد في رسالتين له ان مضمون العيد كان الحبل بلا دنس ، ولو انه انتهى الى القبول بان كنيسة روما والكرسي الرسولي ما كانا قـد اتخذا بعد قرارا نهائيا حول هذه الفكرة .

ثم ان المجمع التريدنتيني (١٥٤٥ — ١٥٦٣) نظر في الموضوع ، لكن المعارضة من قبل فئة صغيرة من آباء المجمع منعت صدور تحديد نهائي . فقد ذهب المجمع الى القول : « يعلن المجمع المقدس انه لم يكن في نيتـه بهذا القرار ، المتحدث عن الخطيئة الاصلية ، ان يشمل المباركة والطاهرة العذراء مريم ، ام الله . وعليه يجب العمل بمقررات سيكستوس الرابع ، السعيد الذكر » .

فهذا التأكيد على رسالتي سيكستوس الرابع ، المؤيدتين كليا للحبل بلا دنس ، يبين مدى انتشار هذه العقيدة . فقد قامت الى جانبها كبريات الجامعات الاوربية . والبابا بيوس الخامس (١٥٠٤ — ١٥٧٢) لم يدع شكا حول موقف آباء المجمع التريدنتيني . فحرم الرأي الضال الذي أتى به بايوس القائل : ان أم الله كانت خاضعة للخطيئة الاصلية . ومنع البابا نقاشات علنية حول الموضوع . كما أن البابا بولس الخامس جدد هـــذا المنع سنة ١٦١٧ .

رغم هذه الاجراءات كلها ، ظلت المعارضة متمسكة بموقفها ، حتى بعد اعلان البابا غريغوريوس الخامس عشر بان عيـد الحبـــل بلا دنس مفروض على الجميع ، وبانه لا يمكن تبديل كلمة « الحبل » بكلمة أخرى ، كأن يقال مثلا « تقديس » . وهذا البابا منع سنة ١٦٢٢ الكتابات الخاصة والمواعظ المخالفة للحبل بلا دنس ، باستثناء الدومنيكان فيما بينهم لاغير .

ولقطع الدرب عن المعارضين ، قام المدافعون عن الحبـــل بلا دنس بضغوط على البابا الجديد الكسندر السابع لينشر تصريحا واضحا حول ماهية العيد الليتورجي . والبابا نفذ هذا الطلب سنة ١٦٦١ . والعبارات

التي استعملها كانت مشابهة للعبارات التي وردت في الدستور العقائدي المنشور سنة ١٨٥٤ . وكان لهذا التصريح فعالية بالغة .. فقد اخذت مدن وابرشيات وشعوب تضع نفسها تحت حماية المحبول بها بلا دنس . كما ان رهبنات عديدة أنشئت تحت لقب الحبل بلا دنس ، ولاهوتيين ، ومنهم القديس الفونس دى لبغوري ، نذروا انفسهم للدفاع عن الحبل بلا دنس ، حتى بدمهم ايضا .

في القرن السابع عشر كان وضع الكنيسة الرسمي ، والحياة المتورحية ، واغلبية اللاهوتيين شبه المطلقة ، والتقوى الشعبية ، الى جانب الحبل بلا دنس ، بحيث أن البعض شرعوا بتقديم عرائض لاعلان العقيدة .

والخطوة الاخيرة نحو تحديد العقيدة قام بها البابا بيوس التاسع . فقد شكل سنة ١٨٤٨ لجنة من اللاهوتيين للنظر فى سؤالين هما : هل من الممكن اعطاء صيغة العقيدة للحبل بلا دنس ؟ وهل حان الوقت لتحديد كهذا ؟ . في ٢ شباط سنة ١٨٤٩ بعثت رسالة الى جميع اساقفة العالم لطلب رأيهم بشأن تحديد العقيدة . فكانت ردودهم ايجابية بوضوح (٥٧٠ موافقا من بين ٦٦٥) .. ومن بين اولئك الذين اعتبروا التحديد غير مناسب ، البعض منهم خافوا لئلا يثار تهجم ضد الكنيسة . وثمانية منهم فقط كانوا ضد اي تحديد عقائدي والبابا سمى لجنة اخرى لتحرير رسالة التحديد . واستمر عمل اللجنة أكثر من سنة ، ثم احيل النص الى الكرادلة ، واخيرا الى اعضاء الرئاسة الكنسية في العالم بأسره ، المجتمعين فى روما . وفي ٨ كانون الاول سنة ١٨٥٤ وضع الاب الاقدس حدا نهائيا لمسألة طال امدها . فأعلن الحبل بلا دنس عقيدة كنسية ، وقال : « اكراما للثالوث الاقدس الذي لا يتجزأ ، وتمجيدا وتعظيما للعذراء أم الله ، ولتعزيز الايمان الكاثوليكي ، ونمو الديانة الكاثوليكية ، نعلن بسلطة يسوع المسيح ، والرسولين الطوباويين مار بطرس وبولس ، وبسلطتنا الخاصة ، ونقضي ونحدد بأن التعليم القائل أن الطوباوية مريم العذراء ، منذ اول لحظة للحبل بها ، نظرا الى استحقاقات يسوع المسيح

مخلص البشرية وبامتياز خاص ونعمة من الله القدير ، كانت مصـــونة خالية من كل دنس للخطيئة الاصلية ، هو تعليم موحى به من الله ، ويجب اذن ان يصدقه جميع المؤمنين تصديقا راسخا ودائما » .

ان كنيســة الطاهرة في الموصل ، المشــيدة قبل هذا الاعلان العقائدي بزمان طويل ، تدل على ان كنيسة ما بين النهرين كانت « توضح » بطريقتها الخاصة ما كان تعليم مار افرام ينطوي عليه « ضمنيا » منذ القرن الرابع .

٣ ـ معنى العقيــــدة :

ا ـ الكنيسة في سير مستمر :

ان ديننا دين منزل . لما طلب البابا بيوس التاسع من الاســـاقفة ليبدوا رأيهم في امكانية تحديد الحبل بلا دنس عقيدة كنسية ، لم يطلب منهم اصدار حكمهم في فكر لاهوتي .. انما طلب رأيهـــم في ما اذا يؤمن الشعب المسيحي بهذا التعليم . فان كان ردهم بالايجاب ، فالبابا بصفته رئيسا لشعب الله ، يعلن بســـلطته هذه ان هذا التعليم جـــزء من وديعة الايمان .

نستخلص من الحقيقة نتيجتين :

ا ـ اللاهـــوت :

ينبغي لعلم اللاهوت ، ولاي علم بشري آخر ، ان يقـــوم بدوره في وحي المسيح ، فالانسان مسؤول عن افعاله ، وعن فعل ايمانه ايضا . لكنه بلا شك ، في نطاق الايمان ، لا يمكنه ان يفسر كل شيء . وفي آخر الامر ، كل فعل ايمان هو فعل ثقة . ولكن ينبغي للانسان ان يستطيع القول بان له اسبابا كافية تبرر ثقته . وهذا هو دور اللاهوت اعني البحث في مقبولية الحقيقة المقترحة ، بشريا . وهذا ما جرى بالنسبة الى الحبل بلا دنس . فاللاهوت اعترض عليه بشدة ، لانه كان يرى ان تعليما كهذا غير مقبـــول عقليا . واخيرا انتهى الجدال الذي استمر لاجيال طويلة بالقـــول : نعم ، ان حبلا كهذا بخصوص مريم ، له ما يبرره . وليس عليه اعتراض جوهري

من جانب العقل . لا بل ان هناك اسباب لياقة تقول ان هذا الحبل معقول ومقبـــول .

وهذا لا يعني ان اللاهوت « برهن » اخيرا على الحبل بـلا دنس . اذ كيف يمكنه اطلاقا ان يبرهن على سر نعمة لا يقع تحت مراى العين ! لكـن اللاهوت فحص ودقق الكتاب المقدس والتقليد ، واخيرا قال : ان الكتاب المقدس يذكر هذه الحقيقة « ضمنيا » . والتقليد اوضح هذا التعليم على محـك التأييد والمعارضة . فالاعتقاد بـه معقول . الـى هنـا ينتهي دور اللاهوت . ولا يبقى على الانسان الا ان يثق ويؤمن .

ب ـ ايمان الكنيسة :

ان اعــلان الحبل بلا دنس عقيدة كنسية يعني ان هــذا التعليم موحى مـن اللـه .

ـ كيف يمكننا ان نعرف ان هذه الحقيقة موحاة .. واين توجد فـي الكتـاب المقــدس ؟

ـ انها موجودة فيه ، ولكن ينبغي ان نفهم النصوص بكل ابعادهـــا ومراميهـــا .

ـ ولكن الا يمكن ان يكون الاستلهام الفلاني مـن النصوص تفسـيرا شخصيا مـن قبل هــذا او ذاك ؟

وهنا ندخل في معنى الكنيسة الشامل ، الكنيســـة عروس الروح القدس . فالكنيســـة ولدت يوم حلول الروح القدس على الرســل (يوم الخمسين) . في تلك اللحظة تحقق قول يســوع القائـل : « الروح القدس .. يعلمكم كل شيء ، ويذكركم جميع ما قلت لكم » (يوحنا ١٤:٢٦) ان يسوع لم يترك شخصيا اي اثر له . فكل ما نعرفه عنه ، هو ما تذكره الرسل ، بالهام من الروح القدس . فقد بداوا يكرزون ويكتبون . فكرازتهم تلك وكتاباتهم تعبر عن ايمان الكنيسة ، عن ايمان الرسل اولا ، الرســل الذين آمنوا بما راوا . ثم عن ايمان التلاميذ ايضا . ان الانجيليين مرقس ولوقا ليسا من الرسل الاثني عشر . لكنهما كتبا بالهام من الروح عينه .

والروح القدس الذي قاد الكنيسة منذ يوم الخمسين ، يقودها اليوم ايضا . وكما الهم الانجيليين لكتابة تعليم يسوع ، الهم المسيحيين على مدى القرون ، ليفهموا هذا النص المكتوب . فلا فرق بين الكتابة وفهمها . لان هاتين الفعاليتين يفعلهما الروح القدس عينه . فالوحي اذن ليس ميتا . لذلك تستطيع الكنيسة بالتفكير والصلاة ، في نور الروح القدس ، ان تفهم المعنى الذي لا يبدو لها لاول وهلة .

ان الحبل بلا دنس مثل لفهم عميق مستقى من الكتب المقدسة . فالمسيحيون على مر العصور ادركوا ان العذراء مريم الطاهرة ، الممتلئة نعمة ، كانت كذلك منذ اول لحظة من وجودها على الارض . وهذه الحقيقة لم تكن تفسيرا شخصيا ، لان الكنيسة برمتها كانت متيقنة منها . فالروح القدس جعلها تفهم المعنى الحقيقي لعبارة « ممتلئة نعمة » .

٢ ـ نعمة وخطيئة :

تقول الرسالة الى العبرانيين عن المسيح : « كان لا بد له ان يكون في كل شيء شبيها باخوته ، لكي يكون في ما هو من عبادة الله ، حبرا رحيما امينا ليكفر خطايا الشعب » (عبر ٢ : ١٧) . « فان الحبر الذي لنا ليس عاجزا عن الرثاء لاسقامنا ، بل هو مجرب في كل شيء على مثالنا ، ما خلا الخطيئة » (عبر ٤ : ١٥) . وتضيف الرسالة قائلة : « فلتدنو اذن في ثقة الى عرش النعمة ، لننال رحمة ونجد نعمة ، للاغاثة في حينها » (عبر ٤ : ١٦) .

المسيح بصيرورته بشرا مثلنا اختار امه مريم . وبقوة الفداء العظيمة صانها من الخطيئة الاصلية . وكما نقول عن يسوع ، يمكننا ان نقول عنها حرفيا بانها شبيهة بنا في كل شيء ، ما خلا الخطيئة . فقد ظلت امينة مع النعمة الاولى رغم كل التجارب التي مرت بها .

عندما اعتمدنا ، حررنا يسوع من الخطيئة الاصلية . في تلك اللحظة كنا ممتلئين نعمة . ولكننا في ضعفنا البشري نسقط في التجارب . فالى من نلتجىء لنجد عونا لنا وتفهما ؟ الى يسوع ، ومريم ، فهي بجانبنا ، وتشفق على ضعفنا ، لانها شبيهة بنا ، واجتازت التجارب مثلنا . لكنها شبيهة بيسوع ايضا . لذلك انتصرت بنعمتها على كل تجربة . وهي تريد ان توزع هذه النعمة المنتصرة ، وتعطيها لكل الذين يلتجئون اليها . وبهذا الشأن يمكننا ان نقول عن مريم ما قاله العهد الجديد عن يسوع : « فلنتقدم اذن في ثقة الى عرش النعمة ، لننال رحمة ونجد نعمة ، للاغاثة في حينها » .

قراءة :

عبرانيين ١ : ١-١٣ و ٢ : ١٦-١٨

متى ١ : ١-١٧ ولوقا ١ : ٤٦-٥٥

ملاحظة : من اراد للتعليم المسيحي درسا اسهل من هذا فليراجع الفصل المعنون « عذراء لورد » .

١٧ ـ البشـارة

العيد : بداية سابوع البشـارة .

دير البشارة ، الراهبات الدومنيكيات للقديسة كاترينا السيانية ، في بغداد ـ كنيسة الكلدان في البصرة ـ حي الطويلة ـ

لوقا ١ : ٢٦ـ٣٨

« وفي الشهر السادس ارسل الملاك جبرائيل ، من قبل الله ، الى مدينة في الجليل تسمى الناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود ، واسم العذراء مريم . فلما دخل الملاك اليها قال لها : السلام عليك يا ممتلئة نعمة ، الرب معك . فاضطربت مريم لهذا الكلام ، وجعلت تفكر ما عسى ان يكون هذا السلام . فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم ، فلقد نلت حظوة عند الله . وها انت تحبلين ، وتلدين ابنـا ، وتسمينه يسوع . انه يكون عظيما ، وابن العلي يدعى . وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيه . ويملك على بيت يعقوب الى الدهر ، ولن يكون لملكه انقضاء . فقالت مريم للملاك : كيف يكون ذلك ، وانا لا اعرف رجلا ؟ فاجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يأتي عليك ، وقدرة العلي تظللك ، ومن اجل ذلك ، فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله . وهـا ان اليصابات نسيبتك قد حبلت هي ايضا بابن في شيخوختها . وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقرا . اذ ليس من امر يستحيل على الله . فقالت مريم : انا امة الرب ، فليكن لي بحسب قولك ، وانصرف الملاك من عندهـا » .

١ ـ العيـــد الليتورجي :

مما ان البشارة لمريم مذكورة في الانجيل . فقد كانت معروفـة في الكنيسة الناشئة . وهي مصورة في دياميس برسقلة في روما ، في نهايـة القرن الثاني او بداية الثالث . والقديسة هيلانة (٢٥٥ــ٣٣٠) شـيدت كنيسة على اسم البشارة . مما قد يدل على ان الشعب المسيحي كان يحتفل بتذكار البشارة في ذلك الوقت . ومع ذلك ، فالراي الذي طرحه البابـا بنديكتوس الرابع عشر والقائل بأن اصل هذا العيد وضعه الرسل انفسهم يفتقر الى اسناد تاريخي . لان اول اشارة صريحة الى وجود احتفـال ليتورجي تعود الى منتصف القرن السادس ، حيث وردت في موعظـة القاها شخص يدعى ابراهيم اسقف افسس . ولنا كتاب ليتورجي مؤرخ في القرن السابع ، يعين لهذا العيد اليوم ٢٥ من شهر آذار .

في كنيسة المشرق « ترتيلة للبشارة » الفها مار افرام ، وتصـويرة لطيفة للبشارة في كتاب الاناجيل الذي رتبه ربولا ، الا انها لا تشـير الى وجود ليتورجيا خاصة بالعيد . فبشارة العذراء كانت عالقـة باذهـان المؤمنين عموما . وعيد البشارة لدى الكلدان مستحدث ، يتضمن صلوات وضعها البطريرك يوسف اودو ، وعين له يوم ٢٥ آذار متبعا بذلك العادة الجارية في الطقس اللاتيني .

ان اختيار يوم ٢٥ آذار كتأريخ لهذا العيد غريب جدا . فهناك تقليد قديم مستند الى بعض آباء الكنيسة . مثل ترتليانوس ومار اوغسطينوس، مفاده ان المسيح مات يوم ٢٥ آذار . وباسلوب رمزي وضع نفس التاريخ للحبل بالمسيح . والمراد بذلك ان المسيح دخل الى هذا العالم وخرج منه في نفس اليوم . والبعض وسعوا نطاق الرمز الى حد بعيد ، فوضعـوا الخلقة وسقطة آدم في ٢٥ اذار ، لكي يستعيضوا عن الثنائـي القديم : الخلقة ــ الخطيئة ، بالثنائي الجديد : الخلقة ــ الفداء . وانطلاقا من الحبل يوم ٢٥ آذار ، وضع عيد الميلاد يوم ٢٥ كانون الاول ، اي بعد تسـعة اشهر . هذه كلها محض اراء طرحها بعض العلماء الكنسيين . ويبقى مـن

الصعب علينا ان نجلو تأثير الليتورجيات القديمة . فمنذ القرن الخامس كان يجري الاحتفال بعيد الميلاد يوم ٢٥ كانون الاول ، في روما واورشليم .

وعلى كل حال ، ان يوم ٢٥ اذار تأريخ غير موفق لعيد البشارة ، لانه يقع في الصوم الكبير . وفي القرن السادس والسابع كانت القاعدة المتبعة تقضي بالا يجري الاحتفال باي عيد خلال الصوم . ولهذا السبب كان عيد البشارة يؤجل في اسبانيا وابرشية ميلانو الى سابوع البشارة . وهـــذه المسألة بحثها المجمع المعقود في القسطنطينية سنة ٦٩١ ، وقرر استثناء عيد البشارة من قاعدة الصوم . في عهد البابا سرجيوس الاول (٦٨٧ — ٧٠١) إحتفلت روما احتفالا شعبيا بعيد البشارة ، مع تطواف في الشوارع يوم ٢٥ اذار . وكان ذلك العيد استثنائيا في زمن الصوم ، حتى اعطـــى للقداس اسم خاص هو « قـــداس مذهب » .

حاليا ، حول الطقس الكلداني عيد البشـــارة من جديد الى الاحـــد الثاني من سابوع البشارة ، وهو الوقت المناسب اكثر لهذا العيد ، وبهذا القرار يتفق الكلدان مع السريان الذين لم يتخذوا ابدا يوم ٢٥ أذار للعيد .

ان صلاة « ملاك الرب » تعطي للبشارة مكانة خاصة في الاوســـاط الشعبية . فهذه الممارسة الدينية ظهرت في بداية القرون الوسطى . اذ نقرا في مخطوط مكتوب حوالي سنة ١٠٠٠ ان الرهبان في ديـــر المانـــي ، كانوا يقرعون الناقوس مساء لتلاوة صلاة ثلاثية . وفي القرن الثالث عشر كانت هذه الصلاة منتشرة بين شعوب اوربا الغربية . وكانت تقرع لهـــا النواقيس الكبيرة في الكنائس ، او نواقيس ابراج المدينـــة ، لكي ينتبه اليها جميع الشعب . في الواقع ان دقة الناقوس هذه كانت لغاية اخرى وهي اعلان نهاية النهار . لكن الناس كانوا قد تعودوا على تلاوة صـــلاة للعذراء في هذا الوقت من المســـاء .

اما تلاوة الصلاة مساءا ثم صباحا وظهرا ، فيبدو انها عادة جرت في القرن السابع عشر ، كما تفيدنا كتب الصلاة المؤلفة في تلك الحقبـــة . والغاية منها هي تقديس النهار كله ، من الصباح وحتى المساء ، بالتامل في

اسرار تجسد المسيح والامه وقيامته . (يرد نص « ملاك الرب » في نهاية هـــذا الكتـــاب) .

٢ ـ معنى العيد : علامة الفداء .

في سر تجسد ابن الله ، لا يمكن الفصل بين البشارة والميلاد . لكـن لكل واحد من المشهدين سمات خاصة . فاذا كان الميلاد عيد الله الـذى صار بشرا : « والكلمة صار جسدا » ، فالبشارة تحتفل بالرضى البشري : « انا أمة الرب ، فليكن لي حسب قولك » .

ا علامة خلاص ، مرفوضة مسبقا :

يذكر النبي اشعيا (٧ : ١٠ـ١٤)نبأ بالخلاص ، لا يلقى اذنا صاغية من قبل الناس . . « عاد الرب فكلم احاز قائلا : سل لنفسك آية من عند الرب الهك . سلها اما فى العمق واما في العلاء من فوق . فقال احاز لا اسأل ولا اجرب الرب . قـــال : اسمعوا يا بيت داود اقليل عندكم ان تسئموا الناس حتى تسئموا الهي ايضا . فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية : ها ان العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » .

فى سنة ٧٣٢ كانت سلالة داود مهددة بالطرد من العرش . فحاول الملك احاز تفادي الخطر بأفعال سحرية وحيل سياسية . لكن النبي اشعيا يعيد الى مسمع الملك بأن الايمان وحده ينقذه . « وانتم ان لم تؤمنوا فلن تثبتوا ! » (٧:٩) . والنبي لكي يساعد الملك المتردد ، اقترح عليه ان يطلب آية ما ، في السماء او فى الارض . والله سيلبي هذا الطلب ، اثباتـا لامانته وقدرته . والملك بصفته الرئيس الشرعي للشعب ، ينبغي لـه ان يعطي المثال على الثقة بالله . لكنه فضل السند البشري ، معتقدا ان قوة العساكر تسنده اكثر من العون الالهي ، فرفض ان يطلب آية .

لكن الله لا يستسلم لهذا الموقف السلبي الذي يقفه البشر . وارادته فى انقاذ شعبه لا تنثني . فالله من جهته يعطي آية للملك غير المؤمن « ها ان العذراء تحبل وتلد ابنا » . وبعد اجيال طويلة جدا سيقترح الله على البشر

العلامة نفسها . فهل يا ترى سيبقى الناس معتمدين على قواهم الخاصة لتحقيق خلاصهم ، ام انهم سيضعون ثقتهم بالله ؟

ب ـ مريم تقبل العلامة الالهية :

ان الشخص الذي ارسله الله هذه المرة هو الملاك جبرائيل . فهو يعرض على مريم علامة الحبل البتولي ، ومريم تدرك ان الامكانية البشرية لا تستوعب اطلاقا محتوى هذه العلامة . فقالت : « كيف يكون هذا ، وانا لا اعرف رجلا ؟ » (لوقا ١ : ٣٤) . اجل : يجيبها الملاك ، ان هذا يكون بقدرة الله . فهل انت واثقة بالله ؟ . ومريم تقبل ، وتعطي الله الايمان الذي رفضه آحاز ، ويسوع سيولد : « الله معنا » حاملا الى العالم بركة لا نهاية لها .

ج ـ ايماننا نحن :

الانسان المعاصر يجد نفسه ازاء الاختيار عينه : فاما أن يخلص نفسه بقواه الخاصة ، واما ان يبحث عن خلاصه في الله .

ومن يريد الخلاص بقواه الذاتية لا يرغب الا في سعادة بشرية لا غير . فليس بحاجة لا الى الله ولا الى السماء ، وهو ينوي بقواه الذاتية ان يتغلب على الشر في الارض ، ويصبح سيد الدنيا . هذه طموحات تبدو له « واقعية » اكثر من خلاص الهي يلجأ الى موقف روحي .

كثير من المسيحيين يتذبذبون مثل آحاز ، والشعور الديني يسجل هبوطا ملحوظا في بلدان مسيحية اصلا . هذا الهبوط نلاحظه في تناقص الدعوات الكنسية ، بين الرجال والنساء ، وفي نقصان الممارسات الدينية (كالمشاركة في قداس يوم الاحد مثلا) ، وفي ميوعة القيم الاخلاقية (طلاق ، اجهاض متعمد ..) .

ازاء تذبذب المسيحيين هذا ، ينتصب عيد البشارة كرسالة من الله : « ها ان العذراء تحبل وتلد ابنا » . فهذه العذراء الام هي علامة خلاص وعد به الله .

كما ان التلفزيون والراديو والجرائد والمجلات والرقص والسينما والملاهي وغيرها ، تنشر هي الاخرى رسالتها في جو من الانوار والالحان ، ولكنها هل تساوي قيمة وعد الهي ؟

قد لا تنطفىء الانوار المصطنعة بعد ، وصوت النواقيس يضيع في ضجة صاخبة تولدها اصوات العالم . لكن العذراء الحنونة ، ما زالت حاضرة ، لجميع الذين يدخلون بعد الى كنيسة ، او يستجمعون افكارهم قبل ان يغمضوا العيون لرقاد الليل ، وهم يرددون : السلام عليك يا مريم، انني اقبل ، انني اؤمن بالله .

قراءة :

اشعيا ٧ : ١٠-١٤

عبرانيين ١٠ : ٤-١٠

لوقا ١ : ٢٦-٣٨

١٨ ـ زيارة العذراء

العيد في سابوع البشارة ـ او في ٢١ حزيران ـ

لوقا ١ : ٣٩ ـ ٥٦

« وفي تلك الايام قامت مريم وانطلقت مسرعة الى الجبل ، الى مدينة في يهوذا ، ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات . فلما سمعت اليصابات سلام مريم ، ارتكض الجنين في بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس ، فصاحت بصوت عظيم وقالت : مباركة انت في النساء ، ومباركة ثمرة بطنك ، من اين لي هذا ، ان تأتي أم ربي الي ؟ فانه عندما بلغ سلامك الى اذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني ، فطوبى للتي آمنت بأنه سيتم ما قيل لها من قبل الرب » فقالت مريم : تعظم نفسي الرب ، ويبتهج روحي بالله مخلصي ، لانه نظر الى تواضع أمته ، فها منذ الان تغبطني جميع الاجيال ، لان القدير صنع بي عظائم ، فان اسمه قدوس ، ورحمته الى جيل وجيل للذين يتقونه ، بسط قدرة ذراعه ، فشتت ذوي القلوب المتغطرسة بافكارها ، حط الاعزاء عن عروشهم ورفع المتواضعين ، غمر الجياع بالخيرات ، وارسل الاغنياء فارغي الايدي ، عضد اسرائيل فتاه ذاكرا رحمته ، على ما وعد به آبانا ، لابراهيم ونسله الى الابد . ومكثت مريم عندها نحو ثلاثة اشهر ، ثم عادت الى بيتها » .

١ ـ زورينا ايتها العذراء مريم :

ان زيارة مريم لاليصابات نجدها في الليتورجيا منذ القرن السادس ، اقله بقراءة هذا النص الانجيلي في فترة البشارة . والطقس السرياني احتفظ باحتفال يدعى « احد الزيارة » الذي فيه يبدأ سابوع البشارة . كما ان اول صورة تمثل زيارة مريم لاليصابات ، تعود هي ايضا الى القرن السادس .

وهي محفورة في العاج ، ومثبتة في عرش اسقف رافينا ، لتلك الحقبة . فالمشهد معروف لدى المسيحيين منذ وقت طويل ، ولكنه لايدل على وجود عيد في ذلك الحين .

وفي القرن الرابع عشر ارتفعت اصوات فجأة تطالب باقامة عيد رسمي للزيارة . فما هي الاسباب التي جعلت الناس في العصر الوسيط المتأخر يعطون أهمية اكثر للحادث الذي جرى في بلدة عين كارم ؟

في هذه المسألة اعتباران :

أ ـ لقد عين البابا اوربانوس السادس يوم ٢ تموز تاريخا للعيد . ولعله اختار ذلك اليوم لان عيد البشارة كان يصادف يوم ٢٥ آذار ، فاذا اضفنا « ثلاثة اشهر » الى ثمانية ايام لولادة يوحنا المعمدان نصل الى يوم ٢ تموز .

والبعض قالوا ان لهذا التاريخ صلة بعيد مريمي ، كانت الكنيسة البيزنطية تحتفل به يوم ٢ تموز وتسميه « عيد وضع الثوب » . وهو مستلهم من رؤيا جرت لقديس يوناني يدعى اندراوس (+ ٩٥٠) بينما كان ذات يوم يصلي في كنيسة من كنائس القسطنطينية ، حيث كان رداء ام الله محفوظا في خزانة ثمينة . وكانت الكنيسة غاصة بالمصلين فرأى القديس اندراوس العذراء مقبلة من مدخل الكنيسة الى المذبح ، محاطة بموكب كبير . والى جانبيها يوحنا المعمدان ويوحنا بن زبدى ، وعدد غفير من القديسين يسيرون من الامام او من الوراء وهم يرتلون الاناشيد . ركعت العذراء واخذت تصلي لمدة ساعات طويلة ، وهي تذرف الدموع . ثم تقدمت من المذبح ، مصلية من اجل الشعب الحاضر .بعد الصلاة رفعت عن راسها ازارها المشع بالانوار ، وبسطته فوق الشعب ، تعبيرا عن حمايتها وبركتها له .

ان هذه الرؤيا ليس لها علاقة مباشرة مع اللقاء الذي جرى بين مريم واليصابات . ولعل حضور رداء مريم هو الذي اتاح للقديس

اندراوس هذا الانخطاف الروحي . وعلى كل حال فالمشهد يدل بكل وضوح على « زيارة » ، حيث اتت مريم من خارج الكنيسة ، وانضمت الى المسيحيين المصلين ، وغطتهم بأزارها . وهذه حركة تختص بها الام . فالامهات يقمن بهذه الحركة عفويا مع اطفالهن . والاطفال يشعرون بالامان عندما تغطيهم الام . وكذلك عيد الزيارة البيزنطي يوحي بالدفء والامان ، لان مريم أم الله تزور اولادها على الارض .

ب ـ في هذه المسألة اعتبار آخر لايمكن التغاضي عنه وهو : حيثما تم تعيين العيد كان الانشقاق يمزق الكنيسة الغربية . في ذلك الوقت كان للكنيسة بابوان ، احدهما فى روما والاخر في افينيون (فرنسا) وكل واحد منهما يعتقد انه هو البابا الشرعي . والسبب الذي جعل البابا الروماني اوربانوس السادس يؤيد أقامة العيد الجديد هو لانه اراد ان تقام الصلاة من اجل وحدة الكنيسة ، بالتوسل الى العذراء لتزور الارض من جديد وتطفىء الانشقاق المسيء جدا الى الايمان المسيحي .

وهذا الاعتبار ايضا لا يمت الا بصلة ضعيفة الى المشهد الانجيلي . فالمقصود منه فقط هو فكرة « الزيارة » . وحال الكنيسة يقول في ذلك الحين :

يا أم المخلص ، هلمي زوري الكنيسة الواقعة في مازق ، انقذيها من الانشقاق . انه حقا لصراخ مستميت !

٢ ـ تاسيس العيد الليتورجي :

ينبغي ان نبحث عن اصل هذا العيد في مدينة براغ ، لان مطران براغ ، يوحنا يينشتاين (١٣٤٨ ـ ١٤٠٠) دافع عنه بقوة .

ا ـ يوحنا يينشتاين وعيد الزيارة :

منذ صغر سنه كان يوحنا يينشتاين يفكر بزيارة مريم لاليصابات ، وينظر بحب الى صورة لهذا المشهد الذي يضع فى قلبه فرحا كبيرا . وفي سابوع البشارة ، ولدى قراءة هذا المقطع من الانجيل ، كان يستغرب قائلا في نفسه لماذا لا يعين عيد خاص بهذا الحدث الجميل . ولما صار

اسقفا لابرشية مايسن ، طلب ان يوضع شباك مزين في دار الاسقفيـة ، يمثل الزيارة . في يوم ٢٠ ايلول سنة ١٣٧٨ اعلن الكرادلة ان انتخـاب اوربانوس السادس كان غير شرعي ، واختاروا بابا آخر ، اتخـذ اسـم كليمنضوس السابع . في بداية تشرين الاول كان يوحنا ينشتايـن في براغ ، ولـم يبلـغ اليه خبر الانشـقاق . لكن الوضع كان يتفاقم سوءا بين البابا والكرادلة . في ليلة ١٤ على ١٥ تشرين الاول رأى يوحنا حلما شاهد فيه الشيطان مرتديا حلة الاساقفة ، وماسكا بيديه مفاتيح المسيح . ثم اعطى المفاتيح لرجل كان لابسا ثياب البابا . وفي نفس الوقـت رأى الاسقف ، عن بعد ، مريم العذراء مع الطفل يسوع ، وكأنهما في حالـة اهمال ونسيان . فسر الاسقف هذه الرؤيا لاصدقائه بانها اشارة الـى الانشقاق . وبعد عشرة ايام بلغه خبر انتخاب البابا الخصم .

بعد ذلك وصل الى براغ خبر اخر وهو ان اوربانوس السادس الذي كان قد رقى رئيس اساقفة براغ الى رتبة الكردينالية ، استدعاه اليه ، وعين يوحنا ينشتاين مكانه على كرسي رئاسة اسقفية براغ .

والاسقف الجديد وضع كل ثقله في خدمـة اوربانوس السادس ، وبهذا فسح المجال ليكون له اعداء كثيرون ، لان البابا الخصم كان لـه مؤيدون في بوهيميا . بعد سنة من النشاط المركز على الحد من كـوارث الانشقاق ، اصيب الاسقف بمرض ثقيل . وبعد شفائه منه ، استعفـى عن نشاطات خارجية كثيرة ، وصب جهده في حياته الروحية . فكـان التعبد للعذراء مريم يشغل مكانا واسعا في حياته الخاصـة ، وفي ادارة الابرشية ايضا . فقد شجع العبادات الشعبية لمريم . وهـكذا انقشعت الظلال شيئا فشيئا عن الصورة المختفية خلف الرؤيا التي رآها الاسقف ، فانتصرت مريم ويسوع على الشيطان .

والفكرة تجسمت فى ذهن الاسقف فاراد ان يقيم في ابرشيته عيـدا لزيارة العذراء لاليصابات ، لكي تاتي ام الله وتغلب الشيطان مثير الانشقاق فى الكنيسة . لذلك شكل مجلسا ابرشيا لدراسة الموضوع .

في آذار سنة ١٣٨٦ سار قدماً في تنفيذ قراره بتعيين عيد الزيارة ، وذلك على اثر رؤيا جديدة ، لم تصلنا تفاصيلها ، ولكن يقال ان امرأة فقيرة ، ومعروفة هي الاخرى بالرؤىء التي كانت تجري لها ، ارسلت الى الاسقف طالبة ان لايتراجع عن قراره ، بل ان يحقق فكرته بتأسيس العيد .

لم يرد شيء في اعمال مجلس الابرشية عن هذه التدخلات الفائقة الطبيعة . ونلاحظ فيها التشديد على ان اقامة العيد الجديد يؤيدها الكتاب المقدس واللاهوت والحق القانوني . في ١٦ حزيران أعلن القرار الابرشي .

ب ـ العيد ، مطلب للكنيسة جمعاء :

اقتدى أساقفة آخرون بأسقف براغ ، فادخلوا العيد الى ابرشياتهم لكن العيد الجديد كان له معارضون ، بدعوى ان الاسقف لا يحق له ادخال امور جديدة الى الكنيسة فهذا الحق يتوقف على البابا وحده . وقد دحض مجلس الابرشية هذا الاعتراض مسبقا . لكن يوحنا ينشتاين اراد مع ذلك ان يكتب للبابا اوربانوس السادس ، اولا لكي يدافع عن صوابية العيد ، ثم ليطلب منه ان يعممه على الكنيسة جمعاء .

والاسقف في رسالته الى البابا شدد على قول العذراء القائل : « تعطيني الطوبى جميع الاجيال » . فنشيد العذراء هذا يشكل كله جزءا من مشهد الزيارة . فتمجيد مريم ينبغي ان يجري في ذكر المشهد الذي فيه تتنبأ قائلة ان الاجيال ستعطيها الطوبى . وفي نفس الوقت الح الاسقف على ان هذا العيد مناسبة للصلاة من اجل وحدة الكنيسة .

سر البابا كثيرا بهذا السبب الاخير . لكن مبعوث أسقف براغ ، الذي حملَ الرسالة ، لم يعد بنتائج ملموسة . فالبابا طلب مهلة للتفكير . وفي روما على كل حال ما كانت الفكرة تلقى معارضة كبيرة ، لان البابا اوربانوس السادس أسس عيد الزيارة بصورة رسمية وحضور الكرادلة يوم ٨ نيسان ١٣٨٩ . وفي خطابه بالحاضرين شدد البابا على الصلاة من

اجل وحدة الكنيسة . ولكي يعطي صبغة احتفالية اكثر لتأسيس العيد ، قرر ان تجري في روما احتفالات دينية لمدة ثلاثة ايام ، وكان يحضر شخصيا في ساعات الصلوات الفرضية المقامة فى كنيسة مريم الكبرى . وفى يوم العيد اقام القداس الحبري « حسب نظام براغ » .

بعد هذا كله ، تأخرت الموافقة البابوية الرسمية عن الصدور . هل لان اعضاء مجلس البابا كانوا مشغولين جدا بالاعداد للسنة اليوبيلية ١٣٩٠ ؟ ام كان هناك لاهوتيون ارادوا مقاومة تأسيس العيد الى اللحظة الاخيرة ؟

في الواقع ان رسالة البابا لم تنشر واوربانوس السادس توفي يوم ١٥ تشرين الاول سنة ١٣٨٩ . فاقتضى القيام بمفاوضات جديدة مع البابا الجديد بونيفاسيوس التاسع .

اسرع اسقف براغ بالتوجه الى المنتخب الجديد . فسافر الى روما بمناسبة السنة اليوبيلية وللسلام على بونيفاسيوس التاسع ، الذي رحب به وابدى تأييده لفكرة عيد الزيارة .

في نهاية السنة اليوبيلية ١٣٩٠ صدرت الرسالة البابوية بجعل العيد الزاميا للكنيسة الغربية . ومنذ ذلك الحين اخذت الرهبنات تحتفل بالعيد وتدعو اليه ، فأضحى مهما لدى المسيحيين .

لكن اعتراضا قويا ظل قائما ، ولابد من دحضه ، الا وهو أن العيد صادق عليه واعلنه البابا بونيفاسيوس التاسع . في حين ان نصف الشعوب الاوربية تقريبا كانوا يتبعون البابا الاخر ، ويرفضون اقامة العيد بشكل عام ، وذلك دعما لموقفهم المعارض لبابا روما . في سنة ١٤٤١ وضع مجمع بازل حدا لهذه الحالة بمصادقته على رسالة بونيفاسيوس التاسع .

٣ ــ مضمون العيد :

ا ــ المشهد الانجيلي :

يقول الاسقف بينشتاين في احدى كتاباته بشأن الزيارة : ان معنى العيد ليس سوى معنى زيارة مريم لانيصابات . والحديث الذي جرى

بينهما لا يحتاج الى بيان ، فمن اراد البحث عن معنى العيد خارج هذا المشهد يترك اللب ويتمسك بالقشور .

والمشهد الانجيلي يتضمن ثلاث اعتبارات :

ـ المسيح يأتي بالفداء :

في هذا المشهد ، وفي كل المشاهد الاخرى التي تظهر فيها مريم ، نجد ان الانظار مركزة على المسيح . فمريم تحييها اليصابات بصفتها « أم الرب » ثم تقول لها : « طوبى للتي آمنت انه سيتم ما قيل لها من قبل الرب » . كما ان النعم الممنوحة ليوحنا المعمذان وهو طفل ، منحها له الرب ، الذي يبدأ عمله الفادي بفداء سابقه .

وتشيد مريم ، يعظم الرب ، الذي اتى اخيرا يزور شعبه ليملأه من الخيرات . ومريم هي اول من يستفيد منها . يا للمقارنة الرائعة بين نفس العذراء « التي تبتهج بالله مخلصها » ونفس يوحنا النبي « ترتكض من الفرح ، حالما وقع سلام مريم في أذني اليصابات » . ان فرحهما صادر من منبع واحد ، فالزيارة في الواقع هو يسوع الذي يقوم بها ، وان كانت امه هي الزائرة في الظاهر .

ـ الدافع من الروح القدس :

يبدو انجيل الطفولة ، لدى القديس لوقا ، مغمورا بنور الروح القدس . ولكي نقتصر الكلام عن الزيارة فقط ، نرى ان الملاك جبرائيل انبأ زكريا قائلا : بان ابنه « يمتلىء من الروح القدس وهو بعد في بطن امه (١ : ١٥) . والروح القدس ، اعني قوة العلي ، تظلل مريم فتحبل (١ : ٣٥) . وهكذا اصبحت أم يسوع ، فذهبت الى عين كارم تزور اليصابات ، التي هي الاخرى امتلأت من الروح القدس .(١ : ٤١) .

فالروح حاضر في بداية عمل الفداء .. ولا يبتعد عنه مطلقا . انه يدفع يسوع الى تكميل عمله (٤ : ١٤) وبقوته يصنع يسوع عجائبه . (١١ : ٢٠ وانظر ايضا متى ١٢ : ٢٨) . واخيرا بعد القيامة ، يعد يسوع بارساله الى كنيسته (٢٤ : ٤٩) .

ان عمل النعمة يكمل في الروح القدس ، الذي حل على الكنيسة في يوم الخمسين . وبعدما قبله الرسل المتضعضعون « امتلأوا من الفرح » وبهم زار يسوع بلدان العالم كلها .

ـ الفداء يختفي تحت المحبة الفعلية :

ان هتاف اليصابات القائل : « كيف يكون لي هذا ان تأتي أم ربي الي » قد تردد من جيل الى جيل . فالناس ما برحوا يندهشون لهذا العمل البسيط من التواضع العميق ، أم الله بالذات لم تأخذ امتيازات لنفسها . لا بل صارت خادمة للرب ، لتكون خادمة للناس ، على مثال المسيح الذي ما جاء ليخدم ، بل ليخدم (متى ٢٠ : ٢٨) .

ومنذ زيارة مريم لاليصابات لم تتبدل خطة الفداء ، فلكي نحمل نعم الله الى الناس ، لسنا بحاجة الى مواعظ طنانة ، ولا الى انخطافات روحية ، ولا الى افعال تجرد بطولية ، بل تكفي زيارة ، او عمل آخر بدافع المحبة ، كمراعاة شعور الغير مثلا . ان الممتلىء من النعمة يوصل هذه النعمة الى الغير بواسطة خدمة صغيرة يؤديها لهم .

ب ـ معايشة زيارة مريم :

لاشك ان الهدف المباشر لهذا العيد هو ان نفهم القيمة الدينية لهذا المشهد الانجيلي ، وان نحاول تطبيقها عمليا . لكننا نرغب من صميم القلب باكثر من ذلك ، اذ اننا نتمنى ان تأتي مريم الى زيارتنا ، كما ذهبت لزيارة اليصابات . ولنا كل الحق في هذه الرغبة . وقد اعطت مريم براهين عديدة على حضورها الحقيقي لدى المؤمنين . فالصلوات التي يرفعها المسيحيون اليها ليست عبثا . وبهذا المعنى يعطي « عيد وضع الثوب » شهادة صادقة للتقوى الشعبية .

وماذا نقول عن الصلوات التي اقيمت لانهاء انشقاق الكنيسة ! فهذا الانشقاق الذي وقع في القرون الوسطى دخل في طي النسيان منذ زمان بعيد . لكن الانشقاق الكبير بين الكاثوليك والارثذوكس مازال قائما بلا حل . لا بل ان مواقف سلبية تقع بين الكاثوليك انفسهم ، وغالبا ما

تعيقهم عن التفاهم المتبادل . فالصلاة الى العذراء لكي تأتي وتساعدنا على التفاهم ضرورية جدا الآن كما كانت في العصور الوسطى . والعذراء لاتترك مجالا للانخداع .

نختم موضوعنا بقصة ما زالت تحكى عن القديس اندراوس اليوناني ، والقصة على بساطتها تعبر عن ثقة المؤمنين الكبيرة .

القديس اندراوس راى نفسه داخلا الى السماوات حتى وصل الى الفردوس . وهناك رأى اشياء عجيبة ، وظل يرتفع شيئا فشيئا حتى بلغ الى عرش الله . بعد ذلك سأله صوت عما يرى ويحس . فاجاب انه يرى شيئا ناقصا لكنه لا يعلم ما هو . ثم استطاع ان يقول ما هو الشيء الناقص بين القديسين في الفردوس : انه لم ير ام الله ، اجاب الصوت قائلا : انه غير ممكن له ان يراها ، لانها ليست في السماء ، انها تسير على الطرقات الارضية وتتشفع للناس ساكبة عليهم حنانها الوالدي .

قراءة :

صفنيا ٣ : ١٤-١٨

رومية ١٢ : ٩-١٦

لوقا ١ : ٣٩-٥٦

١٩ ـ تهنئة العذراء

العيد : ٢٦ كانون الاول .

يبدو هذا العيد من اقدم الاعياد فى الليتورجيا الكلدانية ، وهو يتمشى مع العادات الدنيوية بتقديم التهاني للامهات الشابات ، ومن هذا الواقع يتسم بعذوبة بشرية خارقة العادة . وهو في الوقت ذاته شهادة ناصعة لما يكنه مسيحيو ما بين النهرين من حب للعذراء المحبوبة . فالشعب يهنىء مريم بكلّ بساطة لانها أم كسائر امهاتنا ، فرحها هو فرحنا ، وبركتها هي بركتنا . انها كواحدة منا ، هذا ما قاله الرعاة الفقراء ، وردده بعدهم المجوس الاغنياء . فلننضم نحن ايضا اليهم بتقديم التهاني لمريم .

لوقا ٢ : ٨ـ٢٠

« وكان في تلك البقعة رعاة يقيمون في الحقول ، ويسهرون في هجمات الليل على قطعانهم . فوقف ملاك الرب بهم ، وغمرهم مجد الرب بسناه ، فاستولى عليهم خوف عظيم . فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فها انذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . اليوم في مدينة داود ، ولد لكم مخلص هو المسيح الرب . وهذه هي العلامة لكم ، انكم تجدون طفلا ملفوفا بقمط ومضجعا في مذود ، وانضم بغتة الى الملاك جمهور من الجند السماوي ، يسبحون الله ويقولون : المجد لله في العلى ، وعلى الارض السلام ، للناس الذين بهم المسرة . ولما انصرف الملائكة عنهم الى السماء ، قال الرعاة بعضهم لبعض : لنمض الى بيت لحم ، وننظر هذا الحادث الذي اطلعنا عليه الرب ، واقبلوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف ، والطفل مضجعا في المذود . فلما شاهدوا ذلك اخبروا بما قيل لهم عن هذا الصبي . وكل الذين سمعوا اعجبوا بما قال لهم الرعاة . وأما مريم فكانت

لتحفظ هذه الاقوال كلها ، وتتامل فيها في قلبها . ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على جميع ما سمعوا وعاينوا على حسب ما قيل لهم » .

متى ٢ : ١-١٢،

« ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية ، في ايام الملك هيرودس ، اذا مجوس من المشرق قد اقبلوا الى اورشليم قائلين : اين المولود ملك اليهود ؟ فاننا راينا نجمه فى المشرق ووافينا لنسجد له . فلما سمع الملك هيرودس ، اضطرب هو وكل اورشليم معه ، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ، واستخبرهم أين يولد المسيح . فقالوا له في بيت لحم اليهودية . لانه هكذا كتب بالنبي : وانت يا بيت لحم ارض يهوذا ، نست الصغرى فى مدن يهوذا الرئيسية ، لانه منك يخرج زعيم سوف يرعى شعبي اسرائيل ، عندئذ دعا هيرودس المجوس سرا . وتحقق منهم زمان ظهور النجم ، ثم ارسلهم الى بيت لحم قائلا : اذهبوا وابحثوا عن الصبي مدققين ، واذا ما وجدتموه فاخبروني ، لكي أمضي انا ايضا واسجد له . فلما سمعوا هذا من الملك انطلقوا . واذا النجم الذي كانوا قد راوه في المشرق ، يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي . فلما راوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا . ودخلوا البيت فابصروا الصبي مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من الذهب واللبان والمر . واذ أوعز اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس ، قفلوا في طريق اخرى الى بلادهم » .

١ ـ ام كما نحلم بها :

من بين معارفنا أشخاص نفضلهم على غيرهم . لماذا ؟ لانهم منسجمون معنا اكثر ، ولهم صفات تروق لنا ونعتز بها . ان هذا التفضيل ليس مدروسا ، لكنه تعبير تلقائي عن شعور نحس به تجاه الشخص الفلاني .

ومريم هي الام التي توقظ لدى المسيحيين الشعور بالراحة والثقة والمودة . فالانسجام معها يتم تلقائيا . ذلك لانها تحقق في شخصها حلما ذا وجهين نتمناه جميعنا على حد سواء .

ا ـ نحن نريد ان يكون الله قريبا منا :

احيانا تدهشنا شدة مشاعرنا ، لدى قراءتنا حياة قديس مثلا ، يأخذنا التفكير في قمم الشهامة التي سما اليها القديسون ، ونتمنى ان نلحق بهم نحن ايضا . واحيانا اخرى نشعر في ذاتنا بهوة سحيقة من الانانية والرخاوة . أو بأننا غارقون بطياشة ، في رتابة الايام والاسابيع التي تمر تافهة خالية من معنى . كيف نستطيع اذن ان نصير قديسين ؟ كيف نسمو بالبشرية من مستوى حياتها الوضيعة ؟ يا رب ، انت الاهنا وخالقنا ، سر بنا نحن الخلائق المسكينة ، على طريق العزة والشهامة .

ب ـ ونريد ان يكون الله قريبا منا بملامح بشرية :

نحن نريد أن يحقق الله حلمنا هذا ، ان يقودنا ويساعدنا ، ولكن دون ان يرعبنا بقدرته التي لا حد لها . ودون ان يلاشي نفسنا البشرية في عظمته الالهية ، ودون ان يلزم حريتنا بالاستسلام لشريعة صارمة : نحن نريد ان نبقى بشرا كما نحن ، ونستفيد في الوقت نفسه من نعمة الحضور الالهي .

كان هذا الحلم البشري يبدو غير قابل للتحقيق . فالاباء القدامى ، والملوك والانبياء ما كانوا يجسرون على تصور اله قريب من البشر الى هذا الحد ، واذا بهذه الملكة الصغيرة تظهر فجأة ، هذه الفتاة المفضلة لدى الاب السماوي ، وتمد يديها نحونا وتضع الله بين ايدينا . فقد اتخذ صورة طفل من اطفال البشر ، نقابله باحترام فائق يفيض من قلوبنا . هل من الممكن ان يحبنا الله هذا الحب كله ! فنحن البشر ما خدعنا انفسنا حينما كنا نغذي هذا الحلم فينا لمدة اجيال طويلة . وبحفاوة بالغة واكرام لا مثيل له نعيد الطفل الى أمه قائلين : تهانينا يا مريم . البشرية برمتها تعبر عن شكرها لك وعن فرحها بك . شكرا يا مريم .

٢ ـ كل الامهات سواء ، الا واحدة :

العادة تقضي بتقديم التهاني لكلّ الامهات دون استثناء . لانهن وضعن طفلا في العالم ، ضمانا لامل المستقبل . فالامهات جميعا سواسية . انه سر البشرية التي تواصل وجودها بولادات جديدة . لكنها تدور حول نفسها ، فالولادة والموت يسيران يدا بيد . انسان يموت ، وام تعطي الحياة لطفل آخر .. ولكن ماذا يسوى هذا المولود الجديد ؟ هل ان له قيمة في ذاته ؟ اليس سوى حلقة في السلسلة البشرية ؟

أم واحدة فقط حلت هذه المسألة الحيوية ، لانها حطمت الايقاع القائم بين الولادة والموت . وهذه الام هي مريم ، التي أتت امومتها صرخة عظيمة تقول : انها الحياة الابدية ! ليس لابنها يسوع فقط ، ولكن لكل انسان يأتي الى هذا العالم .

« لما بلغ ملء الزمان ، ارسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس ، وننال التبني . والدليل على انكم ابناء ، كون الله ارسل الى قلوبنا روح ابنه ، ليصرخ : ابا ايها الاب ، فانت اذن لست بعد عبدا ، بل انت ابن ، واذا كنت ابنا فانت ايضا وارث بنعمة الله » (غلاطية ٤ : ٤ـ٧) .

وهذه الام وحيدة وليس لها مثيل ، لان ابنها غلب الموت ، الموت الجسدي وموت النفس ايضا ، الذي سببته الخطيئة . فكل شيء من الان فصاعدا صار مغفرة وقيامة . لذلك يهب الناس جميعا الى مريم لتهنئتها . تهانينا يا مريم ، فأن ابنك غاية في الجمال ، ومنقطع النظير في القيمة لنا .. وهو سيدعى عجبا ، مشيرا ، الها جبارا ، اب الدهر الآتي ، رئيس السلام . (اشعيا ٩ : ٥) شكرا لك يا مريم ، والف شكر .

٣ ـ ام الله وامنا :

لا يمكن ان يكون لنا الا ام واحدة بحسب الجسد . لكن الحياة التي نقتبلها من امنا الارضية تدخل في الدائرة المغلقة ، دائرة الولادة والموت . وهذه الحياة تضعنا في طريق مسدود . ولكي نشق لنا خروجا الى الحياة

الابدية ، لانملك الا وسيلة واحدة ، وهي ان نولد من جديد ، من أم تعطي الحياة من العـلا .

ان الاعتراض الذي قدمه نيقودمس ليسوع نفسه قد زال مسبقـا (يوحنا ٣ : ١–٢١) . فلا ينبغي لنا ان نولد ثانية من نفس الام . لان هذه الولادة الثانية ، وان كانت مستحيلة ، فهي بدون جدوى ، لانها تنتهـي بالموت ايضا ، بل ينبغي لنا ان نولد من الام التي صارت ام ابن الله ، وان يحبل بنا في حضنها بقوة الروح القدس .

لقد كتب عن يسوع انه المولود البكر . (لوقا ٢ : ٧) وهذا التعبير حظي بتعليقات عديدة . يقول احدها ان مريم أنجبت اطفـالا اخريـن بحسب الجسد . لكن واقع مريم يدحض هذا الاستنتاج المراد به ادخال هذه الام الوحيدة الى سائر الامهات . ومع مار بولس نفهم هذا التعبير فهما ادق . فالبكر ليس له علاقة مع الحياة الجسدية . اذ يقول الرسول : « لان الذي سبق فعرفهم ، سبق ايضا فحدد ان يكونوا مشابهين لصـورة ابنه ، فيكون هكذا بكراً ما بين اخوة كثيرين » (رومية ٨ : ٢٩) . وفي المقطع السابق (رومية ٨ : ١٨–٢٨) يصف الرسول كيف ان الخليقة كلها تتمخض بالولادة . لان الخليقة تريد ان تولد لحياة جديدة ، وتتحرر مـن عبودية الفساد لتدخل الى مجد ابناء الله ، وهي بالغة اليه بنعمة الـروح القـدس .

فمريم ام يسوع ، بنعمة الروح القدس ، لتصبح ايضا أم جميع الذين خلصهم المسيح . لان الحياة الابدية فاضت من حضنها . فجميع الذيـن يولدون لهذه الحياة هم ابناؤها .

هنا تبلغ تهانينا الى ذروتها ، لاننا نهنىء أمنا بالذات ، أم جميـع الناس وجميع الازمنة والبلدان . . . ولكنها الام الحنونة لكل واحد منا ، فهي امي انا . اعبر لها عن مشاعري الشخصية . في ملكوت الله نحـن جميعا ابناء الملكة ، واخوة الملك . . . وندعو الله « ابانا » . تهانينا ايتها الام الالهية ، ولك الف شكر وشكر .

قراءة :

خروج ١٥ : ١١ــ٢١

ميخا ٦ : ١ــ٥

ارميا ٣١ : ١٣ــ١٧

اعمال ١ : ١ــ١٤

رومية ١٦ : ١ــ٢٧

لوقا ١ : ٢٥ــ٥٥

لوقا ٢ : ١٥ــ٢٠ و٥٢

متى ١ : ١ــ٢٥

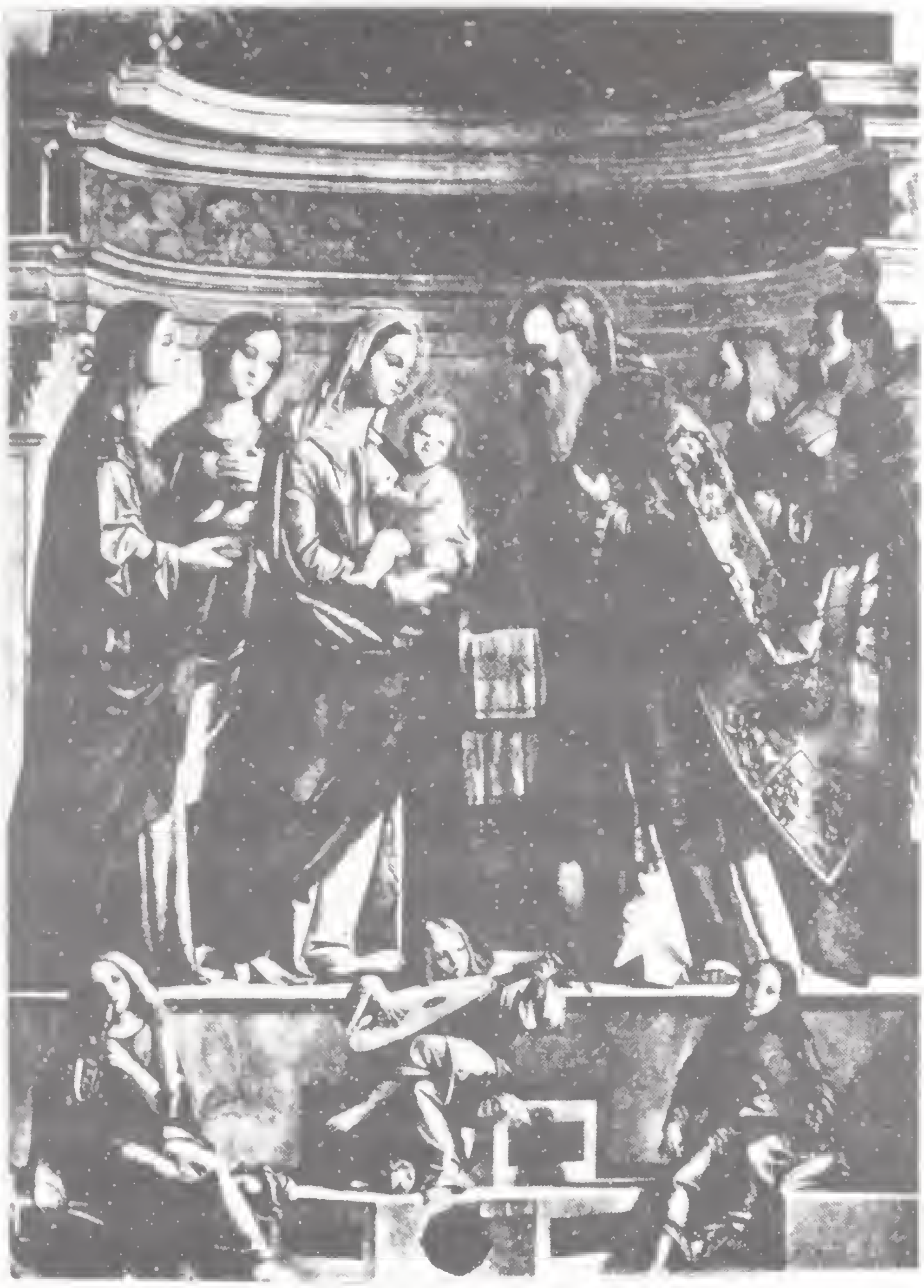

٢٠ ـ عيد التطهير

الجمعة الاولى بعد الميلاد .

لوقا ٢ : ٢٢ـ٣٩

« ولما تمت الايام لتطهيرهم ، بحسب ناموس موسى ، صعدا بـه الى اورشليم ليقدماه للرب ، على حسب ما هو مكتوب في ناموس الرب : ان كل ذكر بكر يكون مقدسا للرب . وليقربا ذبيحة على حسب ما قيل في ناموس الرب : زوجي يمام او فرخي حمام . وكان في اورشليم رجـل اسمه سمعان . وكان هذا الرجل صديقا تقيا . وكان ينتظر تعزيـة اسرائيل ، والروح القدس كان عليه . وكان الروح القدس قـد اوحى اليه انه لا يرى الموت ما لم يعاين مسيح الرب . فاقبل الى الهيكل بقوة الروح القدس ، ولما دخل بالطفل يسوع ابواه ، ليقوما بما يفرض النامـوس في شانه ، اخذه هو على ذراعيه ، وبارك الله وقال :

« الان ايها السيد تطلق سبيل عبدك ، على حسب قولك ، فيذهب في سلام . لان عيني قد شاهدتا خلاصك ، الذي اعددته امام وجـوه الشعوب كلها ، نورا يضيء للامم ، ومجدا لشعبك اسرائيل » .

وكان ابوه وامه منذهلين لما يقال فيه . وباركهما سمعان وقال لمريم امه : ها ان هذا الولد قد جعل لسقوط ونهوض كثيرين في اسرائيل وهدفا للمخالفة . وانت ايضا سيجوز سيف في نفسك ، لكي تنكشف الافكار من قلوب كثيرة . وكانت ايضا نبية ، حنة بنت فنوئيل من سبط اشير ، قد طعنت في الايام كثيرا ، وكانت قد عاشت مع رجلها سبع سنين بعد بكوريتها ، ثم ترملت ، وبلغت من العمر اربعا وثمانين سنة ، وهي لا تفارق الهيكل متعبدة لله ليلا ونهارا بالاصوام والصلوات. فاقبلت في تلك الساعة

واخذت تسبح الرب ، وتحدث عن الصبي كل من كان ينتظر فداءا لاورشليم . ولما اتموا كل ما يتعلق بناموس الرب ، رجعوا الى الجليل ، الى مدينتهم الناصرة » .

١ ـ جذور كتابية :

ينتقل بنا هذا النص من الانجيل الى شريعتين مختلفتين ينص عليهما العهد القديم ، الاولى هي فدية الولد البكر ، والثانية هي تطهير الام ، ويقتضي العمل بها بعد كل ولادة ، وليس فقط بعد ولادة البكر .والشريعة المتعلقة بالابكار مرتبطة بالخروج من مصر . في ذلك الزمان ضرب الله ابكار المصريين ، وخلص ابكار العبرانيين ، فهولاء الابكار اذن مقدسون للرب (انظر سفر العدد ٣ : ١٣ ، الخروج ١٣ : ١١ــ٢٠) .بعد ذلك اختار الله سبط لاوي بدل الابكار (عدد ٨ : ١٤ــ١٨) . وبهذا اعفي الابكار من تأدية الخدمات في الهيكل . لكنهم يبقون مكرسين لله وعلى اهاليهم ان يقدموا فدية عنهم . والكتاب المقدس لا يبين مقدار هذه الفدية في اول الامر ، لكنه ينص قائلا : « كل فاتح رحم فهو لي ... ولا تحضروا امامي فارغين » (خروج ٣٤ : ١٩ــ٢٠) . وفي سفر العدد ١٨ : ١٥ــ١٦ نجد ان القيمة محدودة وهي خمسة مثاقيل فضة .

وهناك شرائع عديدة حول النجاسة المخالفة للشريعة . نص انجيل القديس مرقس مشهور في هذا الصدد : « ولا يأكلون اذا اتوا من السوق ما لم ينتضحوا بالماء ، واشياء اخرى كثيرة كان التقليد يفرض عليهم ان يتمسكوا بها ، كغسل كؤوس وجرار وقصاع نحاس ... » والنجاسة التي تسببها الولادة كانت اثقل وقعا .. فلا يكفي لتطهيرها قليل من الماء .وهناك رتب دقيقة يذكرها سفر اللاويين في هذا الشأن (١٢ : ١ــ٨) . ان الاختصاصيين ليسوا متفقين على السبب الذي يجعل المراة الوالدة نجسة . ويبدو ان للمسألة علاقة بفقدان الدم (لاويين ١٥ : ١٩ــ٢٠) فلو نظرنا الى ان العبرانيين يعتبرون الدم مثل الحياة ذاتها ، يمكننا القول بأنهم كانوا يرون في فقدان الدم خطيئة غامضة ! بمعنى ان هذه المراة كانت في وقت ما بتماس مع سيد الحياة ، والله لم يرضى عنها لسبب ما .

ولم يكن لزاما على الابكار ليحملوا الى الهيكل من اجل فدائهم . وبأمكان الاهل تأدية واجبهم لله اينما كان . كما ان حضور الام في اورشليم لم يكن ضروريا . وبأمكانها شرعا ان تقدم ذبيحتها بالوكالة . لكن العبرانيين الاتقياء ، الذين ما كان محل سكناهم بعيدا عن المدينة المقدسة ، كانوا يلزمون انفسهم بالحضور شخصيا امام الرب . فالعائلة المقدسة التزمت كما يبدو (متى ٢ : ١١) بالبقاء في بيت لحم لمدة اربعين يوما . فالمسافة بين بيت لحم واورشليم ليست طويلة .

القديس لوقا لايذكر شيئا عن تأدية المثاقيل لخمسة ، ولا عن الحفلة الرسمية لقبول النفساء في الهيكل . ومع ذلك فقد مثل يوسف ومريم ايضا امام الكاهن ، مع الطفل الالهي ، ومن الان نرى ان الكهنة لايهمهم أمر ابن الله . والروح القدس الذي ملأ اليصابات والان جعل سمعان يتنبأ لم يستطع ان يمس قلب القادة الدينيين . انهم لايستطيعون ان يميزوا النور عن الظلام ، لانهم عميان .

لا يمكننا القول بان القديس لوقا يهتم شخصيا بالشريعة اليهودية . لكنه فى هذا النص يعيد القول خمس مرات بان كل شيء جرى حسب التشريعية (٢٢ ، ٢٣ : ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩) . ان العهد القديم يتخذ مكانة مرموقة في انجيل الطفولة لدى لوقا . وفي كل مرة يريد لوقا أن يقول بأن العهد القديم قد تم . هذا ما نلاحظه فى اناشيد الفرح الثلاثة . اولا في نشيد مريم التي تعظم الله « الذي عضد شعبه ، كما وعد لآبائنا » (لوقا ١ : ٥٤–٥٥) ، ثم نشيد زكريا (لوقا ١ : ٧٢–٧٣) الذي يستخدم رمز النور ، واخيرا سمعان الذي كان ينتظر تعزية الشعب ، ويدرك الان ان آماله قد تحققت في هذه اللحظة (لوقا ٢ : ٢٥–٣٢) . ان العهد القديم برمته مرتكز على هذا الطفل . والشعوب تسعى اليه لتشترك في بركته . والقديس بولس يوجز هذه الحقيقة قائلا : « لما بلغ ملء الزمان ، ارسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس ، وننال التبني » (غلاطية ٤ : ٤–٥) .

ونلاحظ ايضا ان كل شيء يجري في الهيكل ، مركز العبادة القديمة . زكريا كان في الهيكل يقوم بتأدية الخدمة الكهنوتية حين بشره الملاك بيوحنا المعمذان ، وسمعان الصديق التقي اتى الى الهيكل مدفوعا من الروح القدس ، ومريم تأتي الى الهيكل لتؤدي رتبة التطهير وتقدم ابنها البكر للرب .

ولوقا يلح مرة اخيرة على التقريب ما بين العهد القديم والعهد الجديد ، فيقول ان يسوع الصبي اتى الى الهيكل « ليكون في شؤون ابيه » (لوقا ٢ : ٤٩) . ذلك لان الشعب وشرائعه وهيكله ؛ هذه كلها هي شؤون الله ، ويسوع يتصرف فيها وكأنه في بيته . انه الابن البكر في هذا البيت ، وسط جميع الناس الذين سيصبحون ابناء ولدوا بعدئذ . وجميع هؤلاء الابناء سيقولون من جيل الى جيل : طوبى لتلك التي صنع القدير بها عظائم . (لوقا ١ : ٤٨-٤٩) .

٢ ــ العيد الليتورجي :

بدأ عيد التطهير اولا في اورشليم . فالمسيحيون في المدينة المقدسة كانوا يتحسسون بشكل خاص هذا المشهد الذي كان يجري في مدينتهم ، وحيث اتقياء العهد القديم استقبلوا بفرح المسيح الموعود . نجد اقدم ذكر للعيد في مذكرة سفر ، عنوانها « حج الى الاماكن المقدسة » كتبتها حاجة من جنوب فرنسا ، او اسبانيا ، اسمها ايجيريا سنة ٣٨٣/٣٨٤ . تقول ايجيريا ان العيد كان يبدأ بتطواف احتفالي ، يتجه نحو كنيسة القيامة ؛ وهناك تلقى موعظة تشرح نص القديس لوقا ، ثم يبدأ القداس الالهي . وكان الاحتفال كله يجري « في فرح عظيم ، وكأنه عيد الفصح » .

في ذلك الوقت لم يكن للعيد اسم خاص . ايجيريا تقول انه كان يدعى « اليوم الاربعين بعد الدنح » (الظهور) . وعيد الدنح كان يصادف يوم ٦ كانون الثاني . فاليوم الاربعين يصادف ١٤ شباط . يمكننا ان نستنتج من هذا ان الميلاد لم يكن بعد قد تعين في يوم ٢٥ كانون الاول . ولعل الدنح والميلاد كان يجري الاحتفال بهما في نفس اليوم . ويبدو ان هذين العيدين

قد فصلا الواحد عن الاخر بوقت قصير بعد رواية ايجيريا . لان يوفيناليس بطريرك اورشليم (٤٢٥ـ٤٥٨) امر بأن يجري الاحتفال بعيد الميلاد يوم ٢٥ كانون الاول (اليوم الذي كانت روما تعيد فيه ايضا) . فاقتضى منطقيا ان يعين لعيد تطهير مريم يوم ٢ شباط . ولكن يبدو ان ذلك لم يتحقق حالا . وفي القرن السادس ، نعلم من موعظة القاها ابراهيم اسقف افسس ان عيد التطهير كان يحتفل به يوم ٢ شباط .

وفي موعظتين اخريين وصلتا الينا ، الواحدة منسوبة الى القديس غريغوريوس النصيصي (+ ٣٩٤) والاخرى الى القديس قيرلس الاسكندري (+ ٤٤٤) ، ذكر ان العيد كان معروفا ايضا خارج فلسطين في زمان سابق . والموعظتان تحملان اسم « لقاء الرب » مما يدل على ان العيد كان مركزا على المسيح . كما ان نمط الاحتفال به لا يدع شكا حول هذه المسألة . بالطبع كان لمريم مكان فيه ، لكن الاحتفال لم يكن مريميا .

موضوع العيد تبدل في القسطنطينية حيث دخل العيد في القرن السادس ، وهناك ايضا باسم « لقاء الرب » (ايبابانتي باليونانية) لكن الاحتفال جرى في كنيسة مشيدة على اسم العذراء ، وبدأ بصلاة موجهة الى مريم ، طلبا لرعايتها وحمايتها . والامبراطور يوستينيانوس فرضه كعيد رسمي و... ي سنة ٥٣٤ ، تعبيرا عن الشكر على نهاية وباء .

الغرب لم يحـ... عيد التطهير الا في القرن السابع . اذ يرى مشهد التطهير بين الفسيفساء ... تي تزين قوس النصر في كنيسة مريم الكبرى ، ولكن دون احتفال بالعيد . كما ان المصادر الليتورجية وغيرها التي ظهرت في عهد البابا القديس غريغوريوس الكبير (٥٩٠ ـ ٦٠٤) لا تتكلم عن عيد التطهير (ولا عن البشارة ، والانتقال وولادة مريم) . البابا سرجيوس الاول (٦٨١ـ٧٠١) قرر ان يقام عيد التطهير بشكل احتفالي في روما مع تطواف بالشموع . في القرن الثامن انضمت فرنسا واسبانيا والمانيا الى هذا الاحتفال الروماني ، فأضحى العيد جاريا في العالم كله . في ذلك الزمان ظلت الكتب الليتورجية تسميه باسمه اليوناني « ايبابانتي » . ولكن

نجد في القرن العاشر ان تسمية « تطهير مريم » اكثر انتشارا من التسمية الاولى . وهكذا نستطيع ان نميز الطابع المريمي الذي اتخذه العيد اكثر فأكثـــر .

٣ ـ الشموع في عيد التطهـــير :

ان تبريك الشموع والتطواف الاحتفالي الذي يسبق القداس سمة خاصة يمتاز بها عيد التطهير . ولعل السبب لذلك عائد الى قول سمعان الشيخ : « نورا يضيء للشعوب » .

منذ الايام الاولى للكنيسة كانت الشمعة رمزا الى المسيح . في انجيل القديس يوحنا ٨ : ١٢ ، يسمي يسوع نفسه « نور العالم » . فالشموع كانت تستعمل خاصة في عيد الفصح . وكان شمعدان كبير يرمز الـــى المسيح القائم ، ومن نوره يوقد المؤمنون الشموع التي بأيديهم ، فالتقليد الجاري في عيد التطهير ليس اصليا ، لكنه مقتبس من عادة جرت قبله .

ومع ذلك فهذا الاقتباس موفق جدا . المســيح عاشــ ومــات في اورشليم . ولكي يكون نورا للامم ، ينبغي لنوره أن ينتقل من يد الى يد ، ومن بلد الى بلد ، ومن جيل الى جيل . اما اليوم فنحن نجعل نور المسيح مشعا في كل جهات العالم بأيماننا وحياتنا المسيحية . « لقد كنتم من قبل ظلمة ، اما الان فأنتم نور في الرب . فاسلكوا كأبناء نور ، فان ثمر النـــور لفي كل صلاح وبر وحق » (أفسس ٥ : ٨ـ٩) . وبهذا المعنى تصبـــح شموع عيد التطهير رمزا رائعا الى الايمان الحي . مريم تقدم يسوع الـــى الهيكل . ونحن نأتي بشموعنا لنوقدها من نور المسيح ، وننير العالم بهذا النور البشري والالهي .

يمكننا ان نشبه هذه العادة بالعادة الاخرى المتبعة وهي مرافقة تلاوة الانجيل بشموع موقدة . وهذا التقليد يصعد في الزمن الى ما قبل القديس هيرونيموس (+ ٤٢٠) ، ويشير مرة اخرى الى ان المسيح هو نـــور العالم .

ان استعمال الشموع ليس استنباطا مسيحيا . فقد كان جاريا في الحضارات الوثنية قبل المسيح ، وخاصة في مناسبة الوفاة . والشمعة الموقدة والمحترقة تشير بشكل او بآخر الى فكرة القربان ، قربان حياة مقدم للالهة ومقبول منهم . والكنيسة احست بضرورة العمل ضد العادات المستلهمة من التقاليد الوثنية . لذلك حرم مجمع الفيرا (اسبانيا ، نحو ٣٠٠) حرما باتا ايقاد الشموع في المقبرة خلال غروب الشمس .

يبدو ان هذه العادة الوثنية التي كانت تربط فكرة الموت بأيقاد الشموع ، كان لها جذور عميقة في التقاليد الشعبية الغربية بحيث ان الكنيسة التزمت باستعمالها تحت صبغة مسيحية . وعلى كل حال ، لنا شهادات قديمة جدا تدل على استعمال الشموع في صلوات الموتى ، منها مثلا الشموع الموقدة في دفن القديس قبريانوس (+ ٢٥٨) . كما ان الشموع كانت توضع ايضا فوق قبور الشهداء . (ومنها انتقلت العادة بوضع الشموع أمام تماثيل القديسين) . ومازال هذا التقليد جاريا حتى الان بوضع الشموع فوق نعش الميت .

ان مشهد التطهير يحتوي معطيات مباشرة تتيح لنا النظر الى العادة الوثنية من وجهة نظر مسيحية . فسمعان الشيخ ، بعدما رأى المسيح ، قبل الموت مطمئنا ، لان حياته قد نالت مبتغاها ، ولا رغبة له بعد في شيء اخر . في القرون الوسطى كان التطواف بالشمعدان الكبير يمر بالمقبرة ، لان للموتى ايضا حصتهم في هذا الاحتفال ، فبعدما راوا المسيح ، يستطيعون ان يرقدوا في سلام .

لاشك ان ربط فكرة الموت بالخطيئة كان السبب الذي من اجله اتخذ التطواف في الغرب طابعا توبويا ، وهذا عكس التطواف البهيج الذي شاهدته آيجيريا في اورشليم .

٤ ـ معنى العيد :

في الطقس الكلداني يسمي الناس هذا العيد « عيد شمعون الشيخ » (اما تسميته الطقسية فهي : عيد دخول الرب الى الهيكل) . والتذكير

بهذا الشيخ الوقور يدعونا الى التأمل في اقواله ونبوءته بالاخص ، لنكتشف فيها معنى الاحتفال الطقسي .

سمعان الصديق يرنم بنشيد شكر على اكتمال وحي شخصي كان قد جرى له ، وعلى اكتمال مواعيد الخلاص .. ولكنه ، في هذا الجو من النور والسعادة ، يطلق نبوءة مرة غير متوقعة ، حين قال : « هذا قد جعل هدفا للمخالفة ، وانت سيجوز سيف في نفسك » .

نستغرب لاول وهلة ان يكون المسيح هدفا للمخالفة . فالشعب كان ينتظره بفارغ الصبر . واخيرا جاءهم المسيح ، في شخص يسوع . فعليهم ان يقفزوا من الفرح ! لكنهم رفضوه ، لانهم لم ينتظروا مسيحا كهذا ! فكان على الشعب ان يختار احد الامرين ، فاما ان يقبلوا المسيح كما هو ، ويتخلوا عن افكارهم الضالة ، واما ان يتشبثوا بافكارهم ويرفضوا المسيح .. حتى يوحنا المعمدان نفسه وقع في هذا المأزق ، لان المسيح مختلف تماما عما كان يتوقع . ان النص الانجيلي المتحدث عن يوحنا المعمدان مليء بالمعاني .. فالسابق يرسل تلاميذ ليسمعوا من فم يسوع نفسه « هل انه هو الاتي » ام لا . ويسوع يجيب اولا بأن عجائبه تثبت ان الازمنة المسيحانية بدأت به ثم يضيف قائلا : « طوبى لمن لايشك في » (لوقا ٦ : ٢٣) . ان هذه الاقوال مطابقة لنبوءة سمعان القائل : « هذا قد جعل لسقوط ونهوض كثيرين » (لوقا ٢ : ٣٤) .

ان معنى العيد بالنسبة لنا نحن ايضا هو قبول المسيح كما هو ، وليس الاستعاضة عنه برغباتنا الخاصة . لان المسيح في وقتنا الحاضر ايضا ، غالبا ما هو هدف للمخالفة ، وكثيرا ما نحلم بمسيح مغاير له ... مسيح قوي ، يعاقب الخطأة . لكنه لايفعل ما نريد ، لان النور الذي يحمله الى العالم هو مغفرة الله ، وتعليمه ما هو الا دعوة الى المحبة الاخوية . فالطوبى لمن يؤمن بهذه الرسالة .

لقد علمت مريم من حبلها البتولي ان يسوع هو « ابن العلي » . لكن الناس ما كانوا يعتبرونه الا ابن مريم — والمرة الاولى التي فيها رفض

يسوع ، في بيت لحم ، كانت لان الناس ما ارادوا قبول والدته التي كانت تبدو عليها علامات فقر شديد . كما ان مواطنين في الناصرة رفضوا قبول تعليمه قائلين : : « اوليس هـذا النجار ، ابن مريم ؟ » (مرقس ٦ : ٣ . فاغلب الظن انهم ما قبلوه على انه هو المسيح ، لانه ابن مريم . ومريـم العذراء عاشت هذا الواقع المرير كسيف اجتاز نفسها .

عندما نحتفل بعيد التطهير تقول اننا نؤمن بيسوع ، ابن العلـي ، المولود من مريم العذراء . ولعل ايماننا ضعيف ، لا تسـاوي قوته سوى قوة شمعة موقدة في ظلام الليل ، لكن شموعا كثيرة تحترق حتى تنيـر لنا بالكفاية المكان الذي نوجد فيه .

قراءة :

ملاخي ٣ : ١ـ٥

عبرانيين ٢ : ١٤ـ١٨

لوقـا ٢ : ٢٢ـ٤٠

٢١ ـ كنيسة العذراء في ساحة الميدان ، بغداد

نحو سنة ١٦٢٥ بنى المسيحيون في هذا الموضع كنيسة صغيرة اكراما لمريم العذراء . ففي سنة ١٧٤٤ صارت تحت رعاية الارمن الارثدكس . أعيد تعميرها التام في سنة ١٩٧٠ .

تتميز هذه الكنيسة بأن المراسم الطقسية والاحتفالات الجماعية نادرة جدا فيها ، خلافا للكنائس الاخرى . انها مقدس خصوصي اكراما للسيدة مريم فيعتزل فيها المؤمنون باحترام وخشوع عظيمين لصلاة فردية خافتة .

صلوات الى مريم العذراء

السلام عليك :

السلام عليك يا مريم ، الممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء ، ومبارك ثمرة بطنك يسوع . يا مريم القديسة ، يا والدة الله ، صلي لاجلنا نحن الخطأة ، الان وفي ساعة موتنا . امين .

تحت اكناف :

تحت اكناف صلواتك نلتجىء دائما يا مريم العفيفة ، هي تحرسنا كل حين . وبها نجد الرحمة والحنان يوم الدين (الطقس الكلداني ، يوم الاربعاء الثاني) .

مريم الوسيطة :

يا سيدتي الكلية القداسة ، والدة الله ، الممتلئة نعمة ، انت مجد طبيعتنا كلها ، وقنال كل الخيرات ، وملكة البرايا كلها بعد الثالوث .. أنت وسيطة العالم بعد الوسيط الاوحد ، انت الجسر السري الذي يربط الارض بالسماء ، والمفتاح الذي يفتح لنا ابواب الفردوس ، أنت محاميتنا ووسيطتنا ، انظري الى ايماني ورغباتي الصالحة ، واذكري رحمتك وقدرتك . يا ام ذاك الذي وحده هو الرحيم الصالح ، اقبلي نفسي في شقائي ، وبوساطتك اهليها لتكون يوما ما عن يمين ابنك الوحيد . (مارافرام) .

مديح لمريم العذراء :

العذراء تدعوني الى التغني بالسر الذي اتأمله بدهشة . يا ابن الله هب لي عطيتك العجيبة ، لاهيىء كنارتي ، واصور الصورة الجميلة ، صورة والدتك الحبيبة .

العذراء مريم وضعت ابنها بالبتولية ، وارضعت ذاك الـذي بقيت الامم . في حضنها العفيف استوعبت مستوعب الكون . انها عذراء ، وهي والدة ، فماذا لا تكون ؟

قديسة بالجسد ، رائعة الجمال بالنفس ، نقية بالروح ، صافيـة بالذهن ، كاملة بالشعور ، عفيفة ، أمينة ، نقية القلب ، مختبرة ، مزدانة بكل الفضائل .

ليبتهج بمريم جنس العذارى جميعا ، لان واحدة منهن ولدت الجبار حافظ الخليقة بأسرها ، ومحرر الجنس البشري الاسير في العبودية .

ليبتهج بمريم آدم القديم ، المجروح بالحية ، لان مريم اعطت لآدم نسلا يستطيع به ان يسحق الحية اللعينة ، وان يشفيه من جرحه المميت .

ليبتهج الكهنة بالعذراء المباركة ، فقد ولدت الكاهن الاعظم الـذي قدم ذاته ضحية ، وابطل الذبائح القديمة ، لانه صار الضحية التي ترضي الآب .

ليبتهج بمريم تسلسـل الانبيـاء جميعـا ، لانه بها كملت رؤاهـم ، وحققت نبوءاتهم ، وصدقت اقوالهم .

ليبتهج بمريم تسلسل الآباء جميعا . فكما انها نالت البركة الموعودة لهم ، كذلك بابنها جعلتهم كاملين ، اذ به تطهر الرؤاة والصديقون والكهنة

عوض الثمرة المرة التي قطفتها حواء من الشجرة المشؤومة ، اعطت مريم للبشر ثمرة طيبة . وها ان العالم كله يتنعم بثمرة مريم .

ان شجرة الحياة ، المخفية في وسط الفردوس ، كبرت في مريـم . وبعد طلوعها منها نشرت ظلها على الكون ، ووزعت ثمارها على الشعوب البعيدة والقريبة .

لقد نسجت مريم لباسا من مجد واعطته لابينا الاول ، الذي خبأ عريه بين الاشجار . اما الان فهو مزدان بالحياء والفضيلة والجمال ، هو الذي القته امرأته الى الحضيض ، فانهضته ابنته ، وهو منتصب كجبار لانها تسنده .

حواء والحيــة نصبتا فخا وقع فيه آدم . فانحنت اليه مريم وابنها الكريم ، وانتشلاه من الهوة .

الكرمة العذراء أعطت عنقودا ؛ عصيره يعيد الفرح الى الحزانى . حواء وآدم في شقائهما ، شربا من نبع الحياة ، فوجدا فيه كل عزاء .

(مارافرآم) .

السلام عليك يا ملكة :

السلام عليك يا ملكة ، يا أم الرحمة ؛ السلام عليك يا حياتنا وطيبنا ولذتنا ورجاءنا . اليك نصرخ نحن المنفيين اولاد حواء . واليك نتنهد في بكاء ونوح في هذا الوادي وادي الدموع ـ فيا شفيعتنا اميلي الينا نظرك الحنون . وارينا بعد هذا المنفى ثمره بطنك المباركة سيدنا يسوع المسيح . يا حنونة يا رؤوفة يا حلوة يا مريم البتول الطاهرة .

(صلاة من القرون الوسطى ، منسوبة الى آديمار دي مونتيل ، اسقف بوبي ، المتوفى سنة ١٠٩٨) .

مـلاك الرب :

ـ ملاك الرب بشر مريم العذراء فحبلت من الروح القدس : السلام عليك ...

ـ قالت مريم للملاك : ها انذا أمة للرب ، فليكن لي كقولك : السلام عليك ...

ـ والكلمة صار جسدا وحل فينا : السلام عليك ...

ـ تضرعي لاجلنا يا والدة الله القديسة .

ـ لكي نستحق مواعيد المسيح .

لنصـل :

نسألك يا رب ان تسكب نعمتك في نفوسنا ، نحن الذين عرفنا بصوت الملاك ، تجسد ابنك يسوع المسيح ، لكي نصل ، بآلامه وصليبه ، الى مجد قيامته ، بيسوع المسيح ربنا . آمين .

يا ملكة السماء :

يا ملكة السماء ، افرحي ، هلليلويا

ذاك الذي تمتعت بحمله في حضنك ، هلليويا

قد قام كما قال ، هلليلويا .

تشفعي الى الله من اجلنا ، هلليويا

افرحي وابتهجي ايتها العذراء مريم ، هلليلويا

لان الرب قام حقا ، هلليلويا

لنصـــل :

اللهم ، يا من اردت ان يفرح العالم بقيامة ابنك يسوع المسيح ربنا ، اجعلنا بفضل والدته القديسة مريم العذراء ، ان نتذوق مسرة الحيـاة الابدية ، بربنا يسوع المسيح . آمين . (القرن العاشر) .

يا ام الفادي :

يا ام الفادي المثمرة ، يا باب السماء المفتوح دائما ، يا نجمة البحر ، ساعدي هذا الشعب الذي يسقط ويريد ان يقوم . انت التي ولـــدت ، بدهشة من الطبيعة ، خالقك القدوس . ايتها العذراء قبل الحبل وبعده يا من قبلت من الملاك هذا السلام ، ارحمي الخطأة (القرن الحادي عشر)

تذكري :

تذكري ايتها العذراء مريم الكثيرة الرحمة ، انه لم يسمـع قط ، ان احدا التجأ اليك طالبا حمايتك ، وعاد خائبا . فبهذه الثقة ، يا عـــذراء العذارى ، يا امي ، التجيء اليك ، منتحبا تحت ثقل خطاياي ، راكعـــا لقدميك . يا ام الكلمة لا تهملي صلاتي ، بـل اقبليها برضى واستجيبيها . امين . (القرن الخامس عشر) .

السلام عليك يا ملكة السماوات :

السلام عليك يا ملكة السماوات ؛ السلام عليك يا سلطانة الملائكة . السلام عليك انت الاصل ، انت الباب الذي منه ظهر النور في العالم . السلام عليك أيتها العذراء المجيدة ، انت التي تفوقين الجميع بجمالك . احييك يا رائعة الجمال . توسلي الى المسيح من اجلنا . (منسوبة الى القديس برنردوس) .

اجعلي ان احبك :

يا لعزائي ايتها العذراء القديسة ، حينما اسمع عبادك المؤمنين يسمونك « أما لطيفة للغاية » . اجل يا سلطانتي الجليلة ، انت لطيفة للغاية . طيبتك وجمالك اجتذبا قلب ملك الملوك ، قلب ملكك بالذات ، الذي يشتهي جمالك . (مزمور ٤٤) . آه ، كم انت جميلة يا حبيبتي . انت جميلة جدا . ولا شيء فيك يشوه سناء جمالك . (نشيد الاناشيد ٤ : ٧)

فاذا كنت محبوبة للغاية من قبل الله ، كيف استطيع انا ان لا احبك ، انا المغمور بعطاياك ؟ انني احبك ايتها الملكة الفائقة اللطف . واتمنى ان اكون واحدا من اولئك الذين يحبونك حبا اعظم ، اقبلي منيتي ونيلي لي من الله هذا الحب الذي اطلبه منك ، لانه يقودني الى الحب الذي ينبغي ان اكنه لابنك الالهي . (القديس الفونس دي ليغوري) .

طلبة العذراء مريم :

يا رب	ارحمنا
يا يسوع المسيح	ارحمنا
يا ايها المسيح	انصت الينا
يا ايها المسيح	استجب لنا
يا الله الاب الاله السماوي	أرحمنا
يا الله الابن مخلص العالم	–
يا الله الروح القدس	–
يا الله الثالوث الاقدس الاله الواحد	=
يا قديسة مريم	صلي لاجلنا
يا والدة الله	–
يا عذراء العذارى	–
يا ام المسيح	–
يا ام النعمة الالهية	–
يا اما طاهرة	–
يا اما عفيفة	–
يا اما محصنة	–
يا اما غير مدنسة	–
يا اما شهية	–
يا اما عجيبة	–
يا ام المشورة الصالحة	–
يا ام الخالق	–
يا ام المخلص	–
يا بتولا حكيمة	–
يا بتولا محترمة	–

يا بتولا ممدوحة —
يا بتولا قادرة —
يا بتولا حنونة —
يا بتولا امينة —
يا مرآة العدل —
يا كرسي الحكمة —
يا سبب سرورنا —
يا اناء روحيا —
يا اناء مكرما —
يا اناء العبادة —
يا وردة سرية —
يا برج داود —
يا برج العاج —
يا بيت الذهب —
يا تابوت العهد —
يا باب السماء —
يا نجمة الصبح —
يا شفاء المرضى —
يا ملجا الخطاة —
يا معزية الحزانى —
يا معونة النصارى —
يا سلطانة الملائكة —
يا سلطانة الاباء —
يا سلطانة الانبياء —
يا سلطانة الرسل —
يا سلطانة الشهداء —
يا سلطانة المعترفين —
يا سلطانة العذارى —

يا سلطانة جميع القديسين —

يا سلطانة محبولا بها بلا دنس اصلي —

يا سلطانة منتقلة الى السماء —

يا سلطانة الوردية المقدسة —

يا سلطانة السموات والارض =

يا سلطانة السلام =

يا حمل الله الحامل خطايا العالم انصت الينا

يا حمل الله الحامل خطايا العالم استجب لنا

يا حمل الله الحامل خطايا العالم ارحمنا

تضرعي لاجلنا يا والدة الله القديسة
لكي نستحق مواعيد المسيح .

لنصل :

نسالك يا رب ان تعطينا صحة النفس والجسد ،
وبشفاعة الطوباوية مريم الدائمة البتولية خلصنا
من احزان هذا الزمان ، واجعلنا ننعم بافراح الابدية.
بربنا يسوع المسيح . آمين .

الفهرس

مقدمة	٣
مريم في الطقس الكلداني	٥
١ ـ عذراء لورد	٩
٢ ـ سيدة المشورة الصالحة	١٧
٣ ـ عذراء فاطمة	٢٣
٤ ـ العذراء حافظة الزروع	٣٧
٥ ـ مريم ملكة الكون	٤٧
٦ ـ سيدة الورود	٥٥
٧ ـ ام المعونة الدائمة	٦٥
٨ ـ قلب مريم الطاهر	٧٥
٩ ـ سيدة الكرمل	٨٥
١٠ ـ انتقال العذراء	٨٩
١١ ـ سيدة النجاة	١٠١
١٢ ـ ولادة مريم	١١١
١٣ ـ ام الاحزان	١١٩
١٤ ـ سيدة الوردية	١٢٩
١٥ ـ تقدمة مريم	١٥١
١٦ ـ المحبول بها بلا دنس	١٥٩
١٧ ـ البشارة	١٧٧
١٨ ـ زيارة العذراء	١٨٥
١٩ ـ تهنئة العذراء	١٩٥
٢٠ ـ عيد التطهير	٢٠٣
٢١ ـ كنيسة العذراء في ساحة الميدان ، بغداد	٢١٣
صلوات الى مريم العذراء	٢١٥

مريم العذراء

في كنائس العراق

الأب فرنسيس يوسف المخلصي